بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [(١)]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [(٢)]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [(٣)]

أما بعد فإن أصدق الكلام كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار [(٤)] .

---

(١) سورة آل عمران الآية : ( ١٠٢ ) .

(٢) سورة النساء الآية : ( ١ ) .

(٣) سورة الأحزاب الآية : ( ٧٠ – ٧١ ) .

(٤) هذه الخطبة معروفة بخطبة الحاجة ، وقد صححها الشيخ الألباني وله رسالة مفردة في جمع طرقها وتخريجها بعنوان : خطبة الحاجة .

وبعد :

فإن مباحث الإيمان أهم المباحث وأعظم الأصول إذ كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على الإيمان الصحيح ، فكم للإيمان من فوائد جليلة ومنافع عظيمة ، فبه حياة

القلوب وبه سعادة العبد ونجاته في الدارين ، وما أجمل ما سطره الإمام ابن القيم [(١)] رحمه الله في ذلك حين قال :

(( أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا و الآخرة هو العلم والأيمان ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ ﴾ [(٢)] وقوله : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [(٣)] وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبه والمؤهلون للمراتب العالية ولكن أكثر الناس غالطون في حقيقتهما حتى إن كل طائفة تظن أن ما معها من العلم والإيمان هو هذا الذي به تنال السعادة وليس كذلك بل أكثرهم ليس معهم إيمان ينجي ولا علم يرفع بل قد سدوا على نفوسهم طرق العلم والإيمان اللذين جاء بهما الرسول ودعا اليهما الأمة وكان عليهما هو وأصحابه من بعده وتابعوهم على منهاجهم وآثارهم... )) [(٤)] .

---

(١) هو : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي الحنبلي ، المشهور بابن قيم الجوزية ، الإمام العلامة ، الحافظ الفقيه ، برع في علوم كثيرة ، ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية ، من مصنفاته ، الصواعق المرسلة ، زاد المعاد ، إعلام الموقعين توفي سنة ( ٧٥١ هـ ) . انظر : معجم المؤلفين ( ٩ / ١٠٦ – ١٠٧ ) .

(٢) سورة الروم الآية : ( ٥٦ ) .

(٣) سورة المجادلة الآية : ( ١١ ) .

(٤) الفوائد لابن القيم ( ١٩١ ) .

وقال الإمام ابن رجب [١] رحمه الله :

(( مسائل الإسلام والإيمان والكفر والنفاق مسائل عظيمة جدا فإن الله ﷻ علّق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة وهو خلاف الخوارج للصحابة حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية وأدخلوهم في دائرة الكفر وعاملوهم معاملة الكفار واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين ثم حدث خلاف المرجئة وقولهم إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان وقد صنف العلماء قديما وحديثا في هذه المسائل تصانيف متعددة وممن صنف في الإيمان من أئمة السلف الإمام أحمد وأبو عبيد القاسم بن سلام [٢] وأبو بكر بن أبي شيبة [٣] ومحمد بن أسلم الطوسي [٤] وكثرت فيه التصانيف بعدهم من جميع الطوائف )) [٥] .

(١) هو : عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي ، الشيخ المحدث الحافظ زين الدين ، أكثر من المسموع وأكثر الاشتغال حتى مهر ، صنف شرح الترمذي و قطعة من البخاري وذيل الطبقات للحنابلة ، وأكثر من الشيوخ ، مات في رجب سنة ٧٩٥ هـ . انظر : الدرر الكامنة لابن حجر ( ٢ / ٣٢١ – ٣٢٢ ) .

(٢) هو : أبو عبيد القاسم بن سلام ، البغدادي ، الإمام المشهور ، صنّف التصانيف ودافع عن عقيدة السلف ، من مصنفاته كتاب الإيمان و الأموال وغيرها ، توفي سنة ٢٢٤ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ١٠ / ٤٩٠ ) .

(٣) هو : عبدالله بن محمد بن أبي شيبة ، أبو بكر الحافظ الكوفي ، قال العجلي : ثقة كان حافظا للحديث ، مات سنة ٢٣٥ هـ . تهذيب التهذيب ( ٢ / ٤١٩ – ٤٢٠ ) .

(٤) هو :محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد الإمام الحافظ الرباني شيخ الإسلام أبو الحسن الكندي مولاهم الخرساني الطوسي، قال أبو عبد الله الحاكم : كان من المتتبعين للآثار. توفي سنة ٢٤٢ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ١٢ / ١٩٥ – ٢٠٧ ) .

(٥) جامع العلوم والحكم لابن رجب ( ١ / ١١٤ – ١١٦ ) .

وكما ذكر الإمام ابن رجب رحمه الله أن من أول الأخطاء التي وقعت في صفوف أهل الإسلام الخطأ في حقيقة الإيمان ، فأدى ذلك إلى مالا يتسع المقام لذكره من الفتن والمحن والابتلاءات .

ولهذا فإن من الأهمية بمكان معرفة المباحث المتعلقة بحقائق الإيمان كما فهمها سلف الأمة ، إذ هم أعلم الناس بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمسلكهم في مباحث الإيمان سيكون بلا ريب أعلم وأسلم وأحكم ، وأقوم قيلا وأهدى سبيلا .

وقد كان لعلماء السنة من الشافعية منذ أواخر القرن الثاني الهجري نصيب وافر في الذود عن العقيدة الصحيحة وتوضيح مسائلها لاسيما مسائل الإيمان منها ، فكان منهم علماء أفاضل عرفوا بالخير والاستقامة والتمسك بالسنة ونصرة العقيدة وبغض البدع وأهلها .

وقد قمت في هذه الرسالة العلمية بتوضيح جهود علماء الشافعية في تقرير عقيدة السلف في مباحث الإيمان . وجعلت لها العنوان التالي :

**( جهود علماء الشافعية في تقرير عقيدة السلف في مباحث الإيمان والرد على المخالفين )**

والله ولي التوفيق

**أسباب اختيار الموضوع :**

أما عن أسباب اختيار الموضوع فيمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

١- بيان جهود علماء الشافعية في توضيح مباحث الإيمان .

٢- بيان أنه لم يخلُ قرن من القرون من علماء قائمين بالسنة وداعين إلى ما كان عليه سلف الأمة .

٣- ما عليه بعض المسلمين اليوم وبعض المنتسبين للمذهب الشافعي خاصة من وقوعهم في بعض المخالفات العقدية ، وظنهم أن ما يعتقدونه هو العقيدة الصحيحة الأمر الذي يستدعي بيان الحق لهم بدليله من الكتاب والسنة وتدعيم ذلك بأقوال العلماء المنتسبين للمذهب الشافعي .

٤- على حد علمي لم يكتب في جهود علماء الشافعية في تقرير عقيدة السلف في مباحث الإيمان رسالة مفردة موسعة تتجلى فيها مثل هذه الجهود وتعطيها حقها من الدراسة – مع أن المادة متوفرة والحاجة إليها ملحة – .

٥- أنني أنتسب إلى الديار **اليمنية** ، والمذهب السائد فيها هو المذهب الشافعي ، ويوجد بينهم مخالفات واضحة لعقيدة السلف التي هي عقيدة الإمام الشافعي رحمه الله وكبار أتباعه من الأئمة والعلماء .

**الدراسات السابقة :**

قد كُتب في جهود علماء الشافعية بعض الرسائل العلمية التي تناولت بعض الجوانب العقدية ، ولكن لم يكن منها ما يبرز جهودهم في تقرير عقيدة السلف في مباحث الإيمان .

ومن هذه الرسائل :

١ - ( جهود علماء الشافعية في تقرير توحيد العبادة ) للباحث : عبد الله بن عبد العزيز العنقري . نال بها درجة الدكتوراة سنة ( ١٤٢١ هـ ) . بجامعة أم القرى ، وقد طبعت في مجلد واحد .

٢ - ( جهود علماء الشافعية في تقرير عقيدة السلف في الأسماء والصفات حتى نهاية القرن الخامس الهجري – عرضا ودراسة - ) . تقدمت بها الباحثة : هدى بنت عبد الله الفائز . إلى قسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية للبنات في الرياض . ( الأقسام الأدبية ) عام ( ١٤٢٣ – ١٤٢٤ ) لنيل درجة الدكتوراة ، بإشراف فضيلة الشيخ أ . د / محمد بن عبد الرحمن الخميس حفظه الله .

٣ - ( جهود علماء الشافعية في إنكار البدع في العبادات الأربع " الصلاة والزكاة والصيام والحج " – جمعا ودراسة - ) . تقدم بها الباحث الأخ : محمد نور الإحسان بن علي . إلى قسم العقيدة في كلية الدعوة في الجامعة الإسلامية ( ١٤٢٥ – ١٤٢٦ ) لنيل درجة الدكتوراة بإشراف فضيلة الشيخ أ . د / سعود بن عبد العزيز الخلف حفظه الله .

ولأجل هذا كان من المناسب إكمال هذه الجهود الطيبة وإتمام الفائدة أن يضاف إلى هذه الدراسات السابقة : دراسة علمية تبرز فيها ( جهود علماء الشافعية في تقرير عقيدة السلف في مباحث الإيمان ) .

**خطة البحث :**

تتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة .

**المقدمة** : وفيها أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، والدراسات السابقة ، وخطة البحث ، ومنهج البحث .

**التمهيد** : ويتضمن خمسة مباحث :

**المبحث الأول : التعريف بالإمام الشافعي – رحمه الله – ومذهبه إجمالاً .**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ترجمة موجزة للإمام الشافعي رحمه الله .

المطلب الثاني : التعريف بالمذهب الشافعي ونشأته إجمالاً .

**المبحث الثاني : التعريف بأبرز علماء الشافعية – رحمهم الله – ممن أثبت تقريراتهم في الرسالة .**

المبحث الثالث : التعريف بالسلف الصالح ووجوب اتباعهم .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالسلف لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : الأدلة على وجوب اتباع السلف الصالح من القرآن والسنة .

المطلب الثالث : أبرز سمات وخصائص مذهب السلف .

**المبحث الرابع : ذكر بعض أقوال الإمام الشافعي – رحمه الله – وبعض علماء الشافعية في الحث على التمسك بالسنة وفهم السلف وذم البدعة ٠**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ما ورد عن الإمام الشافعي – رحمه الله – وبعض علماء الشافعية في الحث على التمسك بالسنة واتباع فهم سلف الأمة ٠

المطلب الثاني : ما ورد عن الإمام الشافعي – رحمه الله – وبعض علماء الشافعية في ذم البدعة والتحذير منها ٠

**المبحث الخامس : نبذة موجزة عن ظهور البدع في مباحث الإيمان ٠**

**الباب الأول : جهود علماء الشافعية في تقرير حقيقة الإيمان وبيان علقته بالإسلام ، والرد على المخالفين**

**وفيه ثلاثة فصول :**

**الفصل الأول : جهود علماء الشافعية في تقرير حقيقة الإيمان**

وفيه أربعة مباحث :

**المبحث الأول : تقريرهم أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل**

**المبحث الثاني : أدلتهم على دخول اعتقاد القلب في مسمى الإيمان**

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأدلة من القرآن على دخول اعتقاد القلب في مسمى الإيمان ٠

المطلب الثاني : الأدلة من السنة على دخول اعتقاد القلب في مسمى الإيمان ٠

المطلب الثالث : نقلهم لإجماع السلف على دخول اعتقاد القلب في مسمى الإيمان٠

**الفصل الأول : جهود علماء الشافعية في تقرير زيادة الإيمان ونقصانه**

وفيه أربعة مباحث :

**المبحث الأول : تقريرهم لزيادة الإيمان ونقصانه**

**المبحث الثاني : أدلتهم على زيادة الإيمان ونقصانه**

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأدلة من القرآن على زيادة الإيمان ونقصانه

المطلب الثاني : الأدلة من السنة على زيادة الإيمان ونقصانه

المطلب الثالث : نقلهم لإجماع السلف على زيادة الإيمان ونقصانه

**المبحث الثالث : ذكرهم أسباب زيادة الإيمان ونقصانه**

**المبحث الرابع : هل الإسلام يزيد وينقص**

**الفصل الثاني : جهود علماء الشافعية في الرد على المخالفين في زيادة الإيمان ونقصانه**

**وفيه مبحثان :**

**المبحث الأول : الرد على من قال الإيمان يزيد ولا ينقص**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أصحاب هذه المقالة وأدلتهم

المطلب الثاني : الرد عليهم

**المبحث الثاني : الرد على من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص**

**الفصل الثاني : جهود علماء الشافعية في الرد على المخالفين في الاستثناء في الإيمان**

**وفيه مبحثان :**

**المبحث الأول : الرد على من قال بوجوب الاستثناء في الإيمان**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أصحاب هذه المقالة و أدلتهم

المطلب الثاني : الرد عليهم

**المبحث الثاني : الرد على من قال بتحريم الاستثناء في الإيمان**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول :أصحاب هذه المقالة و أدلتهم

المطلب الثاني : الرد عليهم

**الباب الرابع : جهود علماء الشافعية في تقرير مسألة الأسماء و الأحكام و الرد على المخالفين**

**وفيه أربعة فصول :**

**الفصل الأول : جهود علماء الشافعية في تقرير اسم و حكم مرتكب الكبيرة**

**وفيه ثلاثة مباحث :**

**المبحث الأول : تعريفهم الكبيرة**

**المبحث الثاني : تقرير علماء الشافعية أسم و حكم مرتكب الكبيرة**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تقريرهم اسم مرتكب الكبيرة

المطلب الثاني : تقريرهم حكم مرتكب الكبيرة

**المبحث الثالث : أدلتهم في اسم و حكم مرتكب الكبيرة**

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأدلة من القرآن في اسم و حكم مرتكب الكبيرة

المطلب الثاني : الأدلة من السنة في اسم و حكم مرتكب الكبيرة

المطلب الثالث : نقلهم لإجماع السلف في اسم و حكم مرتكب الكبيرة

**الفصل الثاني : جهود علماء الشافعية في الرد على المخالفين في مسمى مرتكب الكبيرة**

**وفيه ثلاثة مباحث :**

**المبحث الأول : الرد على من قال أن مرتكب الكبيرة كافر**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أصحاب هذه المقالة و أدلتهم

المطلب الثاني : الرد عليهم

**المبحث الثاني : الرد على من قال أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلتين**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أصحاب هذه المقالة و أدلتهم

المطلب الثاني : الرد عليهم

**المبحث الثالث : الرد على من قال أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أصحاب هذه المقالة و أدلتهم

المطلب الثاني : الرد عليهم

**الفصل الثالث : جهود علماء الشافعية في الرد على المخالفين في حكم مرتكب الكبيرة**

**وفيه مبحثان :**

**المبحث الأول : الرد على من قال أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أصحاب هذه المقالة و أدلتهم

المطلب الثاني : الرد عليهم

**المبحث الثاني : الرد على من قال أن مرتكب الكبيرة لا يضر مع إيمانه معصية**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أصحاب هذه المقالة و أدلتهم

المطلب الثاني : الرد عليهم

**الفصل الرابع : جهود علماء الشافعية في تقرير مسألة التكفير**

**وفيه خمسة مباحث :**

**المبحث الأول : ما جاء عنهم في خطورة تكفير المسلم بغير حق**

**المبحث الثاني : ما جاء عنهم في التفريق بين التكفير بالعموم و تكفير المعين**

**المبحث الثالث : ما جاء عنهم في شروط التكفير**

**المبحث الرابع : ما جاء عنهم في موانع التكفير**

**المبحث الخامس : ما جاء عنهم في حكم لعن المعين**

**منهج البحث :**

أما المنهج الذي اتبعته في إعداد هذه الأطروحة العلمية في جهود علماء الشافعية في تقرير عقيدة السلف في مباحث الإيمان فيمكن تلخيصه في النقاط التالية :

١- أوردت نصوص علماء الشافعية في تقرير مسائل الإيمان حسب الأبواب والمباحث المثبتة في الخطة من كتبهم مباشرة بما يفي بالمقصود .

٢- النصوص التي لم يتيسر لي الوقوف عليها من كتب الشافعية بعد بذل الجهد والبحث فيها – على قدر الاستطاعة – نقلتها بالواسطة .

٣- لم أذكر كلام كل من وقفت عليه من علماء الشافعية في تقرير مسألة من مسائل الإيمان وإنما اكتفيت بذكر كلام بعضهم ، وأحلت على بقيت علماء الشافعية الآخرين إما بالتنصيص على أسمائهم في المتن مع الإحالة على الموطن المذكور فيه كلامهم في الحاشية ، وإما بالإحالة على كتبهم في الحاشية فقط ، وذلك خوف الإطالة وكثرة التكرار .

٤- لم أقتصر على السرد المجرد ، بل على العرض والدراسة معا .

٥- أوردت تقريرات لبعض علماء الشافعية وإن لم يكونوا في تفصيل معتقدهم على المعتقد الصحيح .

٦- راعيت في إيراد النقول عن علماء الشافعية التسلسل في أفكار الموضوع المطروح ، بغض النظر عن الطبقة إلا إذا اتفق النقل فالاعتبار بالمتقدم .

٧- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر رقمها ، وكتابتها بالرسم العثماني .

٨- خرجت الأحاديث والآثار ، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما أكتفيت بذلك ، وإلا أخرجها من مصادرها الأصلية مع ذكر أقوال العلماء في بيان درجة الحديث صحة وضعفا .

٩- وثّقتُ النصوص ، وشرحت الغريب ، وبينت المصطلحات العلمية ، وعرفت بالفرق والأماكن .

١٠- ترجمت للأعلام غير الخلافاء الراشدين والأئمة الأربعة في أول موضع ورد فيه اسم العلم .

١١- إلتزمت بعلامات الترقيم ، وضبطت ما يحتاج إلى ضبط .

١٢- في نهاية الرسالة ذكرت خاتمة أوردت فيها أهم نتائج البحث .

١٣- وضعت فهارس علمية تسهل الوقوف على جزئيات البحث.

# شكر وتقدير

وفي نهاية هذا البحث ، وامتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[(١)]،

والنبي ﷺ القائل : (( لا يشكر الله من لا يشكر الناس ))[(٢)]

فإنني أشكر الله سبحانه وتعالى على ما نعم به علي أن وفقني لسلوك طريق العلم الشرعي، وهيأ لي أسبابه، وأشكره تعالى على ما وفقني من إكمال هذا العمل الذي لا حول لي، ولا قوة على إتمامه، إلا بتوفيقه، وتيسيره سبحانه وتعالى.

ثم أتوجه بالدعاء لوالدي الكريمين اللذين ربياني على حب العلم، والتعلم، وبذلا في ذلك كل غالي ونفيس، فجزاهما الله عني خير الجزاء، وأسأله سبحانه أن يغفر لهما ويرحمهما وأن يسكنهما فسيح جناته إنه كريم جواد .

ثم أتوجه بالشكر للقائمين على هذه الجامعة المباركة العريقة التي أمضيت فيها هذه السنوات أنهل من صافي معينها، وأتزود من علومها، وأستفيد من مشائخها، وأساتذتها.

كما أخص بالشكر القائمين على كلية الدعوة وأصول الدين عموماً، وعلى قسم العقيدة خصوصاً.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى شيخي وأستاذي فضيلة الدكتور/ عطية بن عتق الزهراني حفظه الله تعالى وسلمه، الأستاذ المشارك في قسم العقيدة ، الذي أشرف على هذه الرسالة، وقام بتوجيهي طيلة الإشراف على هذه الرسالة،

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: {٧}.

(٢) سنن أبي داود كتاب الأدب ، باب : في شكر المعروف ، رقم ( ٤٨١١ ) ، ( ٥ / ١٠٢ ) ، والترمذي في سننه كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم (١٩٥٤) ، صـ( ٤٤٥ ) ، وصححه الألباني انظر : سنن الترمذي رقم ( ١٩٥٤ ) .

فكان خير معين – بعد الله تعالى – على إتمام هذا العمل بهذه الصورة، فجزاه الله خيراً على ما قدم، ويقدم من خدمة لطلاب العلم، وأسأل الله أن يبارك له في عمره، وعلمه، وذريته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كما أتوجه بالشكر والتقدير لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور أحمد بن عطية الغامدي وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الله الغفيلي حفظهما الله تعالى ورعاهما، وجزاهما الله تعالى خير الجزاء على ما تفضلا به من قبولهما مناقشة رسالتي، وما بذلاه من جهد في قراءة هذه الرسالة مع كثرة مشاغلهما فجزاهما الله تعالى خير الجزاء، وأسأله سبحانه أن يبارك لهما في علمهما وعمرهما وذريتهما إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كما أشكر كل من أعانني على إنجاز هذا البحث بإعارة كتاب ، أو إسداء نصيحة ، فجزى الله تعالى الجميع خيرا ، والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

**التمهيد :**

**ويتضمن خمسة مباحث :**

**المبحث الأول : التعريف بالإمام الشافعي – رحمه الله – ومذهبه إجمالاً .**

**المبحث الثاني : التعريف بأبرز علماء الشافعية – رحمهم الله – ممن أثبت تقريراتهم في الرسالة .**

**المبحث الثالث : التعريف بالسلف الصالح ووجوب اتباعهم .**

**المبحث الرابع : ذكر بعض أقوال الإمام الشافعي – رحمه الله – وبعض علماء الشافعية في الحث على التمسك بالسنة وفهم السلف وذم البدعة .**

**المبحث الخامس : نبذة موجزة عن ظهور البدع في مباحث الإيمان .**

**التمهيـــد :**

**ويتضمن خمسة مباحث :**

**المبحث الأول : التعريف بالإمام الشافعي – رحمه الله – ومذهبه إجمالا**

**وفيه مطلبان :**

**المطلب الأول** : ترجمة موجزة للإمام الشافعي رحمه الله .

**أولاً** : اسمه ونسبه وكنيته .

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المُطَّلبي ، ابن عم رسول الله ﷺ [(١)] .

قـــال الإمام النووي [(٢)] – رحمه الله – : (( الشافعي ﷺ قرشي مُطَّلبي بإجماع أهل النقل من جميع الطوائف ، وأمه أزدية )) [(٣)] .

---

(١) آداب الشافعي لابن أبي حاتم ( ٣٨ ) ، الإنتقاء لابن عبد الـــبر ( ١١٥ – ١١٦ ) ، مناقـــب الشافعي للبيهقي ( ١/ ٧٦ ).

(٢) هـــو : محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي ، شيخ الإسلام والمسلمين ، وعمدة الفقهاء والمحدثين ، ومحرر المذهب الشافعي ، صاحب التصانيف المشهورة منـــها : شرح صحيح مسلـــم ، ورياض الصالحين ، ومنهاج الطالبين ، والمجموع . توفي سنة ٦٧٦ هـــ . انظر : طبقات الشافعية لابن شهبة ( ٢ / ١٩٤ ) ، طبقـــات الشـــافعية للســـبكي ( ٥ / ١٦٧ ) ، الأعـــلام للزركلـــي ( ٨ / ١٤٩ ) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ( ١ / ٤٤ ) .

وينسب إلى جده شافع بن السائب [١] صحابي لقي النبي ﷺ وهو شاب مترعرع [٢] .

**ثانياً** : مولده .

اتفق المؤرخون للإمام الشافعي –رحمه الله– على أنه ولد عام خمسين ومائة [٣]
قال الحاكم [٤] – رحمه الله - : (( لا أعلم خلافاً بين أصحاب الشافعي في ذلك )) [٥] .

---

(١) هو : شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي جد الشافعي ، لقي النبي ﷺ وهو مترعرع وأسلم أبوه السائب يوم بدر . انظر : أسد الغابة لابن الأثير ( ٢ / ٣٤٩ ) .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٣ / ٢٥٠ – ٢٥١ ) .

(٣) آداب الشافعي لابن أبي حاتم ( ٢٥ ) ، مناقب الشافعي للبيهقي ( ١ / ٧١ ) ، الإنتقاء لابن عبد البر ( ١١٦ ) ، مناقب الشافعي للرازي ( ٣٤ ) ، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ( ١/ ٤٥).

(٤) هو : محمد بن عبد الله بن محمد أبو عبد الله الشافعي صاحب التصانيف ، الإمام الحافظ الناقد العلامة شيخ المحدثين ، صنَّف وخَّرج ، وجرَّح وعدَّل ، وصحح وعلّل ، وكان من بحور العلم على تشيع قليل فيه . من تصانيفه : معرفة علوم الحديث ، مستدرك الصحيحين ، فضائل الشافعي. توفي سنة ٤٠٥ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ١٧ / ١٦٢ – ١٧٧ ) .

(٥) المناقب للبيهقي ( ١ / ٧١ ) .

**ثالثاً** : مكان ولادته .

اختلفت الروايات في مكان ولادته فأشهرها أنه ولد بغزة [١] ، وقيل بعسقلان [٢] ، وقيل باليمن [٣] .

قال الإمام البيهقي [٤] – رحمه الله – : (( والذي يدل عليه سائر الروايات من ولادته بغزة ثم حمله إلى عسقلان ثم إلى مكة . والله أعلم )) [٥] .

---

(١) غزة بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه ، مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان. انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٤ / ٢٠٢ ) .

(٢) عسقلان بفتح أوله وسكون ثانيه ثم قاف وآخره نون ، وهي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ، ويقال لها عروس الشام . انظر : معجم البلدان ( ٤ / ١٢٢ ) .

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١ / ٧٣ – ٧٥ ) ، وقد ذهب كثير ممن ترجم للإمام الشافعي إلى أن الرواية بأنه ولد في اليمن غلط أو متأولة .

(٤) هو : الحافظ العلامة الثبت الفقيه شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن الحسين الخرساني ، وبيهق عدة قرى من أعمال نيسابور ، قال أبو المعالي الجويني : ما من فقيه شافعي إلا وللشافعي عليه منَّة إلا أبا بكر البيهقي فإن المنَّة له على الشافعي لتصانيفه في نصرة مذهبه . قلت – الذهبي – : أصاب أبو المعالي هكذا هو ولو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه لكان قادرا على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف . توفي سنة ٤٥٨ هـ . انظر : السير ( ١٨/ ١٦٣ – ١٧٠ ) .

(٥) المناقب للبيهقي ( ١ / ٧٥ ) .

وقال الحافظ ابن حجر [١] –رحمه الله – : (( إنه لا مخالفة بين الأقوال لأن عسقلان هي الأصل في قديم الزمان ، وهي وغزة متقاربتان فحيث قال الشافعي غزة أراد القرية وحيث قال عسقلان أراد المدينة .

ثم قال : والذي يجمع بين الأقوال أنه ولد بغزة عسقلان ، ولمّا بلغ سنتين حولته أمه إلى الحجاز ، ودخلت به إلى قومها وهم من أهل اليمن لأنها كانت أزدية فنزلت عندهم ، فلمّا بلغ عشراً خافت على نسبه الشريف أن يُنسى ويضيع فحولته إلى مكة )) [٢] .

**رابعاً** : نشأته وطلبه للعلم .

نشأ الإمام الشافعي – رحمه الله – في غزة يتيماً بعد أن مات أبوه فيها ، ثم قدمت به أمه إلى الحجاز فأقبل على حفظ القرآن .

قال – رحمه الله – : (( كنت يتيماً في حجر أمي و لم يكن معها ما تُعطي المعلم ، وكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام ، فلمّا جمعت القرآن دخلت المسجد فكنت أُجالس العلماء وكنت أسمع الحديث والمسألة فأحفظها )) [٣] .

---

(١) هو : أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر ، من أئمة العلم والتاريخ ، شهد له شيخه العراقي بأنه أعلم أصحابه بالحديث . من أشهر مصنفاته : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، توفي في القاهرة سنة ٨٥٢ هـ . انظر : الضوء اللامع للسخاوي ( ٢ / ٣٦ – ٤٠ ) ، الأعلام ( ١ / ٧٨ ) .

(٢) توالي التأسيس لابن حجر ( ٥١ – ٥٢ ) بتصرف .

(٣) آداب الشافعي لابن أبي حاتم ( ٢٤ ) ، المناقب للبيهقي ( ١ / ٩٢ ) .

وواظب على طلب العلم ، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وحفظ الموطأ وهو ابـــن عشر سنين ، وأفتى وهو ابــــن خمس عشرة سنة وقيل ابن ثمان عشرة أذن له شيخه مسلم بن خالد الزنجي [(١)] ، وعنى بـــالشعر واللغة وحفظ شعر الهذليين وأقام عندهم نحو من عشر سنين وقيل عشرين سنة فتعلّم منهم لغات العرب و فصاحتها ، وسمع الحـــديث الكثير على جماعة من المشايخ و الأئمة ، وقرأ بنفسه الموطأ على مالك من حفظه فأعجبته قراءته وهمته ، وأخذ عنه علم الحجازيين بعد أخذه عن مسلم بن خالد الزنجـــي ، وروى عن خلق كثير ، وقرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين [(٢)] عن شبل [(٣)] عن ابن كثير [(٤)] عن مجاهد [(٥)]...................................

(١) هو : مسلم بن خالد المخزومي مولاهم المكي ، المعروف بالزنجي ، فقيه صدوق كثير الأوهام . قال ابــن حبان : كان مـــن فقهاء الحجاز ومنه تعلم الشافعي الفقه قبل أن يلقى مالكا . توفي سنة ١٧٩ هــ . انظر : تهذيب التهذيب ( ٤ / ٦٨ – ٦٩ ) ، تقريب التهذيب ( ٥٢٩ ) .

(٢) هو : إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين أبـــو إسحاق المخـــزومي ، مـــولاهم المكي ، المعروف بالقسط ، مقرىء مكة ، ولـــد سنـــة مائة ، قـــرأ على ابـــن كثيـــر وأقـــرأ النـــاس زمـــانـــا ، وكـــان ثقـــة ضابطا ، قـــرأ عليه الإمـــام محمد بـــن إدريـــس الشافعي ، تـــوفي سنة ١٧٠هـــ. انظر : غاية النهاية ( ١ / ١٦٥ ) .

(٣) هو : شبل بن عبَّاد المكي القارىء ، قال أحمد و ابن ومعين : ثقة . تـــوفي بعد ١٥٠ هـــــ . انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ( ٢ / ١٥٠ ) .

(٤) هو : عبد الله بن كثير الداري المكي أبو معبد القارىء ، أحد الأئمة ، صدوق . قال أبو عبيد : إليــه صارت قـــراءة أهل مكة وبه اقتدى أكثرهم . توفي سنة ١٢٠ هــ . انظر : تهذيب التهذيب ( ٢ / ٤٠٨ ) ، التقريب ( ٢٦١ ) .

(٥) هو : مجاهد بن جبر المخزومي مولاهم أبو الحجاج المكي ، أحد الأعلام الأثبات ، لزم ابن عباس مدة وقرأ عليه القرآن ، وكان ثقة حـــافظا ، إماما في التفسير والعلم . توفي سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ٨٣ هــ . انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ( ١ / ٩٢ ) ، التقريب ( ٤٥٣).

عن ابن عباس [١] عن أُبَيٍّ بن كعب [٢] عن رسول الله ﷺ [٣] .

**خامساً** : رحلاته في طلب العلم .

لقد كان الإمام الشافعي - رحمه الله - في أول أمره منصرفا إلى الإهتمام باللغة والأدب والشعر .

قال - رحمه الله - : (( خرجت من مكة فلزمت هُذيلا في البادية أتعلم كلامها وآخذ بلغتها وكانت أفصح العرب ، فأقمت عندهم مدة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم ، فلمّا رجعت إلى مكة جعلت أُنشد الأشعار وأذكر أيام الناس فمرَّ بي رجل من الزُّهريين فقال لي : يا أبا عبد الله عزَّ عليَّ أن لا تكون في العلم والفقه هذه الفصاحة والبلاغة . فقلت : من بقي ممن يُقصد ؟ فقال : مالك بن أنس سيد المسلمين ، قال : فوقع ذلك في قلبي وعمدت إلى الموطأ فاستعرته من رجل بمكة وحفظته )) [٤] .

ثم رحل إلى المدينة وقرأ الموطأ من حفظه على الإمام مالك - رحمه الله - فأعجب به ، ثم أقام بالمدينة يطلب العلم إلى أن توفي الإمام مالك رحمه الله .

---

(١) هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله ﷺ ، وكان يسمى البحر لسعة علمه ويسمى حَبْر الأمة ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وتوفي بالطائف سنة ٦٨ هـ . انظر : أسد الغابة لابن الأثير ( ٣ / ١٨٦ - ١٩٠ ) .

(٢) هو : أُبي بن كعب بن قيس الأنصاري النجاري أبو المنذر سيد القراء ، كان من أصحاب العقبة وشهد بدرا والمشاهد ، قال له النبي ﷺ ليهنئك العلم أبا المنذر ، اختلف في سنة وفاته فقيل: في خلافة عمر وقيل : سنة ثلاثين في خلافة عثمان ﷺ . انظر أسد الغابة (١/٦١ - ٦٣).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ( ١٠ /٢٥١ - ٢٥٢ ) .

(٤) المناقب للبيهقي ( ١ / ١٠٢ - ١٠٣ ) .

ثم رحـــل إلى اليمن وأخـــذ عـــن علمائها، واستعمل على عمل فحُمِدت سيرته ، وشاع ذكره بين الناس ، غير أنه أُتهم عند الخليفة هـــارون الرشيد (١) بأنه يريد الخلافة ، فحُمِل مقيدا إلى بغداد ، فدخلها سنة أربع وثمانين ومائة ، فـــاجتمع بـــالرشيد وتنـــاظر هو ومحمد بن الحسن (٢) بين يديه فأحسن محمد بـــن الحسن القول فيـــه وتبين للرشـــيد براءته مما نسب إليه (٣) .

وفي هذه الفترة لازم الإمام الشافعي الإمام محمد بـــن الحسن – رحمهم الله– وأخذ عنه فقه أهل العراق .

ثم رجع إلى مكة بعد أن حصَّل ما استطاع من علم أهل العراق ، فاشتغل بالتدريس ونشر العلم مدة من الزمن ، ثم رحل بعدها رحلته الثانية إلى العراق سنة ١٩٥ هـــ ، وفي هذه الرحلة ذاع صِيته واشتهر أمـــره وكتب الله ﷻ له القبول وأقبل الناس على ما عنده وتركوا ما عندهم من البدعة .

---

(١) هو : أبو جعفر هارون بن الخليفة المهدي بن الخليفة المنصور ، من ذرية العباس عم رســـول الله ﷺ ، أُستخلف بعد أخيه الهادي ، كـــان من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك ذا حـــجّ وجهاد وغـــــزو وشجـــاعة ورأي ، كـــان يحب العلماء ويبغض الجـــدل والكلام . تـــوفي سنـــة ١٩٣ هـــــ . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٩/ ٢٨٦ – ٢٩٥ ) .

(٢) هـــو : محمد بن الحسن أبو عبد الله الشيباني الكوفي ، صاحب أبي حنيفة ، أخذ عنه بعض الفقه وتمم على القاضي أبي يوسف ، أخذ عنه الشافعي فأكثر جدا . توفي سنة ١٨٩ هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٣٤ ) .

(٣) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ( ١٠ / ٢٥٢ ) .

فقد روى البيهقي بسنده عـــن أبي ثور [١] أنـــه قال : لّما ورد الشافعي ﷺ العراق جاءني الحسين الكرابيسي [٢] وكان يختلف معي إلى أصحاب الرأي فقال : قد ورد رجل من أصحاب الحديث يتفقه فقم بنا نسخر منه .

فقام وذهبنـــا حتى دخلنا عليه ، فسأله الحسين عن مسألة فلم يزل الشافعي يقول : قال الله ﷻ وقال رسول الله ﷺ حتى أظلم علينا البيت فتركنا بدعتنا وتبعناه [٣] .

و لم تكن إقامتـــه – رحمه الله – في العراق مستمرة بل كان يتردد بينها وبين مكة ، قال الحسن بن محمد الزعفراني [٤] : قدِم علينا الشافعي سنـــة خمس وتسعين ومائة فأقام عندنا سنتين ثم خـــرج إلى مكة ثم قدِم علينا سنة ثمان وتسعين ومائة فأقام عندنا أشهراً ثم خرج إلى مصر [٥] .

---

(١) هو : إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان أبو ثور الكلبي ، الفقيه البغدادي ، يقال كنيته أبو عبد الله وأبو ثور لقب ، صحب الشافعي و روى عنه . قـــال أحمد : أعرفه بالسنة منـــذ خمسين سنـــة . انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ( ١ / ٦٤ – ٦٥ ) .

(٢) هو : الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي أبو علي ، العلامة ، فقيه بغداد ، صاحب التصانيف ، تفقه بالشافعي ، وهو معدود من كبار أصحابه ، وهو أول من فتق اللفظ – كان يقول القرآن كلام الله غير مخلوق ولفظي بالقرآن مخلوق – فهجره الإمام أحمد لذلك. توفي سنة ٤٨ وقيل ٤٥ ومئتين. انظر : سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٧٩ – ٨٢ ) .

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١ / ٢٢١ ) .

(٤) هو : أبو علي الحسن بن محمد بن الصَّبَّاح البغدادي الزعفراني ، الإمـــام العلامة شيخ الفقهـــاء والمحدثين . قرأ على الشافعي كتابه القديم ، وكان ثقة جليلا عالي الرواية كبير المحل قال إبراهيم بـــن يحي سمعت الزعفراني يقول : ما على وجه الأرض قوم أفضل من أصحاب هذه المحابر ، يتبعون آثـــار الرسول ﷺ ويكتبونها كي لا تندرس . توفي سنة ٢٦٠ هـــ . انظر : سير أعـــلام النبـــلاء للذهبي ( ١٢ / ٢٦٢ – ٢٦٥ ) .

(٥) المناقب للبيهقي ( ١ / ٢٢٠ ) .

**سادساً** : مشايخه .

لقد تتلمذ الإمام الشافعي – رحمه الله – على كثير من العلماء في علوم شتى وبلدان عديدة .

فمن أهل مكة :

١- مسلم بن خالد الزنجي .

٢- سفيان بن عيينة [(١)] .

٢- إسماعيل بن قسطنطين المقري .

ومن أهل المدينة .

١- الإمام مالك بن أنس .

٢- إبراهيم بن سعد الزهري [(٢)] .

ومن سائر البلدان .

١- محمد بن الحسن الشيباني .

٢- وكيع بن الجراح [(٣)] .

---

(١) هو : سفيان بن عيينة أبو محمد الكوفي ، ولد سنة ١٠٧ هـ . قال ابن وهب : ما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله من ابن عيينة . وقال اللالكائي : هو مستغن عن التزكية لتثبته واتقانه. توفي سنة ١٩٨ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ( ٢/ ٥٩ – ٦١ ) .

(٢) هو : إبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أبو إسحاق المدني ، نزيل بغداد . قال ابن عدي : هو من ثقات المسلمين . اختلف في سنة وفاته قيل : ١٨٢ أو ١٨٣ انظر : تهذيب التهذيب ( ١ / ٦٦ – ٦٧ ) .

(٣) هو : وكيع بن الجراح بن مليح الرُؤاسي أبو سفيان الكوفي ، ثقة ، حافظ ، عابد . قال علي ابن خشرم : رأيت وكيعا وما رأيت بيده كتابا قط إنما هو يحفظ ، فسألته عن دواء الحفظ فقال : ترك المعاصي ما جربت مثله للحفظ . توفي آخر سنة ست أو سبع وتسعين ومائة وله سبعون سنة . انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ( ٤ / ٣١١ – ٣١٤ ) ، التقريب (١٠٣٧) .

٣- هشام بن يوسف الصنعاني [١] .

**سابعاً** : تلاميذه .

وقد أخذ عنه – رحمه الله - خلق كثير لا يحصي عددهم إلا الله ﷻ وسأقتصر على ذكر أشهرهم .

١- الإمام أحمد بن حنبل .
٢- أبو يعقوب يوسف بن يحي البويطي [٢] .
٣- أبو إبراهيم إسماعيل بن يحي المزني .
٤- الربيع بن سليمان المرادي [٣] .
٥- محمد بن الحسن الزعفراني .

---

(١) هو : هشام بـــن يوسف الصنعاني أبو عبد الرحمن القاضي ، قال الخليلي : ثقة متفق عليه روى عنه الأئمة . توفي سنة ١٩٧ هـــ . انظر : التهذيب ( ٤ / ٢٧٩ ) .

(٢) هو : أبو يعقوب يوسف بن يحي البُويطي المصري ، الإمام ، العلامة ، سيد الفقهـــاء ، صاحب الإمام الشافعي ، لازمه مدة وتخرج به ، وفاق الأقران ، وكان أماما في العلم ، قدوة في العمل زاهدا ربانيا متهجدا ، دائم الذكر والعكوف على الفقه ، امتحن في فتنة خلق القرآن فصبر ومات في قيده مسجونا في العراق سنة ٢٣١ هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٥٨ –٦١ ) .

(٣) هو : أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولاهم ، المصري ، المؤذن ، الإمام، المحدث، الفقيه الكبير، بقية الأعلام، صاحب الإمام الشافعي وناقل علمه، ولد سنة ١٧٤ هـــ أو قبلها بعام ، طال عمره ، واشتهر اسمه ، و زدحم عليه أصحاب الحديث ، وقد أفنى عمره في العلم ونشره ، توفي سنة ٢٧٠ هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ١٢ / ٥٨٧ – ٥٩١ ) .

**ثامناً** : مؤلفاته [(١)] .

لقد أتحف الإمام الشافعي – رحمه الله – المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات الجليلة والتصانيف الفريدة في علوم لم يُسبق في التأليف إليها مثل علم أصول الفقه ، وعلم مختلف الحديث ، وقد تسابق العلماء في تحصيل مؤلفاته وجمعها والاعتناء بها تدريسا وشرحا واختصارا .

ويمكن أن نقسم مؤلفات الإمام الشافعي إلى قسمين :

**أولاً** : المؤلفات التي لم تصل إلينا .

١- كتاب الحجة : وهو كتاب في الفروع الفقهية مرتب على أبواب الفقه ، وضعه في الرد على أهل الرأي .

٢- الرسالة العراقية ( القديمة ) : وكانت في أصول الفقه إلا أنها كانت في صورة موجزة .

٣- المبسوط : والذي يظهر أنه ليس له كتابا ثالثا في الفروع الفقهية غير الحجة والأم ، وإنما هو أسم أُطلق على كل من الكتابين ، وهذا ما رجحه عدد من الباحثين المعاصرين[(٢)] .

٤- السنن برواية حرملة التجيبي [(٣)] .

---

(١) انظر : المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ( ١٩٥ – ٢٥٦ ) .

(٢) انظر : المصدر السابق .

(٣) هو : حرملة بن يحي بن عبد الله بن حرملة التجيبي أبو حفص المصري ، قال ابن يونس : ولد سنة ١٦٦هـ وتوفي سنة ٢٤٣ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ( ١ / ٣٧٢ – ٣٧٣ ) .

**ثانياً** : المؤلفات التي وصلت إلينا .

١- كتاب الأم : ويتكون من ( ٤٣ ) كتاباً فقهياً ، عرض فيها الإمام الشافعي – رحمه الله – ( ١٢٥٥ ) مسألة بدون المسائل المكررة .

كتب طبعت ضمن كتاب الأم :

- كتاب اختلاف العراقيين.
- كتاب اختلاف علي وعبد الله بن مسعود [1] .
- كتاب اختلاف مالك والشافعي .
- كتاب جماع العلم .
- كتاب بيان فرائض الله .
- كتاب صفة نهي الرسول ﷺ .
- كتاب إبطال الاستحسان .
- كتاب الرد على محمد بن الحسن الشيباني .
- كتاب سير الأوزاعي [2] .

٣- كتاب الرسالة : في أصول الفقه .

٤- كتاب اختلاف الحديث : وهو أول مصنف في علم مختلف الحديث .

---

(١) هو : عبد الله بن مسعود أبو عبدالرحمن الهذلي ، كان أسلامه قديما ، وهاجر الهجرتين جميعا ، وشهد بدرا وأحد والخندق وسائر والمشاهد ، توفي بالمدينة سنة ( ٣٢ هـ ) ﷺ . انظر : أسد الغابة ( ٣ / ٢٨٠ – ٢٨٦ ) .

(٢) هو : عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد ، أبو عمر الأوزاعي الفقيه ، نزل ببيروت في آخر عمره فمات بها مرابطا ، قال ابن عيينة : كان إمام أهل زمانه ، اختلف في سنة وفاته فقيل : ٥٥ هـ وقيل غير ذلك . انظر : تهذيب التهذيب ( ٢ / ٥٣٧ – ٥٣٩ ) .

**تاسعاً** : وفاته .

توفي الإمام الشافعي – رحمه الله – في آخر شهر رجب سنة ٢٠٤ هـ [1] .

قال الإمام الربيع رحمه الله : (( توفي الشافعي رحمه الله ورضي عنه ليلة الجمعة بعد المغرب وأنا عنده ، ودفن يوم الجمعة بعد العصر آخر يوم من رجب ، وانصرفنا من جنازته ورأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين )) [2] .

رحم الله الإمام الشافعي

رحمة واسعة

---

(١) المناقب للبيهقي ( ٢ / ٢٩٧ ) .

(٢) المناقب للبيهقي ( ٢ / ٢٩٧ ) .

**المطلب الثاني** : التعريف بالمذهب الشافعي ونشأته إجمالا [(١)] .

لقد مرَّ المذهب الشافعي بعدة أدوار هي :

**أولاً** : دور التكوين والتأسيس والنقل .

ويمتد هـــذا الدور من وفاة الإمام مالك بن أنس – رحمه الله – سنة ١٧٩ هـــ إلى وفاة الإمـــام الـــربيع بن سليمان المرادي – رحمه الله – سنة ٢٧٠ هـــ ، ويتضمن أربع مراحل :

**المرحلة الأولى** : مرحلة الإعداد والتكوين .

وتمتد هـــذه المرحلة من وفاة الإمام مالك بن أنس – رحمه الله – سنة ١٧٩ هـــ ، إلى أن قدم الإمام الشافعي – رحمه الله – بغداد في زيارته الثانية سنة ١٩٥ هـــ .

وفي هذه المرحلة بدأت تنضج الملكة الفقهية للإمام الشافعي – رحمه الله – ، وتسير به نحو الاجتهاد المطلق .

**المرحلة الثانية** : ظهور المذهب القديم .

وتمتد هذه المرحلة من قدوم الإمام الشافعي – رحمه الله – إلى بغداد في زيارته الثانية سنة ١٩٥ هـــ ، إلى قدومه مصر في آخر سنة ١٩٩ هـــ .

وفي هذه المرحلة ظهر مذهب الإمام الشافعي – رحمه الله – إلى الناس مستقلاً عن اجتهادات شيخه مـــالك بن أنس – رحمه الله – في الأصول والفروع ، وذلك من خلال تصنيفه لكتابي : الحجـــة في الفقه ، و الرسالة القديمة ( العراقية ) في أصول الفقه ، وأشهر من أخذ عنه في هذه المرحلة تلميذه الزعفراني رحمه الله .

---

(١) انظر : تفاصيل تطور المذهب الشافعي ، (( المذهب عند الشافعية )) د/ محمد إبراهيم محمد علي مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، العدد الثاني . (( الإمام الشافعي في مذهبه القديم والجديد )) د / أحمد نحراوي عبد السلام الأندونيسي . (( المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي ﷺ )) د / أكرم القواسمي .

**المرحلة الثالثة** : ظهور المذهب الجديد .

وتمتد هذه المرحلة مدة إقامة الإمام الشافعي –رحمه الله– في مصر من سنة ١٩٩ هـ ، إلى حين وفاته سنة ٢٠٤ هـ .

وفي هذه المرحلة نقح وهذب الإمام الشافعي – رحمه الله – مذهبه القديم الذي أظهره في العراق ، فغيّر عدداً غير قليل من اجتهاداته ، و صحح بعض أقواله ، وقد ضمنه كتبه المصرية التي مات عنها ، وأبرزها كتاب الأم في الفقه ، وكتاب الرسالة الجديدة ( المصرية ) في أصول الفقه ، رواهما عنه تلميذه المصري الربيع بن سليمان المرادي رحمه الله .

**المرحلة الرابعة** : نقل المذهب .

وتمتد هذه المرحلة من وفاة الإمام الشافعي – رحمه الله – سنة ٢٠٤ هـ ، إلى وفاة تلميذه الربيع بن سليمان المرادي – رحمه الله – سنة ٢٧٠ هـ .

وفي هذه المرحلة نقل تلاميذ الإمام الشافعي – رحمه الله – المصريون مذهبه الذي مات عنه ورووا مصنفاته المتعددة ، وهم : البويطي والمزني والربيع – رحمهم الله – وكان الربيع أحفظهم لكتبه وأطولهم عمراً .

**ثانياً** : دور ظهور المذهب واستقراره .

ويمتد هذا الدور من سنة ٢٧٠ هـ ، إلى وفاة الإمام أبي حامد الغزالي [١] رحمه الله سنة ٥٠٥ هـ ، ويتضمن مرحلتين هما :

---

(١) هو:محمد بن محمد الطوسي،أبو حامد الغزالي الشافعي،المشهور بلقب حجة الإسلام ، من رؤوس علماء الكلام المتأثرين بالفلسفة،وكانت له عناية بالتصوف وقد غلا فيه ، وأقبل في آخر عمره على الحديث ، صنف التصانيف الكثيرة من أشهرها : إحياء علوم الدين ، وفيه أشياء منكرة ، توفي سنة (٥٠٥هـ)انظر :وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٢١٦)،سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٣٣٢) .

**المرحلة الأولى** : و تمتد هذه المرحلة من سنة ٢٧٠ هـ ، إلى وفاة الإمام أبي الطيب سهل بن أبي سهل الصعلوكي [١] – رحمه الله – سنة ٤٠٤ هـ .

وظهر في هذه المرحلة المذهب بشخصيته المستقلة ، التي لها فقهاؤها وقضاتها ومصنفاتها .

**المرحلة الثانية** : وتمتد هذه المرحلة من سنة ٤٠٤ هـ ، إلى وفاة أبي حامد الغزالي رحمه الله سنة ٥٠٥ هـ .

وفي هذه المرحلة استقر المذهب على بقعة جغرافية واسعة من بلاد المسلمين ، استقراراً حال بقوته دون اندثار المذهب في العصور التالية .

**ثالثاً** : دور تحرير المذهب وتنقيحه .

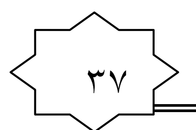
و يمتد هذا الدور من سنة ٥٠٥ هـ ، إلى وفاة الإمام شمس الدين الرملي [٢] رحمه الله سنة ١٠٠٤ هـ ، ويتضمن ثلاث مراحل .

**المرحلة الأولى** : وتمتد من سنة ٥٠٥ هـ ، إلى وفاة الإمام النووي رحمه الله سنة ٦٧٦ هـ .

---

(١) هو : الإمام أبو الطيب سهل بن الإمام أبي سهل محمد بن سليمان العجلي ثم الصعلوكي النيسابوري ، الفقيه شيخ الشافعية بخرسان ، درَّس وتخرج به الأئمة ، من أقواله : من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه. توفي سنة ٤٠٤ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ( ١٧ / ٢٠٧ – ٢٠٩ ).

(٢) هو : محمد بن أحمد بن حمزة شمس الدين الرملي ، فقيه الديار المصرية في عصره ، ومرجعها في الفتوى ، يقال له : الشافعي الصغير ،له تصانيف عديدة منها : غاية البيان في شرح زُبَد ابن رسلان. توفي سنة ١٠٠٤ هـ . انظر : الأعلام للزركلي ( ٦ / ٧ ) .




وتتضمن هـــذه المرحلة الجهود الضخمة التي قام بها الإمامان الرافعي [(١)] و النووي رحمهما الله في تنقيح المذهب وتهذيبه .

**الـــمرحلة الثانية** : وتمتد من سنة ٦٧٦ هـــ ، إلى وفاة الشيخ زكريا الأنصاري [(٢)] رحمه الله سنة ٩٢٦ هـــ .

وبرزت في هذه المرحلة جهود السبكي [(٣)] وابن الرفعة [(٤)] وجمال الدين الأسنوي [(٥)] والأنصاري – رحمهم الله – في خدمة المذهب والتصنيف فيه .

---

(١) هو : عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القزويني أبو القاسم الرافعي ، كان متضلعاً من علوم الشريعة ، وكان إماما محققاً ، ويُعتبـــر أحـــد محرري ومنقحي المذهب الشافعي ، له تصانيف كثيرة أشهرها : كتاب المحرر وهو عمدة في تحقيق المـــذهب ، . توفي سنة ٦٢٤ هـــ . انـــظر : سيــــر أعلام النبلاء ( ٢٢ / ٢٥٢ ) .

(٢) هو: الإمام الشيخ زكريا الأنصاري ، علامة المحققين ، وفهامة المدققين ، كان بارعا في كثير من العلوم ، وله مؤلفات عديـــدة منها : أسنى المطالب في شرح روضة الطالب. توفي سنة ٩٢٦ هـــ . انظر : شذرات الذهب لابن العماد ( ٨ / ١٣٤ ) .

(٣) هو :تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي أبو الحســـن، ولي قضاء الشام ، وله مؤلفات مشهورة : كالعمدة ، وطبقات الشافعية . توفي ســـنة ٧٥٦ هـــــ. انظر : طبقات الشافعية الأسنوي ( ٢ / ٧٥ – ٧٦ ) .

(٤) هو : أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع الملقب بنجم الدين المعروف بابـــن الرفعـــة ، كان شافعي زمانه وإمام أوانه . توفي سنة ٧١٠ هـــ . انـــظر : طبقات الســـبكي ( ٩ / ٢٤ ) ، وطبقات الأسنوي ( ١ / ٦٠١ – ٦٠٢ ) .

(٥) هو : جمال الدين أبو عبد الله عبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي ، الإمام العلامة ، انتهت إليه رئاسة الشافعية ، من تصانيفه :كافي المحتاج في شرح المنهاج ، تصحيح التنبيه، الأشباه والنظائر . توفي ســـنة ٧٧٢ هـــ .انظر :الدرر الكامنة لابن حجر(٢/ ٣٥٤ ) .

**المرحلة الثالثة** : وتمتد من سنة ٩٢٦ هـ ، إلى وفاة الإمام شمس الدين الرملي رحمه الله سنة ١٠٠٤ هـ .

وفيها نقح الإمامان ابن حجر الهيتمي [١] و شمس الدين الرملي رحمهما الله المذهب تنقيحاً ثانياً معتمداً على التنقيح الأول للإمامين الرافعي والنووي .

(١) هو : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، أجازه شيوخه بالتدريس والإفتاء قبل أن يبلغ العشرين ، كان شديد الدفاع عن الصحابة ﷺ ، له تصانيف كثيرة من أشهرها : الإمداد شرح الإرشاد ،الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة . توفي سنة ٩٧٣ هـ وقيل : ٩٧٤ هـ . انظر : الأعلام ( ١ / ٢٣٤ ) .

**المبحث الثاني : التعريف بأبرز أئمة الشافعية – رحمهم الله – ممن أثبت تقريراهم في الرسالة .**

**الإمام المُزني رحمه الله :**

الإمام العلامة ، فقيه الملة ، علَم الزهاد ، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحي بن إسماعيل ابن عمرو بن مسلم المزني المصري ، تلميذ الشافعي .

مولده سنة خمس وسبعين ومئة

وهو قليل الرواية ولكنه كان رأساً في الفقه ، وقد امتلأت البلاد بـ(( مختصره )) في الفقه ، وشرحه عدة من الكبار .

قال الشافعي : المزني ناصر مذهبي .

وقال السبكي : الإمام الجليل ، ناصر المذهب وبدر سمائه ، كان جبل العلم ، مناظرا محاججا ، زاهدا ورعا ، مُتقلِّلا من الدنيا ، مجاب الدعوة .

وكان – رحمه الله – مجاب الدعوة ، ذا زهد وتأله ، أخذ عنه خلق من العلماء وبه انتشر مذهب الشافعي في الآفاق .

توفي – رحمه الله – في رمضان لست بقين من شوال سنة أربع وستين ومئتين ، وله تسع وثمانون سنة [١] .

---

(١) انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ( ١ / ٢١٧ ) ، سير أعلام النبلاء للذهبي ( ١٢ / ٤٩٢ ) ، طبقات الشافعية للأسنوي ( ١ / ٣٤ ) .

**الإمام المروزي رحمه الله :**

الإمـــام ، الحافظ ، شيـــخ الإسلام ، أبـــو عبـــد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي .

ولد ببغداد سنة اثنتين ومئتين .

قال ابن حبان : كان أحد الأئمة في الدنيا ، ممن جمع وصنف .

وقال الحاكم : إمام عصره بلا مدافعة في الحديث .

وقال السليماني : محمد بن نصر المروزي إمام الأئمة الموفق من السماء له : كتـــاب تعظيم قدر الصلاة ، وكتاب رفع اليدين وغيرهما من الكتب المعجزة .

وقال الخطيب : صنف الكتب الكثيرة ، ورحل إلى الأمصار في طلب العلم ، وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام .

توفي – رحمه الله – سنة أربع وتسعين ومئتين (١) .

**الإمام الطبري رحمه الله :**

الإمام العلم ، المجتهد ، عالم العصر ، صاحب التصانيف البديعة ، محمد بن جريـــر ابن يزيد بن كثير ، أبو جعفر الطبري .

ولد سنة أربع وعشرين ومئتين .

أكثر الترحال ، ولقي نبلاء الرجال ، وكان من أفراد الدهر علما ، وذكاء ، وكثرة تصانيف ، قلَّ أن ترى العيون مثله .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد للخطيب ( ٣ / ٣١٥ ) ، تذكرة الحفاظ للذهبي ( ٢ / ٦٥٠ ) ، سير أعلام النبلاء ( ١٤ / ٣٣ ) .

قال الخطيب : وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، فكان حافظا لكتاب الله ، عارفا بالقراءات ، بصيرا بالمعاني ، فقيها بأحكام القرآن ، عالما بالسنن وطرقها ، صحيحها و سقيمها ، وناسخها و منسوخها ، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ، عارفا بأيام الناس وأخبارهم ، وله الكتاب المشهور في (( أخبار الأمم وتاريخهم )) وله كتاب (( التفسير )) لم يصنف مثله ، وكتاب سماه (( تهذيب الآثار )) لم أر سواه في معناه لكنه لم يتمه ، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة .

قال ابن خزيمة : ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير .

وقد أظهر مذهب الشافعي ببغداد عشر سنين ، ثم انتهى إلى ما أدى إليه اجتهاده .

توفي – رحمه الله – سنة عشر وثلاثمائة [1] .

**إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله :**

الحافظ الحجة الفقيه ، شيخ الإسلام ، وإمام الأئمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر ، أبو بكر السُّلمي النيسابوري الشافعي ، صاحب التصانيف .

ولد سنة ثلاث وعشرين ومئتين .

عُني في حداثته بالحديث والفقه ، ثم صار يُضرب به المثل في سعة العلم والإتقان .

قال الدارقطني : كان ابن خزيمة إماما ثبتا معدوم النظير .

وقال أبو حاتم ابن حبان : ما رأيت على وجه الأرض من يُحسن صناعة السنن ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها حتى كأنها بين عينيه إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة فقط .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد ( ٢ / ١٦٢ ) ، وفيات الأعيان ( ٤/ ١٩١ ) ، تذكرة الحفاظ ( ٢ / ٧١٠ ) .

وقال الذهبي : ولابن خزيمة عظمة في النفوس ، وجلالة في القلوب ، لعلمه ودينه واتباعه السنة .

توفي – رحمه الله – سنة إحدى عشرة وثلاثمائة (١) .

**الإمام الآجري رحمه الله :**

الإمام ، المحدث ، الفقيه ، القدوة ، شيخ الحرم الشريف ، محمد بن الحسين بن عبد الله ، أبو بكر الآجري البغدادي ، صاحب التواليف .

كان صدوقا ، خيرا ، عابدا ، صاحب سنة و اتباع .

قال الخطيب : كان ديّنا ثقة له تصانيف .

من أشهر تصانيفه : كتاب الشريعة في السنة ، والرؤية ، والغرباء ، والأربعين وغيرها .

توفي بمكة سنة ستين وثلاثمائة (٢) .

**الإمام الصابوني رحمه الله :**

الإمام الحافظ ، والواعظ المفسِّر ، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل ، أبو عثمان الصابوني النيسابوري ، كان شيخ خرسان في زمانه .

ولد سنة ثلاث وسبعسن وثلاثمائة .

قال أبو عبد الله المالكي: أبو عثمان ممن شهدت له أعيان الرجال بالكمال في الحفظ والتفسير .

---

(١)تذكرة الحفاظ ( ٢ / ٧٢٠ ) ، سير أعلام النبلاء ( ١٤ / ٣٦٥ ) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ( ١٦ / ١٣٣ ) ، طبقات الشافعية للسبكي ( ٣ / ١٤٩ ) .

وقال الكتاني : ما رأيت شيخا في معنى أبي عثمان زهدا وعلما ، كان يحفظ من كل فن لا يقعد به شيء ، وكان يحفظ التفسير من كتب كثيرة ، وكان من حفاظ الحديث .

وقال الذهبي : ولقد كان من أئمة أهل الأثر ، له مصنف في السنة واعتقاد السلف ما رآه منصف إلا واعترف له .

من تصانيفه المشهورة : الفصول في الأصول ، وكتاب الإنتصار ، وعقيدة السلف أصحاب الحديث .

توفي – رحمه الله – سنة تسع وأربعين وأربعمائة (١) .

**الإمام السمعاني رحمه الله :**

الإمام العلامة ، مفتي خرسان ، شيخ الشافعية ، محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي ، أبو المظفر السمعاني المروزي .

ولد سنة ست وعشرين وأربعمائة .

قال إمام الحرمين: لو كان الفقه ثوبا طاويا ، لكان أبو المظفر السمعاني طرَّازه .

وقال حفيده أبو سعد ابن السمعاني : إمام عصره بلا مدافعة ، عديم النظير في فنه ، ولا أقدر أن أصف بعض مناقبه ، ومن طالع تصانيفه وأنصف ، عرف محله من العلم .

وقال أبو علي الصفار : إذا ناظرت أبا المظفر ،فكأني أناظر رجلا من أئمة التابعين ، مما أرى عليه من آثار الصالحين .

(١) انظر : طبقات الشافعية لابن كثير ( ١ / ٣٨٦ ) ، طبقات الشافعية للسبكي ( ٤ / ٢٧١ ) .

وقال الذهبي : تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة وكان شوكا في أعين المخالفين ، وحُجة لأهل السنة .

له تصانيف مشهورة منها : (( الإصطلام )) وكتاب (( البرهان )) وكتاب (( القواطع )) وكتاب (( الإنتصار )) وغيرها .

توفي – رحمه الله – سنة تسع وثمانين وأربعمائة (١) .

**الإمام البغوي رحمه الله :**

الشيخ الإمام ، العلامة القدوة الحافظ ، شيخ الإسلام ، محي السنة ، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء ، أبو محمد البغوي الشافعي المفسر صاحب التصانيف .

ولد سنة ثلاث وثلاثين وقيل : ست وثلاثين وأربعمائة .

قال ابن كثير: كان دينا عالما عاملا على طريقة السلف ومنهجهم .

وقال الذهبي : كان زاهدا قانعا باليسير ، بورك له في تصانيفه ، ورزق فيها القبول التام لحسن قصده ، وصدق نيته ، وتنافس العلماء في تحصيلها .

من أشهر تصانيفه : (( شرح السنة )) و (( معالم التنزيل )) و (( التهذيب )) في المذهب ، و (( الجمع بين الصحيحين )) وغيرها .

توفي – رحمه الله – سنة ست عشرة وخمسمائة (٢) .

---

(١) انظر : وفيات الأعيان (٣ /٢١١ ) ، سير أعلام النبلاء ( ١٩ / ١١٤ ) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ( ١٩ / ٤٣٩ ) .

## المبحث الثالث : التعريف بالسلف الصالح ووجوب اتباعهم ٠
**وفيه ثلاثة مطالب :**

**المطلب الأول** : التعريف بالسلف لغة واصطلاحاً ٠

**السلف لغة** : جميع تصاريف هذه الكلمة في اللغة تدل على السبق و التقدم ٠

قال ابن فارس [١] : ( سلف ) السين ، واللام ، والفاء ، أصل يدل على تقدم وسبق ، من ذلك السلف الذين مضوا ، والقوم السلاف : المتقدمون )) [٢] ٠

قال الجوهري[٣] : (( سلف يسلف سلفاً أي : مضى ، والقوم السلاف المتقدمون ، والجمع أسلاف و سلاف ٠٠٠ والسالف و السليف المتقدم ، والتسليف التقديم ))[٤] ٠

وقال الراغب الأصفهاني [٥] : ((السلف المتقدم ، ولفلان سلف كريم أي : آباء متقدمون ، وجمعه أسلاف )) [٦] ٠

---

(١) هو: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ، اللغوي ، كان إماماً في علوم شتى وخصوصاً في العربية ، من كتبه : المجمل ، ومعجم مقاييس اللغة ، توفي سنة (٣٩٠هـ) ٠ انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ( ١ / ١١٨ ) ٠

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ( ٣/ ٩٥ ) ٠

(٣) هو : أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي الأُتراري الفارابي ، الجوهري ، إمام أهل اللغة والأدب ، وخطُّه يُضرب به المثل في الجودة ، من مصنفاته : الصحاح ، توفي سنة ( ٣٩٣ هـ )٠ انظر : سير أعلام النبلاء ( ١٧ / ١٨٠ ) ٠

(٤) الصحاح للجوهري ( ١/ ٦٠٣-٦٠٤) ٠

(٥) هو: الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني ، أبو القاسم ، الملقب بالراغب ، كان من أذكياء المتكلمين ، وله تصانيف عديدة ، منها : مفردات ألفاظ القرآن ، اختلف في سنة وفاته واختار السيوطي أنها في أوائل المائة الخامسة ٠ انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ١٨ / ١٢٠ – ١٢١ ) ٠

(٦) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الاصبهاني (٤٢٠ ) ٠

وذكر ابن منظور [١] أن للسلف معنيين :

**أحدهما** : كل شيء قدمه العبد من عمل صالح ٠

**الثاني** : الذي يتقدم الإنسان من آبائه وذوي قرابته الذين هم فوقه في السن ٠

وهذان المعنيان اللذان ذكرهما أهل اللغة ذكرهما المؤلفون في غريب الحديث أيضاً ففي (( مشارق الأنوار )) : (( السلف : كل عمل صالح تقدم للعبد ، ومنه في الدعاء للطفل: (( اجعله لنا فرطاً وسلفاً )) [٢] أي : خيراً متقدماً نجده في الأخرة )) [٣] ٠

وقال ابن الأثير [٤] : (( ٠٠٠ سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته ، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح )) [٥] ٠

ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ [٦]

---

(١) هو: أبو القاسم محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري المشهور بابن منظور الأفريقي ، الأديب ،اللغوي ، الناظم ، من مؤلفاته : لسان العرب ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، توفي سنة ( ٧١١ هـ ) انظر : معجم المؤلفين ( ٣/ ٧٣١ ) ٠

(٢) هذا الأثر مروي عن الحسن البصري ذكره البخاري معلقاً في صحيحه في كتاب الجنائز٠ انظر : صحيح البخاري مع الفتح ( ٣ / ٢٠٣ ) قال الحافظ ابن حجر : ووصله عبد الوهاب ابن عطاء في كتاب الجنائز له عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن ٠ انظر : فتح الباري ( ٣/ ٢٠٣ ) ٠

(٣) مشارق الأنوار على صحاح الأثار للقاضي عياض ( ٢ / ٣٧٠ ) ٠

(٤) هو : المبارك بن محمد الشيباني ، مجد الدين ، أبو السعادات ، المعروف ابن الأثير الجزري ، كان محدثاً ولغوياً بارعاً ، من مصنفاته : جامع الأصول من أحاديث الرسول ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، توفي سنة ( ٦٠٦ هـ ) ٠ انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٢١/ ٤٨٨ ) ٠

(٥) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ( ٢ / ٣٩٠ ) ٠

(٦) سورة الزخرف الآية : ( ٥٦ ) ٠

قال الإمام البغوي — رحمه الله – في تفسيره لهذه الآية : (( والسلف من تقدم من الآباء ، فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون )) [١] ٠

ومنه قوله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها : (( ٠٠٠ ولا أرآني إلا وقد حضر أجلي ، فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك )) [٢] أي : المتقدم ٠

**السلف اصطلاحاً :**

لقد وقع الاختلاف في تحديد مدلول كلمة السلف إلى عدة أقول :

**القول الأول** : ذهب بعض شُراح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني [٣]رحمه الله أن السلف هم الصحابة ﷺ خاصة ٠

قال القلشاني رحمه الله [٤] في تحرير المقالة من شرح الرسالة :

(( السلف الصالح وهو الصدر الأول الرّاسخون في العلم، المهتدون بهدي النبي ﷺ، الحافظون لسنته ، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ، وانتخبهم لإقامة دينه ، ورضيهم أئمة الأمة ، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ، وأفرغوا في نصح الأمة ونفعها ، وبذلوا في مرضاة الله أنفسهم )) [٥] ٠

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٧/ ٢١٨ ) ٠

(٢) صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل فاطمة ﵂ رقم (٢٤٥٠) ، ( ٤ / ١٩٠٤ ) ٠

(٣) هو:أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي،كان إماماً،فقيهاً،مفسراً، صاحب سنة واتباع، من مصنفاته : إعجاز القرآن ، والرسالة ، توفي سنة( ٣٨٦ هـ) ٠ أنظر: معجم المؤلفين لكحالة (٢/٢٥٢)٠

(٤) هو : أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني ، كان قاضيا بتونس ، الغبريني وابن عرفة ووالده ، له شرح على الرسالة وابن الحاجب ٠ انظر : موسوعة أعلام المغرب ( ٢ / ٧٦٧ ) ٠

(٥) تحرير المقالة من شرح الرسالة للقلشاني ( ق ٣٦ ) ، مخطوط بمكتبة الجامعة الإسلامية رقم (٦٠٤) وانظر : حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني لعلي الصعيدي ( ١/ ١٠١٢ ) ، والثمر الداني لعبد السميع الآبي ( ٢٤ ) ٠

**القول الثاني** : وحدد أبو حــامد الغزالي رحمه الله السلف بالصحابة والتابعين ﷺ فقال في إلجام العوام عن علم الكلام : (( اعلم أن الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني مذهب الصحابة والتابعين )) [١] .

**القــول الثالث** : وهــو ما ذهب إليه كثير من أهل العلم كالإمام الشــوكاني [٢] والسفاريني [٣] وغيرهما إلى أن السلف هــم الصحابة والتابعون وتابعوهم أي : القــرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ [٤] .

**وهو القول الراجح** لما ثبت في الصحيحين من حديث عمران بن الحصين [٥] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (( خير أمتي قرني ، ثم الذين يلوهم ، ثم الذين يلوهم ٠٠٠)) [٦] الحديث .

(١) إلجام العوام عن علم الكلام للغزالي ( ٥٣ ) .

(٢) هو : أبــو عبد الله محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، الإمام ، العلــم ، المحــدث ، الفقيــه ، الأصولي، مــن مصنفاته : تفسير فتــح القدير ، ونيــل الأوطــار ، توفي سنة ( ١٢٥٠ هــ ) انظر : معجم المؤلفين (٣/ ٥٤١ ) ، الأعلام للزركلي ( ٦/ ٢٩٨ ) .

(٣) هو : أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، أحــد علماء الحــديث و الأصــول والأدب ، ولد بنابلس من قرى فلسطين وتوفي بها سنة ( ١١١٨ هــ ) له تصانيف عدة أشــهرها : لوامع الأنوار البهية . أنظر : الأعلام للزركلي ( ٦ / ١٤ ) ومعجم المؤلفين (٣/ ٣٢٦ ) .

(٤) أنظر : التحف في مذاهب السلف للشوكاني ( ٣٣ ) ولوامع الأنوار للسفاريني ( ١/ ٢٠ ) .

(٥) هو : عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي ، أبو نُجيد ، أسلم عــام خيبر ، وصــحب النبي ﷺ وغزا معه غزوات ، توفي بالبصرة سنة ( ٥٢ هــ ) رضي الله عنه . انــظر: أسد الغابة (٧٧٨/٣) .

(٦) أخرجه البخاري ، كتــاب الشهادات ، باب لا يشهد على جور إذا أُشهد ، رقم (٢٦٥٢ ) ، ( ٢ / ٢٥١ ) ، وأخرجه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب : فضل الصحابة ثم الذين يلوهم ثم الــذين يلوهم ، رقم (٢٥٣٤) ، ( ٤ / ١٩٦٣ ) .

وأمـــا من قـــال أن السلف هم الصحابة ، والتابعون ، فالظاهر أن ذلك داخل في الحديث .

(( ومما ينبغي أن يعلم أن السبق الزمـــني ليس كافياً في تعيين السلف ، بل لابد أن يضاف إلى هذا السبق الزمني موافقة الرأي للكتاب والسنـــة نصاً وروحاً، فمن خـــالف رأيه الكتاب والسنة ، فليس بسلفي وإن عاش بين ظهراني الصحابة والتابعين )) (١) .

وذلك أننا نجد بعض من عاشوا في تلك الحقبة كانوا من أئمة أهل البدع والأهـــواء وهم بعيدون كل البعد عن عقيدة السلف ومنهجهم ، أمثال :

عبد الله بن سبأ (٢) اليهودي الذي أظهـــر التشـــيع(٣) والـــرفض، وزعـــم محبـــة آل البيت .

---

(١) الإمام ابن تيمية وقضية التأويل للدكتور الجليند ( ٥٢ ) بتصرف يسير .

(٢) هو : عبد الله بن سباء ويقال له : ابن السوداء ، يهودي من أهل صنعاء ، أظهـــر الـــدخول في الإسلام في خلافة عثمان بن عفان ﷺ ، وتجول في بعض الأقطار الإسلامية وبث في المسلمين أفكاره المنحرفة المضللة ، واتخذا التشيع ستارا له ، فكان رأس الفتنة وموقدها .

انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي ( ٢٢٥ / ٣٣٢-٢٣٤ ) ، تاريخ المذاهب الإسلامية لمحمـــد أبـــو زهرة ( ٢٩- ٣٠ ) .

(٣) **الشيعة** : هم الذين شايعوا علي بن أبي طالب ﷺ على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية ، إما جليا وإما خفية ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، فإن خـــرجت منهم فبظلم من غيرهم أو بتقية مـــن عنـــدهم ، وقالوا : أن الإمامة ركن الدين ، وقد انقسمت الشيعة إلى عدة طوائف يجمعها القول بوجوب التعيين والتنصيص على الإمامة ، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عـــن الكبائر والصغائر ، والقول بالتبري والتولي ، قولا وفعلا وعقدا ، إلا في حالة التقية ، ويخالفهم بعـــض الـــزيدية في ذلك . انـــظر : الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ١٤٦ – ١٤٧ ) ومقـــالات الإسلاميين للأشعري ( ١ / ٦٥ ) .

ونافع بن الأزرق [١] الخارجي الذي كفر مخالفيه من المسلمين ، وستحلَّا دماءهم .
ومعبد الجهني [٢] الذي على يديه نبتت فتنة القدرية [٣] .
وظهر أيضاً الجعد بن درهم [٤]

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

(١) هو : نافع بن الأزرق الحنفي، وإليه تنسب الأزارقة ، خرج في البصرة في عهد عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، واشتدت شوكته، وكثرت جموعه ، فبعث إليه عبد الله بن الحارث جيشا كثيفا بقيادة مسلم بن عبس بن كريز بن ربيعة واشتد القتال بين الطرفين حتى قتل مسلم أمير الجيش ، وقتل أمير الخوارج نافع بن الأزرق ، وكان ذلك في عام ( ٦٥ هـ ) . انظر : الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ١١٨ – ١١٩ ) ، الفر ق بين الفرق للبغدادي ( ٥٦ – ٥٨ ).

(٢) هو : معبد بن خالد الجهني ، البصري ، سمع الحديث من ابن عمر وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم ، وهو أول من تكلم في القدر في الإسلام ، ويذكر أنه أخذ ذلك عن رجل من النصارى من أهل العراق ، وصفه الحسن البصري بأنه ضال مضل ، واختلفوا في موته فقيل : صلبه عبد الملك بن مروان ، وقيل: خرج مع ابن الأشعث فأخذه الحجاج بن يوسف فعذبه بأنواع العذاب ثم قتله ، وأرخوا موته في سنة (٨٠ هـ ) وقيل : بعدها . انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي ( ١٤ – ١٥ ) ، والبداية والنهاية لابن كثير ( ٩- ٣٤ ) .

(٣) **القدرية** : نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه حيث قالوا : إن الأمر أُنف أي أن الله تعالى لم يقدر على خلقه شيئا مما هم عليه ويزعمون أن العبد هو الذي يخلق فعله استقلالاً ، فأثبتوا خالقا مع الله ، ظهرت بدعتهم في زمن المتأخرين من الصحابة مثل ابن عمر رضي الله عنه عنه حيث قال فيهم:(( والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر )) . انظر : الخطط للمقريزي ( ٢/ ٣٥٦ ) ، الملل والنحل للشهرستاني ( ١/ ٤٥ ) صحيح مسلم كتاب الإيمان رقم (١) .

(٤) هو : الجعد بن درهم ، مؤدب مروان الحمار ، أول من ابتدع أن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، قُتل في مدينة واسط بالعراق في أوائل المئة الثانية على يد الأمير خالد بن عبد الله القسري . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٥/ ٤٣٣ ) ، ومقالة التعطيل والجعد بن درهم للدكتور التميمي (١٢٥-١٦١) .

.............. شيخ الجهم بن صفوان [١] زعماء الجهمية [٢] منكري الصفات .

وكذلك واصل بن عطاء [٣] شيخ المعتزلة [٤] الأول .

---

(١) هو : أبو محرز جهم بن صفوان الراسبي مولاهم السمرقندي ، أسُّ الضلالة ورأس الجهمية ، ضال مبتدع ، وقد زرع شراً عظيماً ، رأس في التعطيل ، يقول بنفي الأسماء والصفات ، ويزعم أن القرآن مخلوق ، وهو جبري في الأفعال ، ويذهب إلى القول بفناء الجنة والنار . فضرب في كل بدعة بسهم. قُتل على يد سلم بن أحوز سنة ( ١٢٨هـ). انظر : الكامل لابن الأثير(٥/ ٣٤٢- ٣٤٤)، البداية والنهاية لابن كثير ( ١٠ / ٢٨ ) مقالات الجهم بن صفوان لياسر قاضي(٦٨-١٠٩) .

(٢) **الجهمية** : فرقة ضالة ، وهم أتباع الجهم بن صفوان ، يقولون : بنفي الأسماء و الصفات وأن الإنسان مجبور ، ويزعمون أن الإيمان هو المعرفة ، وأن الجنة والنار تفنيان .

واسم الجهمية عموماً أخذا طابع التعطيل ،فكل من عطل ولو يسيراً قيل فيه تجهم .انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ( ١/ ٣٣٨ ) التبصير في الدين ( ١٠٧ – ١٠٨ ).

(٣) هو : واصل بن عطاء الغزَّال ، أبو حذيفة المخزومي البصري ، القدري رأس المعتزلة وإمامهم ، وهو أول من قال بالمنزلة بين المنزلتين ، كان بليغاً يلثغ بالراء فيتجنبها ، توفي سنة ( ١٣١ هـ ) . انظر : ميزان الاعتدال للذهبي (٧/ ١١٨ ) ، وسير أعلام النبلاء له (٥/ ٤٦٤ ) .

(٤) **المعتزلة** :سميت بذلك بسبب الخلاف بين الإمام الحسن البصري رحمه الله وواصل بن عطاء ، وقول الأخير بالمنزلة بين المنزلتين فطرده الحسن من مجلسه ، فاعتزل إلى سارية من سواري مسجد البصرة فقيل له ولأتباعه : المعتزلة ، وقد افترقت المعتزلة فيما بينها عشرين فرقة ، تجتمع كلها على نفي الصفات عن الله تعالى ، ونفي رؤيته بالأبصار يوم القيامة ، والقول بخلق القرآن ، ونفي القدر ، وأن العباد يخلقون أفعالهم ، وأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلتين وفي الآخرة مخلد في النار . انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ( ٧٨ – ٧٩ ، ٨٢ ) ، واعتقادات فرق المشركين والمسلمين للرازي (٣٨ – ٣٩) .

ولهذا قيد الإمام السفاريني رحمه الله السلف الذي يُقتدى بهم بأن يكون ممن شُهد له بالإمامة، و لم يُرْمَ ببدعة [(١)] ، فقال : (( المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة وعرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف ، دون من رمي ببدعة أو شُهر بلقب غير مرضي ،مثل : الخوارج [(٢)] ، والروافض [(٣)] ، والقدرية والمرجئة [(٤)] ، ........................................

---

(١) **البدعة** : أجمع تعاريف البدعة وأسلمها هو تعريف الإمام الشاطبي وهو : (( عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة ، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه )) الاعتصام للشاطبي ( ١/ ٣٧ ) .

(٢) **الخوارج** : يطلق على كل من خرج على الإمام الذي اتفقت عليه الجماعة ، ولكن إذا أُطلق فالمراد به طائفة الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بحروراء ، وقد انقسم الخوارج إلى طوائف ويجمعهم القول بالتبري من علي وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل ﷺ ، والخروج على السلطان ، وتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار . انظر : مقالات الإسلاميين للأشعري ( ١ / ١٦٧ ) ، والملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ١١٤ ) ، والفرق بين الفرق للبغدادي ( ٥٠ ) .

(٣) **الرافضة** : هم الغلاة في حب علي وبغض أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية وكثير من الصحابة ﷺ ، وسموا بالرافضة لأن زيد بن الحسين بن علي ﷺ امتنع من لعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال وزيرا جدي ﷺ فرفضوا رأيه، فسموا روافض،وقيل:لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر= =وقيل : لرفضهم الدين ، وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب ﷺ باسمه وأظهر ذلك وأعلنه ، وأن أكثر الصحابة ﷺ ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد موت النبي ﷺ ، وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف ، وأن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس ، وأن عليا ﷺ كان مصيبا في جميع أحواله . انظر : مقالات الإسلاميين للأشعري ( ١/ ٨٨ ) ، الخطط للمقريزي ( ٢/ ٣٥١ ) ، الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ١٦٢ ) .

(٤) **المرجئة** : من الإرجاء وهو التأخير ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ ، وسموا بذلك لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان ، وقيل:لإعطائهم الرجاء ، حيث قالوا : لا تضر مع الإيمان

والجبرية [١] ، والجهمية ، والمعتزلة ، و الكرَّامية [٢] ، ونحو هؤلاء )) [٣] .

((وعلى هـذا فكل مـن سلك سبيل السلف الصالح وسار على نهجهم فهو سلفي نسبة إليهم .

**والسلفية** : هي المنهج الذي سار عليه النبي ﷺ والقرون المفضلة من بعده ، والذي أخبر النبي ﷺ بأنه باق إلى أن يأتي أمر الله لحديث : (( لا تزال طائفة من أمـتي ظاهرين على الحق لا يضرُّهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك )) [٤] .

فيصح الانتساب إلى هذا المنهج متى التزم الإنسان بشروطه وقواعده ، فكـل مـن حافظ على سلامة العقيدة والعمل طبقاً لفهم القرون الثلاثة فهو ذو نهج سلفي )) [٥] .

---

معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة . وهم فرق يجمعهم : القول= =بإخراج العمل عـن مسـمى الإيمان . انظر : الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ١٣٩ ) ، ومقـالات الإسـلاميين للأشـعري ( ١ / ٢١٣ ) ، ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين لليافعي ( ١٣٢ ) .

(١) **الجبرية** : هم الغلاة في نفي استطاعة العبد على الفعل ، وإضافته إلى الرب تعالى ، وهم أصناف، الجبرية الخالصة : وهي التي لا تنسب للعبد فعلاً ولا قدرةً على الفعل ، والجبرية المتوسطة : وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مـؤثرة أصـلاً . انـظر : الملل والنـحل للشهرستاني ( ١ / ٨٥ ) ، الخطط للمقريزي ( ٢ / ٣٤٩ ) .

(٢) **الكـرَّامية** : نسبة إلى محمد بن كـرّام السجستاني ، قال بأن الإيمان مجرد القول ، وكان مـن المجسمة في باب الصفات ، توفي سنة ( ٢٥٥ هـ ) . انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٥٢٣).

(٣) لوامع الأنوار للسفاريني ( ١/ ٢٠ ) .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قوله : لا تزال طائفـة مـن أمـتي ظاهرين على الحق ، رقـم ( ٧٣١١ ) ، ( ٤ / ٣٦٦ ) ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ، رقم (١٩٢٠) ، ( ٣ / ١٥٢٣ ) .

(٥) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات للدكتور التميمي ( ٥٤ –٥٥ ) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :

(( لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه و اعتزى إليه ، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق ، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً)) [١] .

(( وقد يظنُّ بعض الناس ممن يعرفون ولكنهم يحرفون عند ذكر السلفية : أنها إطار جديد لجماعة إسلامية جديدة انتزعت نفسها من قلب دائرة الجماعة الإسلامية الواحدة ، وهي تتخذ لنفسها من معنى هذا العنوان وحده مفهوماً معيناً ، فتمتاز عن بقية المسلمين بأحكامها و ميولاتها بل تختلف عنهم حتى بمزاجها النفسي ومقاييسها الأخلاقية [٢] .

وليس لذلك واقع البتة في المنهج السلفي ، إذ السلفية تعني : الإسلام المصفى من رواسب الحضارات القديمة ، وموروثات الفرق العديدة بكماله وشموله كتاباً وسنةً بفهم السلف الممدوحين بنصوص الكتاب والسنة )) [٣] .

فـ (( مدلول السلفية أصبح اصطلاحاً معروفاً يطلق على طريقة الرعيل الأول ومن يقتدون بهم في تلقي العلم ، وطريقة فهمه ، وبطبيعة الدعوة إليه ، فلم يَعُدْ إذاً محصوراً في دور تاريخي معين ، بل يجب أن يفهم على أنه مدلول مستمر استمرار الحياة )) [٤] .

---

(١) مجموع الفتاوى ( ٤/ ١٤٩ ) .

(٢) أنظر ما كتبه الدكتور سعيد رمضان البوطي في كتابه : (( السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي )) وكان غرض المؤلف هو إسقاط منهج السلف في التلقي والاستدلال والاستنباط ، لتصحيح مذهب الخلف في ذلك ، وقد ردَّ صاحب الفضيلة العلامة الدكتور صالح الفوزان على هذا الكتاب بكتاب آخر سماه : (( نظرات وتعقبات على ما في كتاب السلفية لمحمد سعيد رمضان من الهفوات )) وقد ضمنه ردود علمية قوية اعتمد فيها – حفظه الله – على الكتاب والسنة وأقوال السلف وعلماء السنة . فليراجعه من أراد التوسع في الموضوع .

(٣) لماذا اخترت المنهج السلفي لسليم بن عيد الهلالي ( ٣٣ –٣٤ ) .

(٤) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية للدكتور محمد أمان الجامي ( ٦٤ ) .

**المطلب الثاني : الأدلة على وجوب اتباع السلف الصالح من القرآن والسنة ٠**

لقد تضافرت الأدلة من كتـــاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ على وجوب إتباع السلف الصالح رضوان الله عليهم ومدح من سلك سبيلهم واقتفى آثارهم وذم من أعرض عن طريقتهم و لم يهتد بهديهم ٠

ومن هذه الأدلة :

**أولاً** : قال تعـــالى : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١)

**وجه الدلالة** : أنَّ الله ﷻ أثـــنى على من اتبع سبيل الصحابة مـــــن المهـــاجرين والأنصار ،فدل ذلك على وجوب إتباعهم ، ولـــو كان إتباعهم لا يتميز عـــن غيرهم لما استحقوا هذا الثناء والمدح ٠

**ثانياً** : قال تعالى : ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ﴾ (٢)

**وجه الدلالة** : أنَّ جميع الصحابة ﭫ أنابوا إلى رهم ، وحققوا هذا المقام أتم تحقيق ، فدل ذلك على وجوب إتباعهم في فهم الكتاب والسنة ٠

**ثالثاً** : قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٣)

---

(١) سورة التوبة الآية : (١٠٠) ٠

(٢) سورة لقمان الآية : (١٥)٠

(٣) سورة النساء الآية : (١١٥)٠

**وجه الدلالة** : أنَّ الله ﷻ توعد من اتبع غير سبيل المؤمنين بالعقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة ، فدل ذلك على وجوب إتباع سبيل المؤمنين في فهم الدين ٠

**رابعاً** : قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (١)

**وجه الدلالة** : أنَّ هذا الوصف ورد في أصحاب موسى عليه السلام فأخبر سبحانه أنه جعلهم أئمة يأتم بهم مَنْ بعدَهم لصبرهم ويقينهم ٠

ومن المعلوم أن أصحاب محمد ﷺ و رضي الله عنهم أكمل يقيناً ، وأعظم صبراً من أصحاب موسى عليه السلام ، إذاً فهم أولى بمنصب الإمامة ، وهذا يدل على وجوب الإقتداء بهم في فهم نصوص الكتاب والسنة ٠

**خامساً** : قال رسول الله ﷺ : (( خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ٠٠٠ )) (٢) ٠

**وجه الدلالة** : أن الخيرية التي أثبتها النبي ﷺ لأهل القرون الثلاثة تدل على استقامتهم على منهاج النبوة ، وأن الله ﷻ آتاهم فهما وعلما لا يدركه اللاحقون ٠

فعن أبي جُحيفة (٣) رضي الله عنه قال : قلت : لعلي رضي الله عنه : هل عندكم كتاب ؟

قال : (( لا إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ٠٠٠ )) (٤) ٠

وبهذا تظهر حجية فهمهم للكتاب والسنة على من بعدهم ٠

---

(١) سورة السجدة الآية : ( ٢٤ ) ٠

(٢) تقدم تخريجه ( ٤٨ ) ٠

(٣) هو : وهب بن عبد الله ، وهو وهب الخير السُّوائي ، نزل الكوفة وكان من صغار الصحابة ، توفي الرسول ﷺ ولم يبلغ الحلم لكنه سمع منه ، توفي بالبصرة سنة ٧٢ هـ ٠ أسد الغابة ( ٥ / ٤٨ – ٤٩ ) ٠

(٤) أخرجه البخاري كتاب العلم ، باب : كتابة العلم ، رقم ( ١١١ ) ، ( ١ / ٥٦ ) ٠

**سادساً** : عن أبي موسى الأشعري [١] ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (( النجوم أمنة لسماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء أمرها ، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدن ،وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون )) [٢] .

**وجه الدلالة** : أن النبي ﷺ جعل نسبة أصحابه ﷺ إلى من بعدهم كنسبته لهم ، وكنسبة النجوم إلى السماء .

وهذا التشبيه النبوي الكريم يُعطي دلالة واضحة على وجوب إتباع فهم الصحابة ﷺ ، وذلك أن الإقتداء بهم في فهمهم لنصوص الكتاب والسنة سبب للنجاة من الأهواء المضلة والآراء المنحرفة .

**سابعاً** : عن العرباض بن سارية [٣] ﷺ قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل : يا رسول الله! كأنَّ هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا ؟ قال : (( أُوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا تأمَّر ، فإنَّه من يعش منك بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجد ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة )) [٤] .

---

(١) هو : عبد الله بن قيس بن سليم بن حضّار ، أبو موسى الأشعري ، صحابي جليل مشهور ، من الولاة الشجعان الفاتحين ، وكان عامل رسول الله ﷺ على زبيد وعدن ، أختلف في سنة وفاته فقيل : سنة ٤٢ وقيل غير ذلك ﷺ . انظر : أسد الغابة ( ٣ / ٢٦٣ – ٢٦٥ ) .

(٢) أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب : بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه ، رقم (٢٥٣١) ، ( ٤ / ١٤٧٣ ) .

(٣) هو: العرباض بن سارية ، السلمي ، أبو نجيح ، سكن الشام توفي سنة : ٧٥ هـ وقيل في فتنة ابن الزبير ﷺ . انظر : أسد الغابة ( ٣ / ٥١٦ – ٥١٧ ) .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب : في لزوم السنة ، رقم ( ٤٦٠٧ ) ، ( ٥ / ١٢ – ١٣ ) ، وسنن الترمذي كتاب العلم ، باب : ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، رقم ( ٢٦٧٦ ) ، صـ( ٦٠٣ ) ، وصححه الألباني انظر : سنن الترمذي رقم ( ٢٦٧٦ ) .

**وجه الدلالة** : أن رسول الله ﷺ أمر أمته عند الاختلاف بالتمسك بسنته بفهم صحابته رضي الله عنهم .

قال العلامة الصنعاني [١] – رحمه الله – : (( فإنه ليس المراد بسنة الخلفاء الراشدين إلاَّ طريقتهم الموافقة لطريقته ﷺ من جهاد الأعداء ، وتقوية شعائر الدين ونحوها)) [٢] .

**ثامناً** : عن عبد الله بن عمرو بن العاص [٣] رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (( إن بني إسرائيل تفرَّقوا على إحدى وسبعين ملَّة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملَّة كلُّها في النار إلا ملَّة واحدة ))

قالوا : ومن هي يا رسول الله ؟

قال : (( ما أنا عليه وأصحابي )) [٤] .

**وجه الدلالة** : أن النبي ﷺ حينما أخبر عن افتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة وأنها كلها في النار إلا واحدة لم يكتف ﷺ ببيان أن سبيل النجاة لهذه الفرقة هو الاعتصام بالكتاب والسنة فقط بل أضاف إلى ذلك قيد هام يدل على وجوبه وأنه

---

(١) هو : محمد بن إسماعيل بن صلاح الحسيني الصنعاني ، الإمام العلامة الفقيه ، من مصنفاته : سبل السلام شرح بلوغ المرام ، وتطهير الإعتقاد عن أدران الإلحاد ، توفي سنة ( ١١٨٢ هـ ) . انظر : البدر الطالع للشوكاني ( ٢/ ١٣٣ ) ، الأعلام ( ٦ / ٣٨ ) .

(٢) تحفة الأحوذي للمباركفوري ( ٣ / ٥٠ -٥١ ) .

(٣) هو : عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هشام القرشي السهمي ، أبو محمد وأبو عبد الرحمن ، ، أسلم قبل أبيه ، وروى عن النبي ﷺ كثيراً، اختلف في سنة وفاته فقيل : ٦٥ هـ ، وقيل ٦٨ هـ ، وقيل ٦٩ هـ رضي الله عنه . انظر : أسد الغابة ( ٣ / ٢٤٥ – ٢٤٧ ) .

(٤) سنن الترمذي ، كتاب الإيمان ، باب : ما جاء في افتراق الأمة ، رقم ( ٢٦٤١ ) ، ص( ٥٩٥ – ٥٩٦ ) ، وسنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب : شرح السنة ، رقم ( ٤٥٩٦ ) ، ( ٥ / ٧ ) .

لا يمكن الاستغناء عنه ألا وهو التقيد بما كان عليه الصحابة ﷺ من فهمٍ لسنة رسول الله ﷺ، فإنهم أخذوا منها بحظ وافر ، فلا مطمع لأحد من الأمة بعدهم في اللحاق بهم .

قال عبد الله بن مسعود ﷺ : (( لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم ، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا )) [1] .

قال الإمام عبد الله بن المبارك [2] – رحمه الله – : (( الأصاغر أهل البدع )) [3].

وقال الإمام الأوزاعي – رحمه الله – : (( اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكفَّ عمّا كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح ،فإنَّه يسعك ما وسعهم )) [4] .

---

(١) الزهد لابن المبارك ( ٢٨١ ) ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ( ١/ ٩٤) .

(٢) هو : عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي أبو عبد الرحمن المروزي ، قال إسماعيل بن عياش : ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد دجعلها فيه . توفي سنة ( ١٨١ هـ ) . انظر : ( تهذيب التهذيب ( ٢ / ٤١٥ – ٤١٧ ) .

(٣) الزهد لابن المبارك ( ٢٨١ ) .

(٤) الشريعة للأجري ( ٢ / ٦٧٤ ) .

**المطلب الثالث : أبرز سمات وخصائص مذهب السلف [١] .**

**أولاً : الإقتصار في مصدر التلقي على الكتاب والسنة .**

وهذا من أهم وأبرز الخصائص التي يقوم عليها مذهب السلف الصالح ﵏ ، فكل ما وافق الكتاب والسنة قبلوه وأثبتوه ، وكل ما خالفهما ردوه على قائله كائناً من كان .

بخلاف أهل البدع والأهواء الذين أعرضوا عن هذين المصدرين ، وأخذوا دينهم إما عن طريق الوجد [٢] والذوق [٣] كحال الصوفية [٤] ،

(١) انظر : لمزيد من التوسع : المنهج السلفي للدكتور مفرح بن سليمان القوسي ، عقيدة أهل السنة والجماعة لمحمد بن إبراهيم الحمد ، موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود ( ١ / ٥١- ٧٨ ) ، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان بن علي حسن ( ١ / ٤٠- ٤٨ ) ، الوجيز في عقيدة السلف الصالح لعبدالله الأثري ( ٤٢ – ٥٠ ).

(٢) الوجد : هو ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تعب ولا تكلف ، ويطلقون عليه المصادفة ، قال أبو علي الدقاق : (( الوجد يُوجب استقرار العبد ، وصاحب الوجد له صحو ومحو ، فحال صحوه بقاؤه بالحق ، وحال محوه فناؤه بالحق )) . انظر : الرسالة للقشيري ( ٦١ – ٦٣ ) .

(٣) الذوق : في الاصطلاح الصوفي يُراد به الذوق الإيماني ، لكن تتنوع دلالته عندهم على حسب الإيمان بما يعتقده كل منهم ، فالأوائل ذوقهم تشهد له الأصول القرآنية والنبوية ، لأن أصول التوحيد السُنِّي قائمة في اعتقادهم ، لكن الحلولي منهم مشربه في الذوق الفناء عن شهود السوى والاتحاد بالله . انظر : معجم المصطلحات الصوفية للدكتور / محمود عبد الرزاق ( ٢ / ٦٩٩ – ٧٠٤ ) .

(٤) **الصوفية** : نسبة إلى لبس الصوف – على القول الصحيح – ولم يكن هذا الاسم معروفا في القرون الثلاثة المفضلة ، عرفوا بادىء الأمر بالعبادة والزهد ، ثم ظهر فيهم الانحراف وانتهى المطاف ببعض فرقهم إلى التطرف والغلو ، حتى خرجوا عن دائرة الإسلام والقول بمذهب الباطنية أن لكل ظاهر باطنا . من أقطاب غلاتهم : ابن عربي ، والحلاج ، وابن سبعين ، وغيرهم . انظر : الفتاوى لابن تيمية ( ١١ / ٥ – وما بعدها ) ، ومصرع التصوف للبقاعي .

أو عـــن طريق العقل كحال أهـــل الكلام [١] الذين جعلوا عقولهم قاضية على نصوص الشريعة ، أو عن طريق الأئمة كحال الروافض الذين اعتقدوا العصمة في أئمتهم .

**ثانياً : احتجاجهم بالسنة الصحيحة وترك التفريق بين المتواتر والآحاد .**

وهـــذا مسلكهم في أحاديث الرسول ﷺ سواء في الأحكام والعقائد ، فـــهم يرون حجية خـــبر الـــواحد إذا صح عن رسول الله ﷺ لا فرق عندهم في ذلك بين المتواتر [٢] والآحاد [٣] .

---

(١) **أهل الكلام** : هم الطوائف الـــذين ارتضوا علم الكلام المذموم وقـــواعده الفلسفية منهجا في الاستدلال على مسائل الإعتقاد ، ومـــن أشهرهم : المعتزلة والأشاعرة والماتريدية . فكل من ارتضى الأصول الكلامية كما ذكـــر شيخ الإسلام سواء ممن انتسب إلى هذه الفرق أو غيرها صحَّ أن يطلق عليه أنه متكلم ، وهـــو مشارك لهم في الـــذم على قـــدر موافقته لهم . انظر : مجموع الفتاوى (٧/٢ – ٨)، ومنهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل للدكتور جابر أمير(١/ ٣٦ – ٣٧).

(٢) التواتر : في اللغة : مجيء الواحد إثر الواحد بفترة بينهما ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ سورة المؤمنون الآية : ( ٤٤ ) .

واصطلاحاً : هو ما رواه قوم لا يُحصى عددهم ، ولا يتوهم توافقهم على الكذب .

وينقسم إلى قسمين :

لفظي :وهو ما تواتر لفظه ومعناه .مثل حديث: (( من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ))

ومعنوي : وهو أن ينقل من يحصل العلم بصدقهم وقـــائع مختلفة تشترك في أمر يتواتر ذلك القـــدر المشترك . مثل : رفع اليدين أثناء الدعاء .

انظر : نزهة النظر شرح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر ( ٥٣ – ٦٢ ) ، تدريب الراوي للسيوطي (١/ ١٧٦– ١٧٧،١٨٠)،معجم مصطلحات الحديث محمد ضياء الرحمن الأعظمي(٣٤٨– ٣٥٢).

(٣) الآحاد : وهو الحديث الذي لم ينته بنفسه إلى التواتر سواء كثر رواته أو قلُّوا .

وعبر عنه الحافظ ابن حجر بقوله : ما لم يجمع شروط المتواتر . انظر : نخبة الفكر ( ٧٠ – ٧١ ) ، معجم مصطلاحات الحديث للأعظمي ( ١٤ – ١٦ ) .

بخـــلاف أهل الأهواء والبدع فإنهم يفرقون بينهما ويقولون : إن حديث الآحـــاد لا يصلح الاحتجاج به في إثبات العقائد ، لأنه لا يفيد إلا الظن ، وهم مع ذلك يحتجون به في الأحكام الشرعية وهذا من تناقضهم .

قال الإمام ابن عبد البر [1] – رحمه الله – : (( وأجمع أهـــل العلم مـــن أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل ، وإيجاب العمل به إذا ثبت و لم ينسخه غيره من أثر أو إجمـــاع ، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا ، إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع )) [2] .

**ثالثاً: وجوب تقديم الشرع على العقل عند توهم التعارض :**

وإلا في الحقيقة والواقع لا يمكن أن يتعارض النقل الصحيح مع العقل الصريح .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط ، وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه ، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يُعلم بالعقل بطلانها ، بل يُعلم بالعقل نقيضها الموافـــق للشرع ، وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار ، كمسائل التوحيد والصفات ومســـائل القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك ، ووجدت ما يُعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قـــط ، بل السمع الذي يُقال إنه يخالفه إما حديث موضوع ، أو دلالة ضعيفة ، فلا يصـــلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضـــة العقـــل الصـــحيح ، فكيـــف إذا خالفـــه صـــريح المعقول )) [3] .

---

(١) هو: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري ، الأندلسي ، القرطبي ، المالكي ، حافظ المغرب ، من مصنفاته : التمهيد ، وجامع بيان العلم وفضله ،توفي بشاطبة سنة (٤٦٣هـــ). انظر : سيـــر أعـــلام النبـــلاء للـــذهبي (١٨/ ١٥٣– ١٦٣) .

(٢) التمهيد ( ١ / ٢٠ ) ، جامع بيان العلم وفضله ( ٢ / ٤٢ ) .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ( ١ / ١٤٧ ) .

**رابعاً : ليس لهم إمام معظم يأخــذون كلامــه كلَّــه ويــدعون مــا خالفــه إلا رسول الله ﷺ .**

وأما غير الرسول ﷺ فإنهم يعرضون كلامه على الكتاب السنة ، فما وافقهما قبل ، ومالا فلا ، فهم يعتقدون أن كلاً يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ ، لذلك فهم أشد الناس حباً للسنة و أحرصهم على اتباعها.

وهذا بخلاف أهل الأهواء و البـــدع الذين يتعصبون لطائفتهم أو إلى رجـــل مـــن رجالهم،ويجعلون أقـــوال هؤلاء كالنصوص ، لا تقبل الـــرد ولا التأويل ، ومن ثم يردون نصوص الكتاب والسنة لأجلها .

**خامساً : عدم الاختلاف في أصول الاعتقاد .**

فالسلف الصالح ﷺ لا يختلفون – بحمد الله – في أصول الدين ، وقواعد الاعتقاد ، فقولهم في أسماء الله وصفاته وأفعاله واحد ، وقولهم في الإيمان وتعريفه ومسائـــله واحد ، وقولهم في القدر وسائر الأصول واحد.

قال الإمام أبو المظفر السمعاني الشافعي – رحمـــه الله – :

(( ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق أنك لو طـــالعت جميـــع كتبـــهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم ، قديمهم وحديثهم ، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم ، وتباعد مـــا بينهم في الديار ، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار ، وجـــدتهم في بيـــان الاعتقاد على وتيرة واحدة ، ونمط واحد ، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها ، ولا يميلون فيها ، قـــولهم في ذلك واحـــد ، ونقلهم واحد ، لا ترى بينهم اختلافـــاً ولا تفرقـــاً في شيءٍ ما و إن قلَّ ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد ، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟

قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴾ (٢)

وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع ،رأيتهم متفرقين مختلفين ،أو شيعاً وأحزاباً، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد ، يبدع بعضهم بعضا ، بل يرتقون إلى التكفير ، يكفر الابن أباه ، والرجل أخاه ، والجار جاره ، تراهم أبداً في تنازع وتباغض واختلاف ، تنقضي أعمارهم و لمّا تتفق كلماتهم ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ﴾ (٣) ...وهل على الباطل دليل أظهر من هذا ؟

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (٤)

وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة ، وطريق النقل ، فأورثهم الاتفاق والائتلاف ، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء ، فأورثهم الافتراق والاختلاف )) (٥) .

**سادساً : الوسطية .**

فالوسطية من أعظم مميزات مذهب السلف الصالح ﷺ ، فهم أهل الوسط والاعتدال بين الإفراط والتفريط ، وبين الغلو و الجفاء ، سواء أكان في باب العقيدة أم الأحكام أو السلوك ، فهم وسط بين فرق الأمة ، كما أن الأمة وسط بين الأمم (٦) .

---

(١) سورة النساء الآية : ( ٨٢ ) .

(٢) سورة آل عمران الآية : ( ١٠٣ ) .

(٣) سورة الحشر الآية : ( ١٤ ) .

(٤) سورة الأنعام الآية : ( ١٥٩ ) .

(٥) الإنتصار لأصحاب الحديث للسمعاني ( ٤٥ – ٤٧ ) .

(٦) أنظر : تفصيل ذلك ، وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم .

**المبحث الرابع : ذكر بعض أقوال الإمام الشافعي – رحمه الله – وبعض علماء الشافعية في الحث على التمسك بالسنة وفهم السلف وذم البدعة .**

**وفيه مطلبان :**

**المطلب الأول** : ما ورد عن الإمام الشافعي – رحمه الله – وبعض علماء الشافعية في الحث على التمسك بالسنة واتباع فهم سلف الأمة .

لقد تظافرت أقوال الإمام الشافعي – رحمه الله – وعلماء الشافعية في الحث على التمسك بالسنة واتباع فهم سلف الأمة ومن ذلك :

ما جاء عن الإمام الشافعي – رحمه الله – في الحث على التمسك بما صحَّ عن رسول الله ﷺ ، وترك تقليده إن كان قوله بخلاف ذلك .

فقد أخرج البيهقي بسنده إلى الإمام الشافعي – رحمه الله - أنه قال : (( كل ما قلت وقال النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح ، فحديث النبي ﷺ أولى ولا تقلدوني )) [(١)] .

وقال أيضاً : (( إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا : بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت )) [(٢)] .

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١ / ٤٧٣ ) ، آداب الشافعي لابن أبي حاتم ( ٦٧ – ٦٨ ) ، حلية الأولياء لأبي نعيم ( ٩ / ١٠٦ – ١٠٧ ) .

(٢) المناقب للبيهقي ( ١ / ٤٧٢ ) ، توالي التأسيس لابن حجر ( ٦٣ ) .

ولم يكتف رحمه الله بالنهي عن تقليده إن كان قوله بخلاف قول رسول الله ﷺ ، بل صرح بأن كل حديث صح عن رسول الله ﷺ فهو مذهبه وإن لم يبلغه .

فقد روى البيهقي بسنده إلى سعيد بن أسد (١) أنه قـــال : قلت للشافعي : ما تقول في حديث الرؤية ؟ فقال لي : ابن أسد أقضِ عليَّ حييتُ أو متُّ إن كل حـــديث يصح عن رسول الله ﷺ فإني أقول به وإن لم يبلغني )) (٢) .

وقال أيضا : (( إذا صح الحديث فهو مذهبي )) (٣) .

بل من شدة تعظيمه – رحمه الله – لسنة رسول الله ﷺ أنه لا يحب أن تنسب إليـــه مسألة قال فيها بخلاف ما صح عن رسول الله ﷺ .

ولذلك قال لتلميذه الربيع –رحمه الله– : (( كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي ﷺ عنـــد أهل النقل بخلاف ما قلت ، فأنا راجع عنـــها في حياتـــي و بعد موتي )) (٤) .

وقال له أيضا : (( ما من أحد إلا ويذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه ، فمهما قلت من قول أو أصلّت من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت ، فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولي )) (٥) .

---

(١) هو : سعيد بن أسد بن موسى ، من أهل مصر ، يروي عن ابن عيينة وضـــمرة ، وروى عنـــه أبو زرعة ويعقوب بن سفيان الفارسي . انظر : الثقات لابـــن حبـــان ( ٨ / ٢٧١ ) ، والجـــرح والتعديل لابن أبي حاتم ( ٤ / ٥ ) .

(٢) المناقب للبيهقي ( ١ / ٤٢١ ) .

(٣) انظر : رسالة السبكي في معنى هذه الكلمة في مجموعة الرسائل المنيرية ( ٣ / ٩٨ ) .

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١ / ٤٧٣ ) ، توالي التأسيس لابن حجر ( ٩٣ ) .

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١ / ٤٧٥ ) ، حلية الأولياء لأبي نعيم ( ٩ / ١٠٦ ) .

وقد اشتد غضبه – رحمه الله – على من قال له في حديث قد صح عن رسول الله ﷺ أتقول به .

فقد روى البيهقي بسنده إلى الربيع أنه قال : سمعت الشافعي – رحمه الله – يقول : وسأله رجل عن مسألة فقال : روي عن النبي ﷺ أنه قال : كذا وكذا .

فقال له السائل : يا أبا عبد الله أتقول بهذا ؟

فارتعد الشافعي واصفر لونه ! وقال ويحك . أيُّ أرض تقلني وأيُّ سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله ﷺ شيئاً فلم أقل به .

نعم على الرأس والعينين على الرأس والعينين [(١)] .

ومن أقواله – رحمه الله – في بيان عظيم منزلة الصحابة رضي الله عنهم ، ووجوب الأخذ بفهمهم وتقديمه على آراء غيرهم .

(( وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل ، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم ، فرحمهم الله وهنَّاهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين ، هم أدَّوا إلينا سنن رسول الله ﷺ وشاهدوه والوحي ينزل عليه ، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عاما وخاصا ، وعزما وإرشادا ، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا ، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم واستنبط به ، وآراؤهم لنا أحمد من آرائنا عندنا لأنفسنا ، والله أعلم )) [(٢)] .

---

(١) نفس المصدر ( ١ / ٤٧٥ ) ، نفس المصدر ( ٩ / ١٠٦ ) .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١ / ٤٤٣ ) ، مناقب الشافعي للرازي ( ٤٩ ) .

وقــد امتثل علماء الشافعية وصايا الإمـام الشافعي – رحمه الله – في الحث على التمسك بالسنة ، وترك تقليده إن كان قوله بخلاف ما صح عن رسول الله ﷺ .

فهذا الإمام أبو الحسن الكرجي [١]– رحمه الله – كان لا يقنت في الفجر ، ويقول: (( لم يصح ذلك في الحـديث ، وقد كـان إمامنا الشافعـي يقول : إذا صح الحـديث فهو مذهبي فاضربوا بقولي هذا الحائط )) [٢] .

ويقول إمام الأئمة أبو بكر ابن خزيمة – رحمه الله – : (( ليس لأحد مع رسول الله ﷺ قول إذا صح الخبر )) [٣] .

ويقول الإمـام الآجري – رحمه الله – : (( علامة من أراد الله به خيرا سلوك هذا الطريق ، كتـاب الله ، وسنن رسول الله ﷺ ، وسنن أصحابه ﷺ ، ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد ، إلى آخر ما كان من العلماء مثـل : الأوزاعي، وسفيان الثوري [٤] ،ومـالك بن أنس ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل، والقاسم ابن سلام، ومن كان على مثل طريقتهم ، ومجانبة كل مذهب يَذُمُّه هؤلاء العلماء )) [٥] .

---

(١) هو : أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن محمد بن عمر الكرجي الشافعي ، شيخ الكرج ، وعالمها ومفتيها ، من مؤلفاته : الذرائع في علم الشرائع ، الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول ، تفسير القرآن. توفي سنة ٥٣٢ هـ . انظر : معجم المـؤلفين ( ٣ / ٤٦٦ ) .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ( ١٢ / ٢١٣ ).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ( ١٤ / ٣٧٣ ) .

(٤) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، ثقة حافظ ، فقيه ، عابد ، إمام ، حجـة ، قـال شعبة وغيره : سفيان أمير المؤمنين في الحديث ، توفي سنة ( ١٦١ هـ ) . انظر : تهذيب التهـذيب لابن حجر (٢ / ٥٦ - ٥٨) .

(٥) الشريعة للآجري ( ١ / ٣٠١ ) .

ويقول الإمام الآجري – رحمه الله – أيضاً في رده على من أنكر السنة بدعوى الاكتفاء بما في كتاب الله تعالى :

(( ينبغي لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلا يقول : قال رسول ﷺ في شيء قد ثبت عند العلماء ، فعارض إنسان جاهل فقال : لا أقبل إلا ما كان في كتاب الله تعالى .

قيل له : أنت رجل سوء ، وأنت ممن يحذِّرناك النبي ﷺ وحذَّر منك العلماء .

وقيل له : يا جاهل ! إن الله أنزل فرائضه جملة ، وأمر نبيَّه أن يُبيِّنَ للناس ما نُزِّلَ إليهم ، قال الله جل جلاله ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [(١)] .

فأقام الله تعالى نبيه عليه السلام مقام البيان عنه ، وأمر الخلق بطاعته ،ونهاهم عن معصيته ، وأمرهم بالانْتهاء عمّا نهاهم عنه ، فقال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾ [(٢)] .

ثم حذرهم أن يخالفوا أمر رسول الله ﷺ فقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [(٣)] وقال جل جلاله ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [(٤)]

ثم فرض على الخلق طاعته في نيف وثلاثين موضعا من كتابه تعالى .

---

(١) سورة النحل الآية : ( ٤٤ ) .

(٢) سورة الحشر الآية : ( ٧ ) .

(٣) سورة النور الآية : ( ٦٣ ) .

(٤) سورة النساء الآية : ( ٦٥ ) .

وقيل لهذا المعارض لسنن رسول الله ﷺ : يـا جـاهل ! قـال الله تعـالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (١) ، أين تجـد في كتاب الله تعالى أن الفجر ركعتان ، وأن الظهر أربع ، وأن العصر أربع ، والمغرب ثلاث ، وأن العشاء الآخـرة أربع ؟ أيـن تجد أحكام الصلاة ومواقيتها ، وما يصلحها وما يبطلها إلا من سنن الـنبي ﷺ ؟ ومثلـه الـزكاة ، فأين تجد في كتاب الله تعالى من مائتي درهم خمسة دراهم ؟ ومـن عشـرين دينارا نصف دينار ؟ ومن أربعين شاة شاة ؟ ومن خمس من الإبل شاة ؟ ومن جميع أحكام الزكاة ، أيـن تجد هذا في كتاب الله تعالى ؟

وكذلك جميع فرائض الله التي فرضها في كتابه لا يُعْلم الحكم فيها إلا بسنن رسول الله ﷺ .

هذا قول علماء المسلمين ، من قال غير هذا خرج عن مِلَّـة الإسلام ودخل في ملة الملحدين ، نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى )) (٢) .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري (٣)– رحمه الله – : (( قولنا الذي نقـول بـه ، وديانتنا التي ندين بها : التـمسك بكتاب ربنا ﷻ ، وبسنة نبينا ﷺ ، ومـا روي عـن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون )) (٤) .

---

(١) سورة البقرة الآية : ( ٤٣ ) .

(٢) الشريعة للآجري ( ١ / ٤١٠-٤١٢ ) .

(٣) هو : العلامة أبو الحسن علي بن إسماعيل ينتهي نسبه إلى صاحب رسـول الله ﷺ أبي موسـى الأشعري ﷺ ، كان على طريقة المتكلمين ثم رجع إلى مذهب السلف ، قال الذهبي : لأبي الحسـن ذكاء مفرط وتبحر في العلم وله أشياء حسنة وتصانيف جمة تقضي له بسعة العلم . وقـال أيضـا : رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات وقال فيها : تمر كما جاءت، ثم قال : وبذلك أقول وبه أدين ولا تؤول . توفي رحمه الله سنة ٣٢٤ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ( ١٥ / ٨٥–٩٠).

(٤) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ( ٤٣ ) .

ويقول الإمام الحافظ الإسماعيلي [(١)] – رحمه الله – : (( اعلموا رحمنا الله وإياكم أن مذهب أهل الحديث – أهل السنة والجماعة – الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وقبول ما نطق به كتاب الله تعالى ، وما صحت به الرواية عن رسول الله ﷺ ، لا معْدل عما وردا به ، ولا سبيل إلى ردِّه ، إذ كانوا مأمورين باتِّباع الكتاب والسنة ، مضمونا لهم الهدى فيهما ، مشهودا لهم بأن نبيهم ﷺ يهدي إلى صراط مستقيم ، مُحذرين في مخالفته الفتنة والعذاب الأليم )) [(٢)] .

ويقول الإمام الملطي [(٣)] رحمه الله : (( والذي عندي من ذلك أن تلزم المنهج المستقيم وما نزل به التنزيل وسنة الرسول وما مضى عليه السلف الصالح فعليك بالسنة والجماعة ترشد إن شاء الله )) [(٤)] .

وقال الإمام أبو المظفر السمعاني –رحمه الله – : (( وشعار أهل السنة : اتباعهم للسلف الصالح ، وتركهم كل ما هو مبتدع محدث )) [(٥)] .

---

(١) هو : الإمام الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الجرجاني الإسماعيلي الشافعي صاحب الصحيح شيخ الشافعية ، قال الحاكم : كان الإسماعيلي واحد عصره وشيخ المحدثين والفقهاء وأجلهم في الرئاسة والمروءة والسخاء ، مات سنة ٣٧١ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ( ١٦ / ٢٩٢ – ٢٩٦ ) .

(٢) اعتقاد أهل السنة للإسماعيلي ( ٣٥ ) .

(٣) هو : محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الحسين الملطى الفقيه المقرئ ، وأخذ القراءة عرضا عن أبى بكر بن مجاهد وأبى بكر بن الأنبارى وجماعة ، مات سنة سبع وسبعين وثلاثمائة . انظر : طبقات الشافعية للسبكي ( ٣ / ٧٧ – ٧٨ ) .

(٤) التنبيه والرد للملطي ( ٥٥ ) .

(٥) الإنتصار لأصحاب الحديث للسمعاني ( ٣١ ) .

وقـــال الحافظ ابن حجر – رحمه الله - : (( أن أمره ﷺ إذا ثبت لم يكن لأحـــد أن يخـــالفه ، ولا يتحيل في مخالفته ، بـــل يجعله الأصل الذي يرد إليـــه مـــا خالفـــه لا بالعكس ، كما يفعل بعض المقلدين ، ويغفل عـــن قولـــه تعـــالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾[1] ))[2] .

**المطلب الثاني** : ما ورد عن الإمام الشافعي – رحمه الله – وبعض علماء الشافعية في ذم البدعة والتحذير منها.

لقد كان الإمام الشافعي – رحمه الله– شديـــدا على أهل الإلحـــاد وأهل البـــدع، مجاهرا ببغضهم وهجرهم ، خاصة أهل الكلام .

حيث يقول – رحمه الله - : (( لو علم الناس ما في الكلام و الأهواء لفرّوا منه كما يفرون من الأسد ))[3] .

وقال أيضا : (( ما أحد ارتدى بالكلام فأفلح ))[4] .

بل يرى – رحمه الله – أن الأخذ بالكلام والأهواء والخوض فيها أعظم الذنوب بعد الشرك بالله ﷻ .

فقد روى البيهقي بسنده عن الإمام الشافعي – رحمه الله – أنه قال : (( لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك ، خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء ))[1] .

---

(١) سورة النور الآية : ( ٦٣ ) .

(٢) فتح الباري لابن حجر ( ١٣ / ٣٥٢- ٣٥٣ ) .

(٣) الإنتقاء لابن عبد البر ( ٧٩ ) ، ذم الكلام وأهله للهروي ( ٦ / ٩٦ ) .

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ( ٩ / ١١١ ) ، ذم الكلام ( ٦ / ٧٦ ) .

بل كـــان – رحمه الله – ينهى عن الصلاة خلف أهل البـــدع ، ليحذر الناس من بدعهم وفتنتهم .

قال الإمـــام البويطي – رحمه الله – سألت الشافعي : (( أصلي خلف الرافضي ؟ قـــال :لا تصل خلـــف الـــرافضي ، ولا القـــدري ،ولا المـــرجيء ، فقلت صفهم لنا، قـــال : من قـــال الإيمان قول فهو مرجيء ، ومن قال : إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي ، ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قدري )) . [(٢)]

وكـــان – رحمه الله – يرى عقوبة أهـــل البدع ، وفضحهم وتعزيـــرهم والتشهير بهم ، لكي يحذر الناس من بدعهم وضلالاتهم .

فقال – رحمه الله - : (( حكمي في أهل الكلام ، أن يُضربوا بالجـــريد ، ويُحملوا على الإبل ، ويُطاف بهم في العشائـــر والقبائـــل ، ويُنادى عليهم : هـــذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على الكلام )) [(٣)] .

وقد سار علماء الشافعية – رحمهم الله – على خُطى الإمام الشافعي في التحذير من البدع وأهلها .

فهذا الإمام ابن سريج [(٤)] – رحمه الله – يقول : (( قلَّ ما رأيت مـــن المتفقِّهة من اشتغل بالكلام فأفلح ، يفوته الفقه ولا يصل إلى معرفة الكلام )) [(٥)] .

---

(١) آداب الشافعي لابن أبي حاتم ( ١٨٧ ) ، مناقب الشافعي للبيهقي ( ١ / ٤٥٢ ) .

(٢) ذم الكلام للهروي ( ٦ / ١٠٠ – ١٠١ ) .

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١ / ٤٦٢ ) .

(٤) هو : أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي ، شيخ الإسلام فقيه العـــراقين ، القـــاضي الشافعي صاحب المصنفات ، تفقَّه بأبي القاسم الأنماطي الشافعي صاحب المزني وبه انتشر مـــذهب الشافعي ببغداد وتخرج به الأصحاب ، توفي سنة ٣٠٦ هـــ . انظر : السير (١٤/ ٢٠١ -٢٠٤ ) ، وفيات الأعيان ( ١ / ٦٦ ) .

(٥) السير ( ١٤ / ٢٠٢ ) .

وقال الإمام أبو المظفر السمعاني – رحمه الله - : (( فما من هالك في العالم إلا وبدوُّ هلاكه من النظر ، وما من ناج في الدين سالك سبيل الحق إلا وبدوُّ نجاته عن حُسن الإتباع )) [(١)] .

ويصف الإمام الصابوني – رحمه الله – عقيدة أهل السنة والجماعة تُجاه أهل البدع والأهواء فيقول :

(( ويبغضون أهل البدع ، الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه ، ولا يحبونهم ، ولا يصحبونهم ، ولا يسمعون كلامهم ، ولا يجالسونهم ، ولا يجادلونهم في الدين ، ولا يناظرونهم ، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرَّت بالأذان وقرت في القلوب ضرَّت ، وجرَّت إليها من الوسواس والخطرات الفاسدة ما جرَّت ، وفيه أنزل الله ﷻ قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ [(٢)] )) [(٣)] .

وقال الإمام الأصبهاني [(٤)] – رحمه الله - : (( قال علماء أهل السنة : ليس في الدنيا مبتدع إلا وقد نُزع حلاوة الحديث من قلبه )) [(٥)] .

---

(١) الإنتصار للسمعاني ( ٦٥ ) .

(٢) سورة الأنعام الآية : ( ٦٨ ) .

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ( ١٠٧ -١٠٨ ) .

(٤) هو : الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي التيمي الأصبهاني ، الملقب بقوام السنة ، قال الحافظ يحي بن مندة : كان أبو القاسم حسن الاعتقاد جميل الطريقة قليل الكلام ليس في وقته مثله ، توفي سنة ٥٣٥ هـ . انظر : السير (٢٠ / ٨٠ – ٨٨ ) .

(٥) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ( ٢ / ٥٤٠ ) .

## المبحث الخامس : نبذة موجزة عن ظهور البدع في مباحث الإيمان .

كان الصحابة رضي الله عنهم يأخذون سلوكهم و أعمالـــهم و عقائدهم من رسول الله ﷺ ، فحياته ﷺ هي الإسلام غضاً طرياً ، وقد نزل القرآن الكريم بلغتهم ففهموا رضي الله عنهم ما أراد الله منهم ، فأمنوا به وعملوا بشرائعه ، وما أراد إلى بيان بيَّنه لهم رســـول الله ﷺ بســـنته ، قـــال تعـــالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (1) وهذا من الأمور المقـــررة عنـــــد أهل السنة و الجماعة أن النبي ﷺ قد فصَّل لأمته جميع ما يحتاجون إليه من العلم ، وأنه ﷺ قد أدّى الأمانة حق الأداء ، وقد قـــال ﷺ في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : (( إنه لم يكن نبيّ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدلّ أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم )) (2) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (( قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه )) (3)

---

(1) سورة المائدة الآية : ( ٦٧ ) .

(2) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب : وجـــوب الوفـــاء ببيعـــة الخلفـــاء رقـــم (١٨٤٤) ، ( ٣ / ١٤٧٣ ) .

(3) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب : مـــا جاء في قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ ﴾، رقم ( ٣١٩٢ ) ، ( ٢ / ٤١٨ ) .

وقال أبو ذرّ ﷺ [(١)] : (( تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلّب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علماً )) [(٢)] .

وقال أبـــو موسى الأشعري ﷺ : (( إن رسول الله ﷺ خطبنا فبيّن لنـــا ســـنتنا فعلمنا )) [(٣)] .

وقد قيل لسلمان الفارسي ﷺ [(٤)] : (( لقد علّمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة . قال : أجل ، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول ، أو أن نستنجي بـــاليمين ، أو أن نستنجي بأقلَّ من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع [(٥)] أو عظم )) [(٦)] .

ثم إن مـــن الأمور التي لا تعقل ولا يمكن أن تتصور أن يبين النبي ﷺ لأمته كل ما يحتاجونه في معاشهم وأمـــور دنياهم حتى صفة قضائهم للحاجة ، ويترك تعليمهم أصول الدين ومسائله .

بل إن أعظم الأمور التي اعتنى رسول الله ﷺ ببيانها و تقريرها لأصحابه ﷺ هو مـــا يتعلّق بربّهم ﷻ ، الذي العلم به أعظم العلوم و أهمها على الإطلاق ، فأخبرهم ﷺ عن أسماء الله و صفاته وأفعاله ، وعن اليوم الأخر وأهواله ، وعن الجنة والنـــار وما أعـــدَّ الله

---

(١) هو : أبو ذر الغفاري جندب بن جنادة ، وكـــان مـــن السابقين إلى الإسلام ، توفي بالرَّبَـــذَة سنة ٣٢ هـــ ﷺ . انظر : أسد الغابة ( ٣ / ٢٨٠ – ٢٨٦ ).

(٢) رواه الطبراني في الكبير ( ١٦٤٧ ) ، ( ٢ / ١٥٥ – ١٥٦ ) ، وصححه الألباني في الصـــحيحة ( ١٨٠٣ ) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب : التشهد في الصلاة رقم (٤٠٤) ، ( ١ / ٣٠٣ ) .

(٤) هو : سلمان الفارسي أبو عبد الله ، ويعرف بسلمان الخير ، أصله من رامهرمـــز وقيـــل مـــن أصفهان، وقصة إسلامه مشهورة ، توفي سنة ٣٥ هـــ ﷺ .انظر :أسد الغابة (٢ /٢٦٥- ٢٦٩ ) .

(٥) الرجيع : القذرة والروث ، سمي رجيعا لأنه رجع عن حالته الأولى بعد أن كان طعاما أو علفا . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ( ٢ / ٢٠٣ ) .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب : الاستطابة رقم (٢٦٢ ) ، ( ١ / ٢٢٣ ) .

فيهما لمن أطاعه من جزيل ثوابه ، ولمن عصاه من أليم عقابه ... كل ذلك ومما هو في معناه قد بيّنه ﷺ أكمل بيان ، ووضحه أتمَّ توضيح .

ثم لمَّا وقع الافتراق في هذه الأمة ، لم يكن في صفوف أهل البدع التي ظهرت في عهد الصحابة ﭫ أحد منهم ، فلم يثبت أنهم ﭫ تنازعوا في أصول الدين ، وذلك لما عرفوا به من كمال العلم وحسن المعتقد .

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – : (( وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام ، وهم سادات المؤمنين و أكمل الأمة إيماناً ، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلّهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة ، من أولهم إلى أخرهم لم يسوموها تأويلا ، و لم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ، ولم يبدوا لشيء منها إبطالا ، ولا ضربوا لها أمثالا ، ... بل تلقّوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالإيمان والتعظيم )) (١) .

هذا هو الواقع الذي عاشه الصحابة ﭫ فكان مجتمعهم بصورته تلك سليماً من كل الانحرافات و الأهواء الضالة التي تشوّه نقاءه ، وتشوب صفاءه .

وهكذا مضى الرعيل الأول من الصحابة في ضوء نور الوحي ، لم تطفئه عواصف الأهواء ، ولم تلتبس به ظلم الآراء ، وأوصوا من بعدهم من التابعين وتابعيهم أن لا يفارقوا النور الذي اقتبسوه منهم ، و أن لا يخرجوا عن طريقتهم (٢) .

فلم يظهر شيء من الاختلاف في الدين حتى قتل ذو النورين عثمان بن عفان ﭬ ظلماً بين ظهراني المسلمين في الشهر الحرام وفي حرم رسول الله ﷺ أمام أعين المسلمين ، فانشقت الجماعة ، وتفرّقت العصا ، وتشامست الأعين ، وتخاذلت الأنفس ، واختلفت الآراء ، وتباعدت القلوب ، وساءت الظنون ، واشتغلت الريب ، واستقوت التهم ، هنالك وجدت كل فتنة فرصتها فلفظت غُصّتها ، واشتغل الرعاء ، ... فأخذت الغواة

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ( ١ / ٥١ – ٥٢ ) .

(٢) انظر : الصواعق المرسلة لابن القيم ( ٣ / ١٠٦٩ ) .

أزمة الضلالة ، فتهوست [١] لها في قلوب أهل الغفلة ، وظهرت الفتن بعضها على إثـــر بعض [٢] .

وكان لظهور هذه الفتن أثر كبير في نشأت النِّحَل التي شَتَّتت جماعة المسلمين فرقـا وأحزابا ، إذ أنها دخلت عليهم من أعدائهم ، وصار الناس يبتعدون عن هدي الكتـاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة في المسائل العقدية ، ومن تلك المسائل العقـدية الـتي حدث الخلاف والنزاع فيها مسألة الإيمان ، فوقع الخلاف في بيان حقيقته ، وفي زيادتـه ونقصانه ، وهل يصح الاستثناء فيه ، وحكم من ترك بعض شعبه ،وغيرها من المسائل .

فكانت أول بدعة ظهرت في تاريخ الأمة في مسائل الإيـمان ، وهي بدعة التكفير بالذنوب والخطايا .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - : (( ولـهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا ، فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام ، فكفَّر أهلها المسلمين ، واستحلوا دماءهم و أموالهم )) [٣] .

وكان أول من أظهر التكفير بالذنوب والخطايا هم الخوارج ، وقد كان كثير منهم في جيش علي ﷺ يوم صفين . فلما اتـفق علي ومعاوية رضي الله عنهما على التحكيم، وكان ذلك في شهر رمضان من السنة السابعة والثلاثين من الهجرة أنكر الخـوارج أمـر التحكيم ، وبالغوا في الإنكار على علي ﷺ وقالوا لـه : حكّمت الرجال في كتاب الله ، لا حكم إلا لله ، ثم صرّحوا بكفره [٤] .

---

(١) التهوس : المشي الثقيل في أرض ليّنة . انظر : المعجم الوسيط ( ٢ / ٩٩٩ ) .
(٢) انظر : ذم الكلام وأهله للهروي ( ٥ / ١١٠ ) .
(٣) مجموع الفتاوى ( ١٣ / ٣١ ) ، وانظر : شرح الأصفهانية ( ٢٢٥ ) .
(٤) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ( ٥٠ – ٥٤ ) ،مجموع الفتاوى لابن تيمية ( ١٣ / ٢٠٨ ) .

ولقد حاول علي ﷺ أن يزيل عنهم ما التبس عليهم من أمر التحكيم بأنه إنما حكّم كتاب الله ﷻ وشرط على الحكمين أن يحييا ما أحياه القرآن ، ويميتا ما أماته القرآن [(١)] .

وناقشهم ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما ، فرجع منهم ألفان ، وخرج سائرهم ، فقتلوا على ضلالتهم ، قتلهم المهاجرون والأنصار [(٢)] .

ومن ثَمَّ أصبحت الخوارج تحكم على كل مرتكب للكبيرة بأنه كافر في الدنيا يحل دمه وماله ، وفي الآخرة خالد مخلَّد في النار [(٣)] .

ثم ظهرت بدعة الإرجاء [(٤)] بعد ذلك ، فصاروا نقيض الخوارج . فقالوا : إن الأعمال ليست من الإيمان ، وكان ذلك في أواخر القرن الأول الهجري ، كما ذكر ذلك

---

(١) تاريخ الطبري ( ٥ / ٦٤ – ٦٦ ) .

(٢) أخرج مناظرة ابن عباس للخوارج النسائي في خصائص أمير المؤمنين علي ، رقم ( ١٩٠ ) ، ( صـ١٩٥ ) ، والحاكم في المستدرك ، كتاب قتال أهل البغي ، رقم ( ٢٦٥٦ ) ، ( ٢ /١٦٤ – ١٦٥) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، وقال العلامة مقبل الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين رقم ( ٦٩٤ ) إسنادها حسن.

(٣) استثنى الأشعري النجدات – أي لا يقولون بتكفير مرتكب الكبيرة – ولكن الشهرستاني وغيره لم يستثنوا أحدا من الخوارج . انظر : مقالات الإسلاميين للأشعري ( ١/ ١٦٨ ) ، الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ١١٤ ) ، الفتاوى لابن تيمية ( ٣ / ٢٧٩ ) .

(٤) والمقصود هنا الإرجاء المعروف لدى علماء المقالات ، الذي هو تأخير العمل عن مسمى الإيمان، وليس هو الإرجاء الذي ظهر من الحسن بن محمد بن الحنفية،فقد اتهم بأنه أول من تكلّم في الإرجاء، ولكن إرجاؤه إنما كان في أمر المشتركين في الفتنة التي حدثت بعد خلافة الشيخين رضي الله عنهما ، فقد وضع كتابا في ذلك ومما جاء فيه:((ونوالي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ونجاهد فيهما لأنهما لم تقتتل عليهما الأمة و لم تشك في أمرهم ونرجأ من بعدهما ممن دخل في الفتنة ، فنكل أمرهم إلى الله )) قال الحافظ ابن حجر وهو المطلع على الكتاب (( وأما الإرجاء الذي يتعلّق بالإيمان فلم يُعرّج عليه ، فلا يلحقه بذلك عيب والله أعلم )) . انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر(١/ ٤١٤ ) ، و الطبقات الكبرى لابن سعد ( ١ / ١٦٠ ) .

شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – حيث قال : (( ثم إنه في أواخر عهد الصحابة حدثت بدعة القدرية و **المرجئة** ، فأنكر ذلك الصحابة والتابعون )) [١] .

ومما يؤيد ذلك ما ثبت في صحيح البخاري [٢] : عن زُبيد [٣] أنه قال :

سألت أبا وائل [٤] عن المرجئة ؟ فقال: حدثني عبد الله أن النبي ﷺ قال : ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر))[٥]، وفي رواية أبي داود الطيالسي [٦] عن زُبيد حيث حيث

يقول : (( لمّا ظهرت المرجئة أتيت أبا وائل فذكرت ذلك له ... )) [١] .

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ( ١ / ٣٠٩ ) .

(٢) هو : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي ، أبو عبد الله البخاري ، صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري ، والتاريخ ، وخلق أفعال العباد ، والأدب المفرد وغيرها . جبل الحفظ ، وإمام الدنيا في فقه الحديث ، ولد سنة ١٩٤ هـ وتوفي سنة ٢٥٦ هـ في شوال وله ٦٢ سنة . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ١٢ / ٣٩١ ) ، وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ١٨٨)، التقريب لابن حجر(٤٠٤) .

(٣) هو : زُبيد بن الحارث بن عبد الكريم اليامي ، أبو عبد الرحمن الكوفي ، ثقة ثبت عابد ، قال عنه شعبة : ما رأيت بالكوفة شيخا خيرا من زبيد ، توفي سنة ١٢٢ هـ أو بعدها . انظر : تهذيب التهذيب ( ١ / ٦٢٣ ) ، تقريب التهذيب (٣٣٤ ) .

(٤) هو : شقيق بن سلمة الأسدي ، أبو وائل الكوفي ، قال ابن عبد البر أجمعوا على أنه ثقة ، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز وله مئة سنة وقيل سنة ٨٢ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ( ٢ / ١٧٨ – ١٧٩ ) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر ( ٤٨ ) ، ( ١ / ٣٢ ) ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب : قول النبي ﷺ : (( سباب المسلم فسوق )) رقم ( ٦٤ ) ، ( ١ / ٨١ ).

(٦) هو : سليمان بن داود بن الجارود ، أبو داود الطيالسي البصري ، فارسي الأصل ، ثقة حافظ ، قال عنه وكيع: أبو داود جبل العلم، توفي سنة ٢٠٤ هـ .انظر: تهذيب التهذيب(٢/٩٠– ٩٢) .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (( فظهر من هذا أن سؤاله كان عن معتقدهم ، وأن ذلك كان حين ظهورهم ، وكانت وفاة أبي وائل سنة تسع وتسعين ، وقيل : اثنتين وثمانين ، ففي ذلك دليل على أنَّ بدعة الإرجاء قديمة )) [٢] .

ولكن اختلف أهل العلم في تحديد أول من عرف عنه القول بالإرجاء .

فقيل : أول من تكلّم بالإرجاء حمّاد بن أبي سليمان [٣] ، شيخ أبي حنيفة .

وقيل : ذرّ بن عبد الله بن زرارة المرهبي [٤] [٥] .

وقيل : بل هو غيلان الدمشقي [٦] .

والذي يترجح من هذه الأقوال – والله أعلم – أن أول من أحدث القول في الإرجاء هو : ذرّ بن عبد الله المرهبي ، وهذا الترجيح يرجع لعدة أمور وهي :

**أولاً** : أن الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – نصّ على ذلك . فقد قيل له : (( أول من تكلّم في الإيمان من هو ؟ )) قال : (( أوّل من تكلّم فيه ذرّ )) [١] .

---

(١) مسند الطيالسي ( ١ / ٢٤٥ ) .

(٢) فتح الباري لابن حجر ( ١ / ١٣٧ ) .

(٣) هو : حماد بن أبي سليمان مسلم الأشعري مولاهم ، أبو إسماعيل الكوفي الفقيه ، قال النسائي : ثقة إلا أنه مرجئ ، توفي سنة ١٢٠ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ( ٣ / ١٤ ) .

(٤) هو : ذرّ بن عبد الله بن زرارة المرهبي الهمداني أبو عمر الكوفي ، قال ابن معين والنسائي : ثقة ، وقال : أبو داود : كان مرجئا وهجره إبراهيم النخعي وسعيد بن جبير للإرجاء . تهذيب التهذيب ( ١ / ٥٧٩ ) .

(٥) انظر : القدرية و المرجئة للعقل ( ٨٢ -٨٣ ) .

(٦) هو : غيلان بن أبي غيلان ، أبو مروان الدمشقي القدري ، المقتول في القدر ، كان من بلغاء الكتّاب ، صلبه هشام بن عبد الملك لمقالته في القدر ، وكان قد استتابه عمر بن عبد العزيز قبل ذلك انظر : تاريخ دمشق لابن عساكر ( ٤٨ / ١٨٦ ) ، ميزان الاعتدال للذهبي ( ٥ / ٤٠٨ ) .

**ثانياً** :أن ذرّاً المرهبي توفي سنة ٩٩هـ ،وحماد بن أبي سليمان توفي سنة ١٢٠ هـ، فالظاهر أن الثاني أخذ من الأول [٢] .

**ثالثاً** : أن الإرجاء حدث بعد هزيمة ابن الأشعث [٣] ، كما صرح بذلك قتادة بن دعامة السدوسي [٤][٥] ، وكان مقتل ابن الأشعث سنة ٨٥ هـ [٦] ، وقد كان ذرّ المرهبي ممن شهد وقعة ابن الأشعث وقاتل معه [٧] .

وقد ثبت أن إبراهيم بن يزيد النخعي[٨] وسعيد بن جبير[٩] قد هجراه لقوله في الإيمان [١].

---

(١) السنة للخلال ( ٣ / ٥٦٤ ) .

(٢) القدرية و المرجئة للعقل ( ٨٣ ) .

(٣) هو : عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي ، بعثه الحجاج على سجستان فثار هناك وأقبل في جمع كبير ، وقام معه علماء وصلحاء ، فقاتله الحجاج ، وجرى بينهما عدة مصافّات ، وفي آخر الأمر انهزم جمع ابن الأشعث وهلك في سنة ٨٤ هـ وقيل ٨٥ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٤ / ١٨٣ – ١٨٤ ) .

(٤) هو : قتادة بن دعامة السدوسي ، أبو الخطاب البصري ولد أكمه ، قال ابن سعد : كان ثقة مأمونا حجة في الحديث وكان يقول بشيء من القدر، توفي سنة ١١٧ هـ . انظر : التهذيب .

(٥) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد( ١ / ٣١٩ )، الإبانة –كتاب الإيمان – لابن بطة ( ٢ /٨٨٩ )

(٦) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ( ٩ / ٥٤ ) .

(٧) تهذيب التهذيب لابن حجر ( ١ / ٥٧٩ ) .

(٨) هو : إبراهيم بن يزيد النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه ، كان مفتي أهل الكوفة مات سنة ٩٦ هـ وهو مختف من الحجاج . انظر : تهذيب التهذيب ( ١ / ٩٢ - ٩٣ ) .

(٩) هو : سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي ، قال عمرو بن ميمون عن أبيه : لقد مات سعيد ابن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه ، قتله الحجاج صبرا سنة ٩٥ هـ . انظر : تهذيب التهذيب (٢/٩ – ١١) .

ومن خلال هذا العرض يظهر أن أول من تكلّم في الإرجاء هو ذرّ المـــرهبي ، وأن حماد بن أبي سليمان توسع فيه وزاد ، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن حماد بـــن أبي سليمان أنكر تفاضل الإيمان ودخول الأعمال فيه و الاستثناء فيه [٢] .

وقد ذكر الشهرستاني [٣] أن أول من قال بالإرجاء هو غيلان الدمشقي [٤] .

وهذا فيه نظر من عدة جهات :

**أولاً** : أن غيلان الدمشقي قدري ، والإرجاء يتنافى مع القدر [٥] .

**ثانياً** : أن أول من تكلّم في الإرجاء هو ذرّ المرهبي كما نص على ذلك الإمام أحمد كما مر معنا .

**ثالثاً** : أن ذرّ المرهبي توفي سنة ٩٩ هـــ وهُجر على قوله بالإرجاء قبل ذلك بزمن ، وغيلان الدمشقي قُتل سنة ١٠٥ هـــ [٦] ، فعلى فـــرض أن غيلان قال بالإرجاء فيكون أخذ ذلك من ذرّ المرهبي والله أعلم .

ثم أحدث واصل بن عطاء الغزال بعد ذلك بدعـــة – لـــم يسبق إليها – في حكم مرتكب الكبيرة وهي القول بالمنزلة بين المنزلتين ،أي: أن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان و لم يـــدخل في الكفـــر ، أراد بذلك الجمع بين قول المرجئة القائلين بأن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان وبين قول الخوارج القائلين بأنه كافر .

---

(١) انظر : الإبانة – كتاب الإيمان – لابن بطة ( ٢ / ٨٩٠ – ٨٩٢ ) ، تهذيب التهـــذيب لابـــن حجر ( ١ / ٥٧٩ ) .

(٢) انظر : شرح حديث جبريل لابن تيمية ( ٣٧٢ ) .

(٣) هو : محمد بن عبد الكريم بن أحمد ، أبو الفتح ، الشهرستاني ، إمام أشعري ، من مؤلفاته ( نهاية الإقدام في علم الكلام ) ، و ( الملل والنحل ) . توفي سنة ٥٤٨ هـــ . انظر : سير أعـــلام النـــبلاء للذهبي ( ٢٠ / ٢٨٦ ) .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ١٣٩ ) .

(٥) انظر : القدرية والمرجئة للعقل ( ٨٤ ) .

(٦) انظر : المصدر السابق ( ٣٢ ) .

وقد كـــان ظهور هذه البدعة قبل سنة ١١٠هـــ ، وذلك لأنه في تلك السنة توفي الإمام الحسن البصري [١] ، وقـــد أحـــدث واصل بن عطاء هذه البدعة في مجلس الحسن البصري ، وقد ذكر الشهرستاني مـــا معناه أن الحسن البصري كـــان ذات يوم جالسا في مجلسه ، فـــدخل عليه رجل وقال له : (( يا إمام الدين ، لقد ظهرت في زماننا جماعـــة يُكفِّرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر يخرج به من الملة وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عنـــدهم لا تضر مع الإيمان ، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً في الإيمان ، ولا يضرّ مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة ، فكيف تحكم لنـــا في ذلك اعتقادا )) ، فبينما كان الحسن يفكـــر في الجواب ، سبقه واصل فقال : ((أنا أقـــول إن صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلقاً ، ولا كافر مطلقاً ، بل هو في منزلة بين منزلتـــين ، لا مـــؤمن ، ولا كافر )) . ثم قام واعـــتزل إلى اسطوانة مـــن اسطوانات المسجد ، يُقرر مذهبه الجديد على جماعة من أصحاب الحسن ، فقال الحسن : (( اعتزل عنَّا واصل )) ، فسُمِّي هو وأصحابه معتزلة [٢] .

فمن هذه الحادثة يتبيَّن لنا ما يلي :

**أولاً** : أول ظهور المعتزلة ، وسبب تسميتهم بهذا الاسم .

**ثانياً** : أن المؤسس الأول لفرقة المعتزلة هو واصل بن عطاء .

**ثالثاً** : أن أول أصل قالت به المعتزلة هو القول بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بـــين منزلتين .

---

(١) هو : الحسن بن أبي الحسن البصري ، الإمـــام الـــزاهد الفقيه المسند المحدث ، علم من أعلام السلف، وحملة الأثر ، وإمام التابعين . توفي سنة ١١٠هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء ( ٤/٥٦٣).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ٤٨ ) .

ثم إن المعتزلة أحدثت بعد هذا الأصل القول بالوعد والوعيد ، وهو أصل ينبني على الأصل السابق ، ويوضح لنا هذا الأصل الشهرستاني في وصفه لمعتقد المعتزلة حيث قال : (( واتفقوا على أن المـؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعِوَض والتفضيل ، ومعنى آخر وراء الثواب ، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار ، لكن يكون عقابه أخـف من عقاب الكفار ، وسموا هذا النمط وعـدا ووعيدا )) [1] .

إذا فقد وافقت المعتزلة الخوارج في خلود أصحاب الكبائر في النار ، وخالفتـهم في حكمه ومسماه في الدنيا [2] .

ثم جاء الجـهم بن صفوان- من بعدهم- ببدع نكراء ومسائل لـم يُسبق إليـها ، أوصلـها الإمام أحمد – رحمه الله – إلى سبعين مسألة [3] ، ومن تلكم البدع المنكرة التي أحدثها ولا أصل لها من كتاب ولا سنة ، هي القول بأن الإيمان هو المعرفة بالقلب وإن لم يكن هناك قول أو عمل .

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلاّم -رحمه الله- في معرض كلام له حول نشأة المرجئة:((ثم حدثت فرقة ثالثة شذّت عن الطائفتين جميعا،ليست من أهل العلم ولا الدين ،

---

(١) المصدر السابق ( ١ / ٤٥ )

(٢) سيأتي توضيح هذه المسألة في مبحث خاص .

(٣) نقل الخلال عن إسحاق بن عيسى البزّار أنه قال:(( قدم علينا رجل من صور ...فجعل يقول لنا:الإيمان مخلوق، والزكاة مخلوق، والحج مخلوق، والجهاد مخلوق.فجعلنا لا ندري ما نردّ عليه، فأتينا عبد الوهاب الورّاق،فقصصنا عليه أمره ، فقال : ما أدري ما هذا ؟ ائتوا أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، فإنه جهبذ هذا الأمر . قال : فأتينا أبا عبد الله ، ... فقال لنا أبو عبد الله : هذه مسائل الجهم بن صفوان وهي سبعون مسألة ، اذهبوا فاطردوا هـذا مـن عنـدكم ))انظـر : السـنة للخـلال ( ٥ / ٩٢ – ٩٣ ) .

فقالوا : الإيمان معرفة بالقلوب بالله وحده ، وإن لم يكن هناك قول ولا عمل وهذا منسلخ عندنا من قول أهل الملل الحنيفية لمعارضته لكلام الله ورسوله ﷺ بالــرد والتكذيب))[١] .

والجهم أخذ مقالته هذه مستنبطا لها من كلام فلاسفة اليونان ، وذلك أن الإيــمان عند الفلاسفة هو مجرد إثبات **العلّة الأولى** ، وجلّ كتاباتــهم تدور حول هذا المعنى ، بل كلامهم في الإلهيات مقتصر على هذا الجانب . وأما ما يتعلّق بحق الإله علينا ، من محبته ، وتعظيمه ، والخشوع له ، وعبادته ، والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، وغير ذلك من الأعمال القلبية – فضلا عن الأعمال الظاهرة – فليس لها ذكر أصلا في كتبهم ، وكل من طالــع كتبهم يعرف هذه الحقيقة [٢] .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - أن ظهور الجهم كان في خلافــة هشام بن عبد لملك [٣]، بخرسان [٤] [٥] .

وقد كانت خلافة هشام بن عبد الملك ما بين ١٠٥ – ١٢٥ هــ.

وقد تأثر بمنهج الجهم جميع طوائف المتكلمين .

---

(١) كتاب الإيمان لأبي عبيد ( ٥٩ – ٦٠ ) .

(٢) انظر : مقالات الجهم بن صفوان لياسر قاضي ( ١ / ٢١٣ – ٢١٨ ) .

(٣) هو : هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي أبو الوليد ، أمير المؤمنين ، ولــد سنة ٧٢ هــ ، وبويع له بالخلافة سنة ١٠٥ هــ ، وكان حازم الرأي ، شديدا على أهــل البــدع ، فقد أمر بقتل غيلان القدري والجعد بن درهم ، استمرت خلافته ٢٠ سنة إلا قليل ، توفي سنة ١٢٥ هــ .انظر: المنتظم لابن الجوزي ( ٧ / ٩٧ ) .

(٤) خرسان : بلاد واسعة تمتد من العراق حتى بلاد الهند ، ومن أمهات بلادها : نيسابور ، وهراة ، ومرو ، وبلخ ، ونسا ، وسرخس ، وما يتخلل ذلك من المدن التي هي دون نهر جيحون . انظر : معجم البلدان للحموي ( ٢ / ٣٥٠ – ٣٥٤ ).

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية ( ٢٠ / ٣٠٢ ) .

ثم حدثت بدعة الكرَّامية في الإيمان بعد بدعة الجهمية كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية [١] .

حيث زعموا أن الإيمان قول اللسان وإن كان مع عدم تصديق القلب [٢]، وهذه البدعة الشنعاء هي التي انفردت بها الكَّرامية دون سائر مقالاتهم [٣] ، ولهذا فالمنافق عندهم مؤمن في الدنيا على الحقيقة ، مستحق للعقاب الأبدي في الآخرة [٤]، فنازعوا في اسمه لا في حكمه ، ومع هذا فتسميتهم له مؤمنا بدعة ابتدعوها مخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة [٥] .

ثَّم جاء أبو الحسن الأشعري بعد تراجعه عن مذهب المعتزلة وسلوكه طريقة ابن كلاب [٦] بقول جديد في الإيمان نصر فيه قول الجهم حيث قال في كتابه اللمع بأنَّه : ((التصديق بالله )) [٧] .

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( و أبو الحسن الأشعري نصر قول الجهم في الإيمان ، مع أنه نصر المشهور عن أهل السنة من أنه يُستثنى في الإيمان [٨] [٨] ...واتبعه أكثر أصحابه على نصر قول الجهم في ذلك )) [١] .

---

(١) انظر : شرح حديث جبريل لابن تيمية ( ٣٧٨ ) .

(٢) المقالات للأشعري ( ١ / ٢٢٣ ) ، الفتاوى لابن تيمية ( ٣ / ١٠٣ ) .

(٣) شرح حديث جبريل لابن تيمية ( ٣٠٩ ) .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ١١٣ ) .

(٥) شرح حديث جبريل لابن تيمية ( ٣٠٩ ) .

(٦) هو : عبدالله بن سعيد بن كُلاَّب القطان البصري أبو محمد ، مؤسس فرقة الكلابية ، رأس المتكلمين في البصرة في زمانه ، حاول أن يتوسط بين السنة والاعتزال ، فاخترع القول بالكلام النفسي ، ونفي الصفات الاختيارية، فصار بذلك أوّل من أثبت بعض الصفات و أوّل البعض . انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٤ – ١٧٦) .

(٧) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ( ١٢٢ ) .

(٨) الأشاعرة وإن قالوا بالإستثناء في الإيمان إلا أنَّ مأخذهم فيه خلاف مأخذ السلف ، وسيأتي توضيح ذلك في مبحث خاص .

ومن ذهب إلى القول بأن الإيمان هو التصديق القلبي متأثرا بالجهم أيضا : أبو منصور الماتريدي (٢) حيث قال في كتاب التوحيد: ((أحق ما يكون به الإيمان القلوب)) (٣) .

إذا اتفق الأشعري والماتريدي على أن الإيمان هو : التصديق ، وأخرجوا النطق بالشهادتين وأعمال الجوارح من الإيمان .

هذا عرض موجز لجملة العقائد والفرق المخالفة لعقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم في مباحث الإيمان .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ( ٧ / ١٢٠ ) .

(٢) هو : محمد بن محمد بن محمود ، أبو منصور الماتريدي ، من أئمة علماء الكلام ، وسمي بالماتريدي نسبة إلى محلة ماتريد بسمرقند ، تنتسب إليه الطائفة الماتريدية ، من مؤلفاته : كتاب التوحيد ، وأوهام المعتزلة ، والجدل ، وتأويلات أهل السنة . توفي بسمرقند سنة ٣٣٣ هـ .
انظر : الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي ( ١٩٥ ) ، كشف الظنون ( ٦ / ٣٦ ) .

(٣) كتاب التوحيد ( ٣٧٣ ) .

# الباب الأول :

## جهود علماء الشافعية في تقرير حقيقة الإيمان وبيان علقته بالإسلام ، والرد على المخالفين

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : جهود علماء الشافعية في تقرير حقيقة الإيمان .

الفصل الثاني : جهود علماء الشافعية في الرد على المخالفين في حقيقة الإيمان .

الفصل الثالث : جهود علماء الشافعية في تقرير العلاقة بين الإسلام والإيمان .

# الفصل الأول

## جهود علماء الشافعية في تقرير حقيقة الإيمان

وفيه : أربعة مباحث :

المبحث الأول : تقريرهم أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل

المبحث الثاني : أدلتهم على دخول اعتقاد القلب في مسمى الإيمان

المبحث الثالث : أدلتهم على دخول قول اللسان في مسمى الإيمان

المبحث الرابع : أدلتهم على دخول عمل الجوارح في مسمى الإيمان

## المبحث الأول : تقريرهم أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل

لقد تظافرت و تكاثرت النقول عن الإمام الشافعي – رحمه الله – وعلماء الشافعية من بعده في تقرير عقيدة السلف في تعريفهم للإيمان وبيان حده الشرعي وأنه يطلق على اعتقاد الجنان وقول اللسان والعمل بالجوارح ، وقد جعلوا ذلك من أصولهم التي يذكروها ويجيبون بها أهل البدع .

فقد أخرج البيهقي بسنده عن الربيع بن سليمان المرادي قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول : (( الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص ))[١] .

وأخرج البيهقي أيضا بسنده عن الربيع أنه قال أنشدني الشافعي من قيله :

شهدت بأن الله لا شيء غيره وأشهد أن البعث حق وأخلص

وأن عرى الإيمان قول محسن وفعل زكي قد يزيد وينقص [٢]

وأخرج ابن عبد البر عن الربيع قال سمعت الشافعي يقول : (( الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب، ألا ترى قول الله جل جلاله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾[٣] يعني صلاتكم إلى بيت المقدس فسمى الصلاة إيمانا وهي قول وعمل وعقد ))[٤] .

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١/ ٣٨٧ ) ، الإنتقاء لابن عبد البر ( ٨١ ) .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١/ ٤٤٠ ) .

(٣) سورة البقرة الآية : ( ١٤٣) .

(٤) الإنتقاء لابن عبد لبر ( ٨١ ) .

ويقول الإمام الحميدي [١] –رحمه الله -:

(( أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ولا ينفع قول إلا بعمل ولا عمل وقول إلا بنية ولا قول وعمل بنية إلا بسنة ))[٢] .

ويقول ناصر المذهب الإمام المزني – رحمه الله – :

(( والإيمان قول وعمل ( مع اعتقاده بالجنان قول باللسان وعمل بالجوارح والأركان ) وهما سيان ونظامان وقرينان لا نفرق بينهما ، لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان )) [٣] .

وقد جعل الإمام الربيع بن سليمان المرادي القول بأن الإيمان قول وعمل من الأصول التي لا يتطرق إليها الشك .

قيل للربيع بن سليمان : أليس تقول الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ؟

قال : نعم ، سبحان الله ومن يشك في هذا !! [٤] .

ويقول الإمام أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – :

---

(١) عبد الله بن الزبير بن عيسى أبو بكر الأسدي الحميدي المكي ،قال أحمد : الحميدي عندنا إمام ، مات بمكة سنة تسع عشرة ، قال الحاكم كان البخاري إذا وجد الحديث عند الحميدي لا يعدوه إلى غيره .تهذيب التهذيب ( ٢ / ٣٣٤ – ٣٣٥ ) .

(٢) أصول السنة للإمام الحميدي ( ٤٩ ) .

(٣) شرح السنة للمزني ( ٧٧ – ٧٨ ) .

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ( ٢ / ٣٦١ ) .

(( الباب الثاني في إبانة قول أهل الحق والسنة ... وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص )) [١] .

وقال رحمه الله أيضا :

(( هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة ... ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ... وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب ، وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير)) [٢] .

ويقول الإمام الآجري – رحمه الله – :

(( اعلموا – رحمنا الله وإياكم – أن الذي عليه علماء المسلمين : أن الإيمان واجب على جميع الخلق ، وهو تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح .

ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق ، إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقا ،ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق اللسان حتى يكون عمل بالجوارح ، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمنا ، دلَّ على ذلك القرآن والسنة وقول علماء المسلمين)) [٣] .

ويقول الحافظ الإسماعيلي– رحمه الله – :

(( اعلموا – رحمنا الله وإياكم – أن مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة ... : أن الإيمان قول وعمل ومعرفة )) [٤] .

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ( ٤٣ – ٤٩ ) .

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري ( ١ / ٣٤٤- ٣٥٠ ) .

(٣) كتاب الشريعة للآجري ( ٢ / ٦١١ ) .

(٤) إعتقاد أهل السنة للإسماعيلي ( ٤٣ ) .

ويقول الإمام أبو المظفر السمعاني – رحمه الله – :

(( والإيمان في الشريعة يشتمل على الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان )) [١] .

ويقول الإمام أبو الفتح نصر المقدسي [٢] – رحمه الله – :

(( إن الذي أدركت عليه أهل العلم ٠٠٠ وأن الإيمان قول وعقد وعمل )) [٣] .

ويقول الإمام قوام السنة الأصبهاني – رحمه الله – :

(( قال علماء السلف ٠٠٠ والإيمان قول وعمل ونية )) [٤] .

وقد تتابع علماء الشافعية الكبار على تقرير هذا الأصل العظيم من أصول أهل السنة في كتبهم ورسائلهم أمثال : الإمام الحافظ محمد بن نصر المروزي [٥] ، وإمام أهل التفسير ابن جرير الطبري [٦] ،٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

---

(١) تفسير السمعاني ( ١ / ٤٣ ) ٠

(٢) هو : الشيخ الإمام العلامة القدوة المحدث مفيد الشام شيخ الإسلام أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي الفقيه الشافعي صاحب التصانيف والأمالي،قال الحافظ ابن عساكر: كان رحمه الله على طريقة واحدة من الزهد والتنزه عن الدنيا والتقشف،توفي سنة٤٩٠ هـ ٠السير(١٩/١٣٦-١٤٣)٠

(٣) مختصر الحجة على تارك المحجة للمقدسي ( ٢ / ٣٣٤ – ٣٣٧ ) ٠

(٤) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ( ٢ / ٢٧٩ – ٢٨١ ) ٠

(٥) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٢٣٨ ) ٠

(٦) صريح السنة للطبري ( ٢٥ ) ٠

والحافظ أبو عوانة الإسفراييني [١] [٢] ، والإمام الملطي [٣] ، والإمام اللالكائي[٤] [٥] ، [٥] ، والإمام الصابوني [٦] ، والإمام البغوي [٧] ، والإمام الفقية العمراني[٨] [٩]، وغيرهم ٠ وغيرهم ٠

---

(١) هو : يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد أبو عوانة الإسفراييني مصنف المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم ، أخذ عن المزني والربيع وطاف الدنيا في الحديث ، وقيل انه أول من أدخل مذهب الشافعي إلى أسفرايين ، مات سنة ست وقيل سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ٠ انظر : طبقات الشافعية لابن شهبة ( ١/ ١٠٤ ) ٠

(٢) مسند أبي عوانة ( ١ / ٦٣ ) ٠

(٣) التنبيه والرد للملطي ( ٥٨ ) ٠

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة السنة للالكائي ( ٢ / ٩١١ ) ٠

(٥) هو : الإمام الحافظ المجود المفتي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الشافعي اللالالكائي ، مفيد بغداد في وقته ، قال الخطيب : كان يفهم ويحفظ وصنف كتابا في السنة وعاجلته المنية خرج إلى الدينور فأدركه أجله بها في شهر رمضان ٤١٨ هـ ٠انظر:السير(١٧/٤١٩—٤٢٠)٠

(٦) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ( ٧٨ ) ٠

(٧) شرح السنة للبغوي ( ١ / ٣٨ — ٣٩ ) ٠

(٨) هو : أبو الخير يحي بن أبي الخير بن سالم العمراني اليماني مصنف البيان ، كان شيخ الشافعية ببلاد اليمن ، رحلت إليه الطلبة من البلاد وكان يحفظ المهذب ، توفي سنة ٥٥٨ هـ ٠ انظر : طبقات الشافعية للأسنوي ( ١ / ٢١٢ — ٢١٣ ) ٠

(٩) الإنتصار للعمراني ( ١ / ١٠٠ ) ٠

**المبحث الثاني : أدلتهم على دخول اعتقاد القلب في مسمى الإيمان ٠**
**وفيه ثلاثة مطالب :**

**المطلب الأول** : الأدلة من القرآن على دخول اعتقاد القلب في مسمى الإيمان ٠
لقد استدل الإمام الشافعي – رحمه الله – وعلماء الشافعية من بعده بآيات كثيرة تدل دلالة واضحة على دخول اعتقاد القلب في مسمى الإيمان ، ومن ذلك :

ما أخرجه ابن عبد البر بسنده عن الربيع قال : سمعت الشافعي يقول :
(( الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب ، ألا ترى قول الله عز وجل :﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ (١) يعني صلاتكم إلى بيت المقدس فسمى الصلاة إيمانا وهي قول وعمل وعقد )) (٢) ٠

وأخرج البيهقي بسنده عن أبي محمد الزبيري قال : ٠٠٠ قال الشافعي : إن الله جل ذكره فرض الإيمان على جوارح بني آدم ، فقسمه فيها ، وفرقه عليها ، فليس من جوارحه جارحه إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرض من الله تعالى ٠٠٠

(١) سورة البقرة الآية : ( ١٤٣ ) ٠
(٢) الإنتقاء لابن عبد البر ( ٨١ ) ٠

فأما فرض الله على القلب من الإيمان ، فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأن محمدا ﷺ عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء من عند الله ، نبي أو كتاب فذلك ما فرض الله جل ثناؤه على

القلب وهو عمله ، قال سبحانه : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ [1] الآية . وقال : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [2] الآية . وقال : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ [3] الآية .

وقال : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [4] الآية . فذلك ما فرض الله على القلب من الإيمان ، وهو عمله ، وهو رأس الإيمان ... )) [5]

ويقول الإمام الآجري – رحمه الله – :

(( فأما ما لزم القلب من فرض الإيمان – وذكر بعض الآيات التي تدل على ذلك ومنها قوله تعالى -: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [6] الآية .

فهذا مما يدلك على أن على القلب الإيمان ، وهو التصديق والمعرفة ، لا ينفع القول إذا لم يكن القلب مصدقا بما نطق به اللسان مع العمل ، فاعلموا ذلك )) [1] .

---

(١) سورة النحل الآية : ( ١٠٦ ) .

(٢) سورة الرعد الآية : ( ٢٨ ) .

(٣) سورة المائدة الآية : ( ٤١ ) .

(٤) سورة البقرة الآية : ( ٢٨٤ ) .

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١ / ٣٨٧ – ٣٩٣ ) .

(٦) سورة الحجرات الآية : ( ١٤ ) .

ومن الأدلة التي استدل بها الإمام اللالكائي – رحمه الله – على دخول اعتقاد القلب في مسمى الإيمان ٠

قوله تعالى : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [٢]

وقوله سبحانه :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ [٣] [٤]

وقد استدل الإمام السمعاني – رحمه الله – بقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [٥] على دخول اعتقاد القلب في مسمى الإيمان حيث قال : (( نفى الإيمان عنهم ، حيث أظهروا الإسلام باللسان و لم يعتقدوا بالجنان ، وهـذا دليل على من يخرج الإعتقاد من جملة الإيمان )) [٦] ٠

**المطلب الثاني** : الأدلة من السنة على دخول اعتقاد القلب في مسمى الإيمان ٠

لقد استدل علماء الشافعية – رحمهم الله – بأحاديث كثيرة تدل على دخول اعتقاد القلب في مسمى الإيمان منها :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن وفد عبد القيس أتوا النبي ﷺ فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع : أمرهم بالإيمان بالله وحده ، ثم قال : (( هل تدرون ما الإيمان

---

(١) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦١١ – ٦١٢ ) ، انظر : تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٥٠٤ )٠

(٢) سورة الحجرات الآية : ( ٧ ) ٠

(٣) سورة المجادلة الآية : ( ٢٢ ) ٠

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٢ / ٩١٢ ) ٠

(٥) سورة البقرة الآية : ( ٨ ) ٠

(٦)، وانظر : تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٥٠٤ ) ٠

بالله وحده ؟ )) قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : (( شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا من الغنائم الخمس )) [١] .

قال الإمام محمد بن نصر المروزي مستدلا بهذا الحديث على دخول اعتقاد القلب في مسمى الإيمان :

(( قالوا : فهذا رسول رب العالمين الذي جاء بالإيمان ، ودعا إليه فسأله الوفد عن أمر يدخلهم الجنة وينجيهم من النار فأمرهم بالإيمان بالله ، ثم قال لهم مخافة أن يحملوا ذلك على غير وجهه : (( أتدرون ما الإيمان بالله ؟ )) ثم فسره لهم فجعله توحيده والإقرار برسوله وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وإيتاء الخمس من الغنائم ، فهذا مما يبين لك أن الإيمان بالله إنما هو توحيده وعبادته )) [٢] .

وعن البراء بن عازب [٣] قال : كنت جالسا عند رسول الله ﷺ ، فقال : (( أتدرون أي عرى الإيمان أوثق ؟ )) قالوا : الصلاة ، قال : (( إن الصلاة لحسنة ، وما هي به )) ، قالوا : الزكاة ، قال : (( إن الزكاة لحسنة ، وما هي به )) ، قالوا الحج ، قال : (( إن الحج لحسن ، وما هو به )) ، قالوا : الجهاد ، قال : (( إن الجهاد لحسن

---

(١) أخرجه البخاري،كتاب الإيمان ،باب : أداء الخمس من الإيمان ،( ٥٣ ) ، ( ١/ ٣٤ – ٣٥ ) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : الأمر بالإيمان بالله تعالى ، رقم (١٧) ، ( ١ / ٤٦ ) .

(٢) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٢٦٠ ) .

(٣) هو : البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الأوسي ، رده رسول الله ﷺ في بدر استصغره ، وأول مشاهده أحد وقيل : الخندق ، وهو الذي افتتح الري سنة ٢٤ هـ . انظر : أسد الغابة ( ١ / ٢٠٥ – ٢٠٦ ) .

وما هو به )) فلما رآهم يذكرون شرائع الإسلام ، ولا يصيبون ، قال لهم : (( أوثق عرى الإيمان : الحب في الله ، والبغض في الله )) [١] .

قال الإمام المروزي – رحمه الله – :

(( قالوا : فجعل ﷺ الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد من الإيمان ، وجعل أوثق عرى الإيمان : الحب في الله ، والبغض في الله )) [٢] .

والحب والبغض من أعمال القلوب .

وعن أبي هريرة [٣] رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (( الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان )) [٤] .

وعن أنس بن مالك [١] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (( يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه من الإيمان ما يزن برة )) [٢] .

---

(١) أخرجه أحمد رقم ( ١٨٥٢٤ ) ، (٣٠ / ٤٨٨ ) ، والطيالسي في مسنده ( ٧٨٣ ) ، ( ٢ / ١١٠ – ١١١ ) ، وصححه الألباني انظر : الصحيحة (١٧٢٨ ) .

(٢) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٢٦٢ ) .

(٣)هو : أبو هريرة الدوسي صاحب رسول الله ﷺ وأكثرهم حديثا ، وقد اختلف في اسمه اختلافا كثيرا ، كناه النبي ﷺ لهرة كان يحملها ، توفي سنة ٥٧ هـ رضي الله عنه . انظر:أسد الغابة ( ٥ / ٣١٨ – ٣٢١ ) .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : أمور الإيمان ، رقم ( ٩ ) ( ١ / ٢٠ ) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : بيان عدد شعب الإيمان ، رقم (٣٥) ، ( ١ / ٦٣ ) .

وعن أبي سعيد الخدري [٣] ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (( من رأى منكم منكرا فإن استطاع أن يغيره بيده فليفعل ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان )) [٤] .

و بحديث أبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري ﷺ استدل الإمام البيهقي رحمه الله على دخول اعتقاد القلب في الإيمان .

**المطلب الثالث** : نقلهم لإجماع السلف على دخول اعتقاد القلب في مسمى الإيمان

لقد نقل الإمام الشافعي – رحمه الله – إجماع السلف على دخول اعتقاد القلب في مسمى الإيمان ، وقد حكى عنه ذلك غير واحد منهم الحافظ اللالكائي حيث قال :

(( قال الشافعي – رحمه الله – في كتاب الأم [٥] في باب النية في الصلاة : نحتج بأنه لا تجزي صلاة إلا بنية لحديث عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ : (إنما الأعمال بالنية )[١]

---

(١) هو : أنس بن مالك بن النظر الأنصاري الخزرجي ، خادم رسول الله ﷺ ، يُكنى أبا حمزة ، وهو من المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ ، توفي سنة ٩٠ هـ وقيل غير ذلك ، وهو آخر من توفي من الصحابة بالبصرة . انظر : أسد الغابة ( ١ / ١٥١ – ١٥٢ ) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه ، رقم ( ٤٤ ) ، ( ١ / ٣١ ) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : حديث الشفاعة ، رقم (١٩٣) ، ( ١ / ١٨٠ ).

(٣) هو : أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخدري ، كان من الحفاظ لحديث رسول الله ﷺ المكثرين ، أول مشاهده الخندق ، توفي سنة ٩٤ هـ . انظر : أسعد الغابة ( ٢ / ٢١٣ ) .

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب :كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم (٤٩)، (٦٩/١ ) .

(٥) بعد البحث لم أجد هذا النص في كتاب الأم .

ثم قال : وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم : أن الإيمان : قول وعمل **ونية** لا يجزي واحد من الثلاثة إلا بالآخر )) [٢] .

وكذلك الإمام البغوي – رحمه الله – حيث قال : (( اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان .

وقالوا إن الإيمان قول وعمل **وعقيدة** يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية )) [٣] .

ويقول الإمام أبو أحمد بن الحسن المعروف بابن الحداد [٤] – رحمه الله - : (( الذي يجب على العبد اعتقاده ، ويلزمه في ظاهره وباطنه اعتماده ، ما دلَّ عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع الصدر الأول ، من علماء السلف وأئمتهم الذين هم أعلام الدين وقدوة من بعدهم من المسلمين ، وذلك أن يعتقد العبد ويقر و يعترف بقلبه ولسانه ... وأن الإيمان قول باللسان **ومعرفة بالقلب** وعمل بالجوارح )) [٥] .

---

(١) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ، باب : كيف كان بدء الوحي ، رقم ( ١ ) ، ( ١ /١٣) ، ومسلم كتاب الإمارة، باب :قوله ﷺ : (( إنما الأعمال بالنية ))، رقم (١٩٠٧) ، (٣ / ١٥١٥ ) .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ٩٥٦ – ٩٥٧ ) .

(٣) شرح السنة للبغوي ( ١ / ٣٨ – ٣٩ ) .

(٤) هو : الإمام الحافظ المتقن الثقة العابد الخّير أبو نعيم عبيد الله بن الشيخ أبي علي الحسن بن أحمد الأصبهاني الحداد مفيد أصبهان في زمانه ، أحد العلماء في فنون كثيرة ، بلغ مبلغ الإمامة في فنون كثيرة بلا مدافعة . توفي سنة ٥١٧ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ( ١٩ / ٤٨٦ – ٤٨٨ ) .

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ( ١٧٥ ، ١٧٧ ) .

والتصديق القلبي قدر متفق عليه كما صرح بذلك الحافظ ابن حجر – رحمه الله – حيث قال في تعريفه للإيمان شرعا : (( وشرعا تصديق الرسول فيما جاء به عن ربه ، وهذا القدر متفق عليه )) [١] [٢] .

**المبحث الثالث : أدلتهم على دخول قول اللسان في مسمى الإيمان .**

**وفيه ثلاثة مطالب :**

**المطلب الأول** : الأدلة من القرآن على دخول قول اللسان في مسمى الإيمان .

أخرج ابن عبد البر بسنده إلى الربيع قال سمعت الشافعي يقول : (( الإيمان قول وعمل واعتقاد القلب ألا ترى قول الله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ [٣] يعني صلاتكم إلى بيت القدس فسمى الصلاة إيمانا وهي قول وعمل وعقد )) [٤] .

وأخرج البيهقي بسنده عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال : (( إن الله جل ذكره فرض الإيمان على جوارح بني آدم فقسمه فيها وفرقه عليها فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرض من الله تعالى ...

---

(١) فتح الباري لابن حجر ( ١ / ٦٠ ) .

(٢) وقد نقل الإجماع غير واحد من أئمة الشافعية انظر : شرح السنة للمزني ( ٨٩ ) ، وصريح السنة للطبري ( ٢٥ ) ، و الشريعة للآجري ( ٢ / ٦١١ ) ، و عقيدة السلف للصابوني ( ١١٤ ) ، ومختصر الحجة على تارك المحجة للمقدسي ( ٢ / ٣٣٤– ٣٣٥ ، ٣٣٧ ) ، و الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ( ٢/ ٢٧٩،٢٨١ ) ، و منازل الأئمة الأربعة للسلماسي ( ١٠٣ – ١٠٤ ، ١١٦ ) ، و اعتقاد أهل السنة والجماعة لعدي ابن مسافر ( ٤٢ – ٤٥ ) .

(٣) سورة البقرة الآية : ( ١٤٣ ) .

(٤) لإنتقاء لابن عبد البر ( ٨١ ) .

وفرض الله على اللسان : القول والتعبير عن القلب بما عقد وأقرَّ به فقال في ذلك ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ [(١)] [(٢)] وقال :﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ [(٣)] .

فذلك ما فرض الله على اللسان من القول والتعبير عن القلب وهو عمله والفرض عليه من الإيمان )) [(٤)] .

وقال الإمام الآجري – رحمه الله – :

(( وأما فرض الإيمان باللسان – ثم ساق الأدلة من القرآن الكريم في الدلالة على ذلك ومنها قوله تعالى – في سورة آل عمران : ﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ الآية [(٥)] . . . فهذا الإيمان باللسان نطقا فرضا واجبا )) [(٦)] .

واستدل الإمام اللالكائي – رحمه الله – بقوله تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ ﴾ [(٧)] على دخول قول اللسان في مسمى الإيمان [(٨)] .

واستدل الإمام البيهقي – رحمه الله – بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢

(١) سورة البقرة الآية : ( ١٣٦ ) .
(٢) استدل الإمام الآجري بهذه الآية على دخول القول في مسمى الإيمان، انظر الشريعة ( ٢/٦١٢ )
(٣) سورة البقرة الآية : ( ٨٣ ) .
(٤)مناقب الشافعي للبيهقي ( ١ / ٣٨٧ – ٣٩٣ ) .
(٥) سورة آل عمران الآية : ( ٨٤ ) .
(٦) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦١٢ – ٦١٣ ) .
(٧) سورة الحجرات الآية : ( ١٤ ) .
(٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٢ / ٩١١ ) .

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[(١)] على دخول قول اللسان في مسمى الإيمان حيث قال بعد أن ذكر الآية : (( فأخبر أن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال التي بعضها يقع في القلب **وبعضها باللسان** وبعضها بهما وسائر البدن ))[(٢)] .

ويقول الإمام العمراني – رحمه الله – في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾[(٣)] وقوله سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾[(٤)] وما أشبهها مما وعد الله عليه الثواب والجزاء ، أن المراد به التصديق باللسان والجوارح[(٥)] .

**المطلب الثاني** : الأدلة من السنة على دخول قول اللسان في مسمى الإيمان .

لقد استدل علماء الشافعية – رحمهم الله – بأحاديث كثيرة تدل على دخول قول اللسان في مسمى الإيمان منها

---

(١) سورة الأنفال الآية : ( ٢ ، ٣ ) .

(٢) الاعتقاد للبيهقي ( ٢١٢ ) .

(٣) سورة البقرة الآية : ( ٢٥ ) .

(٤) سورة التوبة الآية : ( ٧٢ ) .

(٥) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٧٤٠ ) .

عن عبد الله بن عمر [(١)] عن أبيه رضي الله عنهما قال : بينما نحن عند رسـول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فوضع ركبتيه إلى ركبتيه ووضـع كفيه على فخذيه .

ثم قال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ما الإسلام ؟ قال : (( أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم شهر رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا )) ، قال : صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه .

ثم قال : أخبرني عن الإيمان قال : (( الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسـله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره )) قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن الإحسـان ما الإحسان ؟ قال : (( أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك )) ، قـال : فأخبرني عن الساعة ؟ قال : (( ما المسئول عنها بأعلم بها من السائل )) ، قال : فأخبرني عن أماراتها ؟ قال : (( أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعـاء الشـاة يتطاولون في البنيان )) ثم انطلق قال عمر : فلبثت ثلاثا ثم قال رسول الله ﷺ : (( يا عمر أتدري من السائل ؟ )) قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : (( فإنه جبريل أتاكم يعلمكـم دينكم )) [(٢)] .

وقد بوب الإمام المروزي رحمه الله على هذا الحديث بقوله : (( باب : ذكر الأخبار المفسِّرة بأن الإيمان والإسلام تصديق وخضوع بالقلب واللسان وعمل بسـائر الجـوارح وتصديق لما في القلب )) [(٣)] .

---

(١) هو : عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم ، وكانت هجرته قبل هجرة أبيه ، وكان كثير الإتباع للرسول ﷺ ، توفي سنة ٧٣ هـ وقد تسبب الحجاج في قتله . انظر : أسد الغابة ( ٣ / ٢٣٦ — ٢٤١ ) .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : بيان الإيمـان والإسـلام والإحسـان ، رقـم (٨) ، ( ١ / ٣٦ ) .

(٣) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٢٣٨ ) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن وفد عبد القيس أتوا النبي ﷺ فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع : أمرهم بالإيمان بالله وحده ، ثم قال : (( هل تدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ )) قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : (( شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا من الغنائم الخمس )) [(١)] .

وقد استدلا بهذا الحديث على دخول القول في مسمى الإيمان الإمام البيهقي رحمه الله حيث قال : (( وسمى في حديث وفد عبد القيس كلمتي الشهادة ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، وإعطاء الخمس إيمانا )) [(٢)] .

وعن معاوية بن الحكم السُّلمي [(٣)] رضي الله عنه قال : وكانت لي جارية ترعى غنما لي قِبَل أُحد [(٤)] والجَوَّانيَّة [(٥)] ، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها ، وأن رجل من بني آدم ، آسف كما يأسفون ، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي . قلت : يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال : (( ائتني بها )) فأتيته بها . فقال لها : (( أين الله ؟ )) قالت في السماء . قال : (( من أنا ؟ )) قالت : أنت رسول الله . قال : (( أعتقها ، فإنها مؤمنة )) [(٦)] .

---

(١) تقدم تخريجه ( ٩٨ ) .

(٢) الاعتقاد للبيهقي ( ٢١٧ ) .

(٣) هو : معاوية بن الحكم السُّلمي ، قال أبو عمر : كان يسكن بني سليم وينزل المدينة ، وقال البغوي : سكن المدينة وروى عن النبي ﷺ حديثا . الإصابة لابن حجر ( ٦ / ١١٨ ) .

(٤) أحد :جبل معروف شمال المدينة . انظر : معجم البلدان للحموي ( ١ / ١٠٩ ) ، ووفاء الوفاء للسمهودي ( ٣ / ٩٣٧ ) .

(٥) الجَوَّانِيَّة : بالفتح وتشديد الواو وكسر النون وياء مشددة ، وحكي تخفيفها . موضع قرب أحد في شمال المدينة النبوية بطرق الحرة الشرقية مما يلي الشام . انظر : وفاء الوفاء ( ٤ / ١١٨٠ ) .

(٦) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ، باب : تحريم الكلام في الصلاة ، رقم (٥٣٧) ،( ١/ ٣٨١) .

وهذا الحديث استدل به الإمام ابن حبان[١] [٢]والإمام النووي – رحمهما الله – على إثبات الإيمان للمقر بالشهادتين معا .

قال الإمام النووي – رحمه الله – :

(( وفيه دليل على أن الكافر لا يصير مؤمنا إلا بالإقرار بالله تعالى وبرسالة رسول الله ﷺ )) [٣] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله )) [٤] .

قال الإمام الآجري – رحمه الله – بعد ذكره لهذا الحديث : (( فهذا الإيمان باللسان نطقا فرضا واجبا )) [٥] .

**المطلب الثالث** : نقلهم لإجماع السلف على دخول قول اللسان في مسمى الإيمان

(١) هو : الحافظ العلامة أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي ، صاحب التصانيف ، صنف المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء ، قال الحاكم : كان من أوعية العلم في الفقه والحديث واللغة ، مات في شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . طبقات الحفاظ للسيوطي ( ١/ ٣٧٦) .

(٢) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ( ١ / ١٩١ ).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ( ٣ / ٢٨ ) .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : فإن تابوا وأقاموا الصلاة ، ( ٢٥ ) ، ( ١ / ٢٤ ) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ،(٢٢) ، ( ١ / ٥٣ ) .

(٥) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦١٣ ) .

لقد نقل الإمام الشافعي – رحمه الله – في كتاب الأم في باب النية في الصلاة الإجماع على دخول قول اللسان في مسمى الإيمان حيث قال : (( نحتج بأنه لا تجزي صلاة إلا بنية لحديث عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ : (( إنما الأعمال بالنية )) ثم قال : وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم : أن الإيمان : **قول** وعمل ونية لا يجزي واحد من الثلاثة إلا بالآخر )) [١] .

ومن نقل الإجماع من أئمة الشافعية على دخول قول اللسان في مسمى الإيمان الإمام الطبري – رحمه الله – حيث قال في رسالته صريح السنة : (( والصواب لدينا من القول : أن الإيمان **قول** وعمل يزيد وينقص وبه الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وعليه مضى أهل الدين والفضل )) [٢] .

ويقول الإمام يحي بن إبراهيم السلماسي : (( جمل الاعتقاد المجمع عليها نقلها الخلف عن السلف ، أجمع عليها الصحابة والتابعون لهم بإحسان ، وأئمة الأمصار من الفقهاء وأصحاب الحديث وأرباب الورع والتقوى المصنفين في علم الكتاب والسنة ، حجازا ويمنا وشاما وعراقا وفارس وخرسان وما وراء النهر [٣] وثغور الشام [٤]

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ٩٥٦ – ٩٥٧ ) .

(٢) صريح السنة لابن جرير ( ٢٥ ) .

(٣) بلاد ما وراء النهر : اسم أطلقه المسلمون على البلاد الواقعة شرق نهر جيحون بخرسان ، ويسمى حاليا نهر ( امودريا )وتشمل مدن بخارى وسمرقند وطشقند ( المنجد : ٦٣١ ) و ( معجم البلدان : ٥ / ٤٥ ) .

(٤) ثغور الشام : هي الحصون التي شيدها الخلفاء على الحدود بين بلاد المسلمين وبلاد البيزنطيين شمالي سوريا في القرن التاسع الميلادي منها : طرسوس ، أدنه ، رعش ، ملطية . ( المنجد : ٤٩٧ )

وأذربيجان [١] وأرَّان [٢] وديار ربيعة ومضر أجمعوا ٠٠٠وأن الإيمان الشرعي **قول** وعمل ومعرفة بنص الخبر ))[٣] [٤] ٠

**المبحث الرابع : أدلتهم على دخول عمل الجوارح في مسمى الإيمان ٠**
**وفيه ثلاثة مطالب :**

**المطلب الأول** : الأدلة من القرآن على دخول عمل الجوارح في مسمى الإيمان ٠

روى ابن أبي حاتم [٥] بسنده إلى الشافعي أنه قال للحميدي : ما يحتج عليهم يعني أهل الإرجاء بآية أحج من قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [١] [٢] ٠

---

(١) أذربيجان : كانت من جمهوريات الإتحاد السوفيتي السابق ، وقد أصبحت جمهورية مستقلة ، وتقع على سواحل بحر قزوين ( الخزر ) وعاصمتها : باكو ٠ ( المنجد : ٢ ) ٠

(٢) أرَّان : بلاد واسعة تقع بين أذربيجان وأرمينية والكرج وجبال القوقاز وبحر الخزر ، ونهاية حدها الشمالي باب الأبواب ( الدَّرْبند ) ومن أهم مدنها : جَنْزَة ( كنجة ) و بردعة ٠ معجم البلدان : ( ١ / ١٣٦ )، صبح الأعشى :( ٤ / ٤٠٢ ) ٠

(٣) منازل الأئمة الأربعة للسلماسي ( ١٠٣ – ١٠٤ ، ١١٦ ) ٠

(٤) وقد نقل الإجماع غير واحد من أئمة الشافعية انظر : شرح السنة للمزني ( ٨٩ ) ، والشريعة للآجري ( ٢ / ٦١١ ) ، و عقيدة السلف للصابوني ( ١١٤ ) ، ومختصر الحجة على تارك المحجة للمقدسي ( ٢ / ٣٣٤- ٣٣٥ ، ٣٣٧ ) ، وشرح السنة للبغوي ( ١ / ٣٨ – ٣٩ ) ، و اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (١٧٥، ١٧٧)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني( ٢/ ٢٧٩،٢٨١ ) ، و اعتقاد أهل السنة والجماعة لعدي بن مسافر ( ٤٢ – ٤٥ ) ٠

(٥) هو : العلامة الحافظ يُكنى أبا محمد عبد الرحمن واسم أبيه محمد بن إدريس الإمام الحافظ الناقد ، كان بحرا لا تُكدره الدلاء ، قال علي بن أحمد الفرضي : ما رأيت أحدا ممن عرف عبد الرحمن ذكر عنه جهالة قط ٠ توفي سنة ٣٢٧ هـ بالري ٠انظر : السير ( ١٣ / ٢٦٣ – ٢٦٩ ) ٠

وقد استدل بهذه الآية على دخول العمل في مسمى الإيمان الإمام محمد ابـــن نصـــر المروزي [٣] ، والإمام الآجري [٤] ، والإمام اللالكائي [٥] .

وأخرج ابن عبد البر بسنده إلى الربيع قال سمعت الشافعي يقول : (( الإيمان قـــول وعمل واعتقاد ألا ترى قول الله عز وجـــل : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ [٦] يعـــني صلاتكم إلى بيت المقدس فسمى الصلاة إيمانا وهي قول وعمل وعقد )) [٧] .

وتفسير الصلاة بالإيمان في هذه الآية مما أجمع عليه أهل التفسير كما ذكـــر ذلـــك الإمام الحليمي [٨] رحمه الله حيث قال : (( وأجمع المفسرون على أنه أراد به صلاتكم إلى بيت المقدس ، فثبت أن الصلاة إيمان وإذا ثبت ذلك فكل طاعة إيمان إذ لا فارق يفـــرق بينهما )) [٩] .

---

(١) سورة البينة الآية : ( ٥ ) .

(٢) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم ( ١٩١ ) .

(٣) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٢٢٣ ) .

(٤) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٤٣ ) .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٢ / ٩١٢ ) .

(٦) سورة البقرة الآية : ( ١٤٣ ) .

(٧)الإنتقاء لابن عبد البر ( ٨١ ) .

(٨) هو : القاضي العلامة رئيس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر أبو عبد الله الحسين بـــن الحســـن البخاري الشافعي، أحد الأذكياء الموصوفين ومن أصحاب الوجوه في المذهب، توفي سنة ٤٠٣ هـــ. انظر : السير للذهبي ( ١٧ / ٢٣١ – ٢٣٤ ) .

(٩) المنهاج للحليمي ( ١ / ٣٧ ) .

وقد استدل بهذه الآية جمع من علماء الشافعية على دخول العمل في مسمى الإيمان منهم : الإمام الآجري [(١)] ، والإمام اللالكائي [(٢)] والإمام الماوردي[(٣)] [(٤)]، والإمام البيهقي [(٥)] ، والإمام السمعاني [(٦)] ، والإمام قوام السنة الأصبهاني [(٧)] ، والإمام العمراني [(٨)] ، والإمام النووي [(٩)] وغيرهم ٠

قال الإمام البيهقي – رحمه الله – بعد أن ذكر الآية : (( وفي هذا دلالة على أنه سمى صلاتهم إلى بيت المقدس إيمانا ، وإذا ثبت ذلك في الصلاة ، ثبت ذلك في سائر الطاعات )) [(١٠)] ٠

ومن الأدلة التي استدلوا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [(١١)] ٠

---

(١) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٥٤ – ٦٥٥ ) ٠

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٢ / ٨٩٦ – ٨٩٩ ) ٠

(٣) هو : علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري أحد أئمة أصحاب الوجوه قال الخطيب كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعين وله تصانيف عدة في أصول الفقه وفروعه وفي غير ذلك ، توفي في ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة ٠ طبقات الشافعية لابن شهبة ( ٢٣١/١) 0

(٤) النكت والعيون للماوردي ( ١ / ٢٠١ ) ٠

(٥) الاعتقاد للبيهقي ( ٢١٣ – ٢١٤ ) ٠

(٦) تفسير السمعاني ( ١ / ١٥٠ ) ٠

(٧) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ( ١ / ٤٣٨ ) ٠

(٨) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٧٤٥ ) ٠

(٩) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ١٠٥ – ١٠٦ ) ٠

(١٠) الاعتقاد للبيهقي ( ٢١٤ ) ٠

(١١) سورة الأنفال الآية : ( ٤ ) ٠

يقول الإمام محمد بن نصر المروزي – رحمه الله – مبينا وجه الاستدلال من الآيــة على دخول العمل في مسمى الإيمان :

(( ووصف الله عز وجل المؤمنين بالأعمال ، ثم ألزمهم حقيقة الإيمان ، ووصفهم بها بعد قيامهم بالأعمال من الصلاة والزكاة وغيرهما فقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [1] ثم قــــال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [2] فوصفهم بحقيقة الإيمان بعد قيامهم بالأعمال التي ذكرها )) [3] .

ومن الأئمة الذين استدلوا بهذه الآية على دخول العمل في مسمى الإيمان : الإمــام ابن جرير الطبري[4] ، والإمام البيهقي[5] ، والإمام البغوي [6] ، والإمــام الأصــبهاني[7] وغيرهم .

ويقول الإمام الآجري – رحمه الله – :

(( اعلموا– رحمنا الله وإياكم– يا أهل القرآن ، ويا أهل العلم بالسنن والآثار ، ويا معشر من فقههم الله تعالى في الدين بعلم الحلال والحرام أنكم إن تدبرتم القــرآن كمــا أمركم الله تعالى ، علمتم أن الله تعالى أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله العمل ، وأنه تعالى لم يثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم وأنهم قد رضوا عنه ، وأثابهم على ذلك

---

(١) سورة الأنفال الآية : ( ٢ ، ٣ ) .

(٢) سورة الأنفال الآية : ( ٤ ) .

(٣) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٢٣٠ ) .

(٤) تهذيب الآثار للطبري ( ٢ / ٦٨٢ – ٦٨٣ ) .

(٥) الاعتقاد للبيهقي ( ٢١٢ ) .

(٦) شرح السنة للبغوي ( ١ / ٣٨ – ٣٩ ) .

(٧) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ( ١ / ٤٣٨ ) .

الدخول إلى الجنة والنجاة من النار إلا بالإيمان والعمل الصالح . قرن مع الإيمان العمل الصالح ، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده حتى ضم إليه العمل الصالح الذي وفقهم له ، فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقا بقلبه ، وناطقا بلسانه ، وعاملا بجوارحه ، لا يخفى على من تدبر القرآن وتصفحه ، وجده كما ذكرت .

واعلموا – رحمنا الله وإياكم – أني قد تصفحت القرآن فوجدت ما ذكرته في شبيه من خمسين موضعا من كتاب الله تعالى أن الله تبارك وتعالى لم يدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده ، بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم ، وبما وفقهم له من الإيمان والعمل الصالح ...

فإن قال قائل : فاذكر هذا الذي بينته من كتاب الله تعالى ليستغني غيرك عن التصفح للقرآن .

قيل له : نعم ، والله الموفق لذلك والمعين عليه .

قال الله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢)

وقال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٣)

وقال تعالى في سورة النساء : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ ﴾ الآية (١)

---

(١) سورة البقرة الآية : ( ٢٥ ) .

(٢) سورة البقرة الآية : ( ٢٧٧ ) .

(٣) سورة آل عمران الآية : ( ٥٦ ، ٥٧ ) .

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ (٢) ... )) (٣) .

وبهذه الآيات التي ذكرها الإمام الآجري استدل بها أيضا شيخ الشافعية في اليمن الإمام يحي بن أبي الخير العمراني على دخول العمل في مسمى الإيمان (٤) .

ومن الآيات التي استدل بها الإمام اللالكائي – رحمه الله – على دخول العمل في مسمى الإيمان قوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾(٥) .

وبقوله سبحانه : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ ﴾ (٦))) (٧) .

**المطلب الثاني** : الأدلة من السنة على دخول عمل الجوارح في مسمى الإيمان .

---

(١) سورة النساء الآية : ( ٥٧ ) .

(٢) سورة النساء الآية : ( ١٢٢ ) .

(٣) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦١٨ – ٦٣٦ ) .

(٤) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٧٥٨ – ٧٥٩ ) .

(٥) سورة الكهف الآية : ( ١١٠ ) .

(٦) سورة الأنعام الآية : ( ١٥٨ ) .

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٢ / ٩١٢ ) .

لقد استدل علماء الشافعية – رحمهم الله – بأحاديث كثيرة تدل على دخول عمل الجوارح في مسمى الإيمان منها :

عن عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فوضع ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه .

ثم قال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ما الإسلام ؟ قال : (( أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم شهر رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا )) ، قال : صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه .

ثم قال : أخبرني عن الإيمان قال : (( الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره )) قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن الإحسان ما الإحسان ؟ قال : (( أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك )) ، قال : فأخبرني عن الساعة ؟ قال : (( ما المسئول عنها بأعلم بها من السائل )) ، قال : فأخبرني عن أماراتها ؟ قال : (( أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان )) ثم انطلق قال عمر : فلبثت ثلاثا ثم قال رسول الله ﷺ : (( يا عمر أتدري من السائل ؟ )) قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : (( فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم )) [(١)] .

وقد بوب الإمام المروزي رحمه الله على هذا الحديث بقوله : (( باب : ذكر الأخبار المفسِّرة بأن الإيمان والإسلام تصديق وخضوع بالقلب واللسان وعمل بسائر الجوارح وتصديق لما في القلب )) [(٢)] .

---

(١) تقدم تخريجه ( ١٠٦ ) .

(٢) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٢٣٨ ) .

ومن الأحاديث التي استدل بها الإمام البغوي – رحمه الله - على دخول العمل في مسمى الإيمان حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن وفد عبد القيس أتوا النبي ﷺ فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع : أمرهم بالإيمان بالله وحده ، ثم قال : (( هل تدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ )) قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : (( شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا من الغنائم الخمس )) [1] .

حيث قال : (( وفي الحديث أن الأعمال من الإيمان حيث فسر الإيمان بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وإعطاء الخمس من الغنيمة )) [2] .

وعن البراء بن عازب قال : كنت جالسا عند رسول الله ﷺ ، فقال : (( أتدرون أي عرى الإيمان أوثق ؟ )) قالوا : الصلاة ، قال : (( إن الصلاة لحسنة ، وما هي به )) ، قالوا : الزكاة ، قال : (( إن الزكاة لحسنة ، وما هي به )) ، قالوا الحج ، قال : (( إن الحج لحسن ، وما هو به )) ، قالوا : الجهاد ، قال : (( إن الجهاد لحسن وما هو به )) فلما رآهم يذكرون شرائع الإسلام ، ولا يصيبون ، قال لهم : (( أوثق عرى الإيمان : الحب في الله ، والبغض في الله )) [3] .

قال الإمام المروزي – رحمه الله - :

(( قالوا : فجعل ﷺ الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد من الإيمان ، وجعل أوثق عرى الإيمان : الحب في الله ، والبغض في الله )) [4] .

---

(١) تقدم تخريجه ( ٩٨ ) .

(٢) شرح السنة للبغوي ( ١ / ٤٧ ) .

(٣) تقدم تخريجه ( ٩٩ ) .

(٤) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٢٦٢ ) .

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : (( الإيمان بضـع وسـتون أو بضـع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان )) (١) .

وبهذا الحديث استدل الإمام الأصبهاني – رحمه الله – على دخول العمل في مسمى الإيمان (٢) .

وقال الإمام البيهقي رحمه الله : (( وقد سمى رسول الله ﷺ الطهور إيمانا ، فقال في حديث أبي مالك الأشعري(٣) ﷺ : (( الطهور شطر الإيمان )) (٤) )) (٥) .

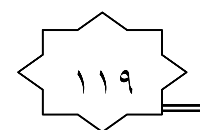
**المطلب الثالث** : نقلهم لإجماع السلف على دخول عمل الجوارح في مسمى الإيمان

لقد نقل الإمام الشافعي – رحمه الله – الإجماع على دخول العمل في مسمى الإيمان حيث قال : (( وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول **وعمل** ونية لا يجزي واحد من الثلاثة إلا بالآخر )) (٦) .

وقال الإمام الآجري – رحمه الله – :

---

(١) تقدم تخريجه ( ١٠٠ ) .
(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ( ١ / ٤٣٩ ) .
(٣) هو : أبو مالك الأشعري ، قَدِم في السفينة مع الأشعريين على النبي ﷺ له صحبة ، أُختلف في اسمه فقيل : كعب وقيل : عُبيد وقيل غير ذلك . انظر : أسد الغابة ( ٥ / ٢٧٢ ) .
(٤) أخرجه مسلم ، كتاب الطهارة ، باب : فضل الوضوء ، رقم (٢٢٣) ، ( ١ / ٢٠٣ ) .
(٥) الاعتقاد للبيهقي ( ٢١٤ ) .
(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ٩٥٦ – ٩٥٧ ) .




(( اعلموا – رحمنا الله وإياكم – أن الذي عليه علماء المسلمين : أن الإيمان واجب على جميع الخلق ، وهو تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، **وعمل بالجوارح** )) [(١)] .

وممن نقل الإجماع أيضا على دخول العمل في مسمى الإيمان الإمام الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي – رحمه الله – حيث قال :

(( إن الذي أدركت عليه أهل العلم ، ومن لقيتهم وأحدث عنهم ومن بلغني قوله من غيرهم ، ممن يعول عليه ويرجع في النوازل إليه ، ممن ينطق عن علم صائب وفهم ثاقب ، وأمانة قوية وديانة أصيلة ، مشهور في وقته بالإمامة موصوف بالقدوة والزعامة ، ناطق عن الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة ، مجانب للبدعة والضلالة والأهواء والجهالة ، أنه لا يجوز اعتقاد ما لم يكن له أصل في كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله ﷺ ، وإجماع أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان عليهم من الله الرحمن الرحمة والرضوان ، ولا يحل الكلام فيه وأنه بدعة وضلالة ومعصية وجهالة ، ثم الاعتقاد بعد ذلك ... وأن الإيمان قول وعقد **وعمل** )) [(٢)] [(٣)] .

---

(١) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦١١ ) .

(٢) مختصر الحجة على تارك المحجة للمقدسي ( ٢ / ٣٣٤ – ٣٣٥ ، ٣٣٧ ) .

(٣) وقد نقل الإجماع غير واحد من أئمة الشافعية انظر : شرح السنة للمزني ( ٨٩ ) ، صريح السنة لابن جرير ( ٢٥ ) ، و عقيدة السلف للصابوني ( ١١٤ ) ، و شرح السنة للبغوي ( ١ / ٣٨ – ٣٩ ) ، و اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (١٧٥، ١٧٧)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٢٧٩، ٢٨١) ، ومنازل الأئمة الأربعة للسلماسي ( ١٠٣ – ١٠٤ ، ١١٦ ) ، و اعتقاد أهل السنة والجماعة لعدي ابن مسافر ( ٤٢ – ٤٥ ) .

لقد قرر علماء الشافعية رحمهم الله تعالى في المباحث السابقة عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم في تعريف الإيمان الشرعي وبيان حده ، وذلك من خلال نصوص الكتاب والسنة وما أجمع عليه علماء الأمة .

وقد تنوعت عباراتهم رحمهم الله في تعريفهم للإيمان :

١ – فتارة يقولون : الإيمان قول وعمل .

٢ – وتارة يقولون : قول وعمل ونية .

٣ – وتارة يقولون : قول وعمل ونية واتباع للسنة .

٤ – وتارة يقولون : قول اللسان ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن أورد هذه التعريفات : (( وكل هذا صحيح )) وعلل ذلك بقوله :

(( فمن قال : إن الإيمان قول وعمل ، أراد قول القلب واللسان ، وعمل القلب والجوارح )) .وقول اللسان وعمل الجوارح معروفان .

وأما المقصود من قول القلب : فهو إقراره ومعرفته وتصديقه .

وأما عمله : فهو انقياده لما صدق به .

ومن عبر عن الإيمان بهذا التعريف ليس مراده كل قول أو عمل ، وإنما المراد ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال .

كما أن تعبير بعض السلف بهذه العبارة في تعريف الإيمان إنما جاء في معرض الـــرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط ، فقال بعض السلف ردا عليهم : بل قول وعمل .

وأما من عرفه بقوله : قول وعمل ونية ، فمقصوده بزيادة لفظ ( ونية ) : أن القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان.

وأما العمل فقد لا يُفهم منه النية ، فزاد ذلك .

و أما من عرَّفه بأنه قول وعمل ونية واتباع للسنة ، فقد زاد لفظة ( واتباع للسنة ) لأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة )) [1] .

وقد تظافرت النقول عن أئمة أهل السنة في موافقة ما قرره علمـــاء الشـــافعية في تعريفهم للإيمان ، ومن هذه النقول :

قول الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله : (( السنة عشرة ، فمن كُنَّ فيه فقد استكمل السنة ، ومن ترك منها شيئا ، فقد ترك السنة : ... والإيمان قول وعمل )) [2] .

وقال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله : (( الإيمان : قول ، وعمل ، يزيـــد وينقص )) [3] .

(١) كتاب الإيمان لابن تيمية ( ١٣٧ – ١٣٨ ) بتصرف .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ١ / ١٧٥ ) .

(٣) المصدر السابق ( ١ / ١٧٩ ) .

وقال الإمام البخاري رحمه الله : (( لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم ... فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء : أن الدين قول وعمل وذلك لقول الله : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[١] ))[٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (( أجمع السلف : أن الإيمان قول وعمل .. ومعنى ذلك : أنه قول القلب ، وعمل القلب ، ثم قول اللسان ، وعمل الجوارح ))[٣] .

والعبودية لله تعالى قائمة على هذه القواعد الأربع ، قال شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله :

(( فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع فأصحاب ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾[٤] حقا هم أصحابها .

**فقول القلب** : هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه ، وعن أسمائه وصفاته ، وأفعاله ، وملائكته ، ولقائه ، على لسان رسله .

**وقول اللسان** : الإخبار عنه بذلك ، والدعوة إليه ، والذب عنه ، وتبيين بطلان البدع المخالفة له ، والقيام بذكره ، وتبليغ أوامره .

---

(١) سورة البينة الآية : ( ٥ ) .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ١ / ١٩٥ ) .

(٣) مجموع الفتاوى ( ٧ / ٦٧٢ ) .

(٤) سورة الفاتحة الآية : ( ٥ ) .

**وعمل القلب** : كالمحبة له ، والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، والخوف منه ، والرجاء له ، وإخلاص الدين له ، والصبر على أوامره ، وعن نواهيه ، وعلى أقداره ، والرضى به وعنه ، والموالاة فيه ، والمعاداة فيه ، والذل له ، والخضوع والإخبات إليه ، والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح ، ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها ، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة ، أو قليل المنفعة .

**وأعمال الجوارح** : كالصلاة ، والجهاد ، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ، ومساعدة العاجز ، والإحسان إلى الخلق ، ونحو ذلك )) [١] .

## الفصل الثاني

## جهود علماء الشافعية في الرد على المخالفين في حقيقة الإيمان .

### وفيه أربعة مباحث :

**المبحث الأول : الرد على من قال إن الإيمان مجرد المعرفة فقط**

**المبحث الثاني : الرد على من قال إن الإيمان تصديق بالقلب فقط**

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ( ١ / ١١٣ – ١١٤ ) .

**المبحث الثالث : الرد على من قال إن الإيمان قول باللسان فقط**

**المبحث الرابع : الرد على من قال إن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان فقط**

**المبحث الأول : الرد على من قال إن الإيمان مجرد المعرفة فقط .**

**وفيه مطلبان :**

**المطلب الأول** : أصحاب هذه المقالة وأدلتهم .

أصحاب هذه المقالة هم الجهمية أتباع الجهم بن صفوان حيث زعم أن الإيمان هو : المعرفة بالله تعالى فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط ، وعليه فمن عرف الله بقلبه ثم أظهر اليهودية والنصرانية وسائر أنواع الكفر بلسانه وعبادته ، فهو مسلم من أهل الجنة [(١)] .

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ( ١ / ٢١٣ - ٢١٤ ) ، الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ٨٨ ) ، الفرق بين الفرق للبغدادي (١٥٨) ، الفصل لابن حزم ( ٣ / ٢٢٧ – ٢٢٨ ) .

وما ذهب إليه الجهم في الإيمان تكاد تجمع عليه جميع المصادر التي اعتنت بذكر مذهبه ، خلافا لتاج الدين السبكي [١] الذي حاول التشكيك فيما نسبه العلماء للجهم في تعريفه للإيمان [٢] .

ثم إن المصادر التي ذكرت مذهب الجهم في الإيمان لم تعتن بذكر أدلته عليه ، إلا أن العلماء ذكروا له هذا الدليل وما في معناه من الأدلة وهو :

قوله ﷺ : (( من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة )) [٣] .

وما جاء في معنى هذه الأحاديث .

قال القاضي عياض[٤] — رحمه الله – :

(( وقد يحتج به أيضا من يرى أن مجرد معرفة القلب نافعة دون النطق بالشهادتين لاقتصاره على العلم )) [٥] .

**المطلب الثاني** : الرد عليهم .

---

(١) هو : العلاوة قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الأنصاري الخزرجي السبكي ، قرأ على الحافظ المزي ولازم الذهبي ، من تصانيفه : شرح مختصر ابن الحاجب ، وطبقات الفقهاء الكبرى ، توفي بالطاعون سنة ٧٧١ هـ . انظر : طبقات الشافعية لابن شهبة ( ٣ / ١٠٦ ) .

(٢) انظر : طبقات الشافعية للسبكي ( ١ / ٩١ ) .

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب : الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ، رقم (٢٦) ، ( ١ / ٥٥ ) .

(٤) هو : الإمام العلامة الحافظ الأوحد شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي المالكي ، قال القاضي شمس الدين في وفيات الأعيان : هو إمام الحديث في وقته وأعرف الناس بعلومه وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، توفي سنة ٥٠٤ هـ . السير (٢١٢/٢٠–٢١٨) .

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ١٦٦ ) .

والجواب على استدلالهم بهذه الأحاديث أن يقال : أنها قد جاءت مفسرة في أحاديث أخرى منها : قوله ﷺ : (( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا : أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت به )) [١] .

قال الإمام النووي – رحمه الله – : (( وفيه أن الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما و اعتقاد جميع ما أتى به رسول الله ﷺ )) [٢] .

ويقول الإمام ابن الصلاح [٣] رحمه الله : (( وقوله (( وهو يعلم )) لا يحملنا على مخالفة الفقهاء وسائر أهل السنة في قولهم : إنه لا يصير مسلما بمجرد المعرفة بالقلب دون النطق بالشهادتين إذا كان قادرا عليه لأن اشتراط ذلك ثابت بينته أحاديث أخر )) [٤] .

ثم إنه يلزم على دعواهم أن الإيمان هو المعرفة فقط ، لوازم باطلة منها ما أشار إليه الإمام الآجري رحمه الله حيث قال :

(( ومن قال : الإيمان : المعرفة دون القول والعمل ، فقد أتى بأعظم من مقالة من قال : الإيمان قول ، ولزمه أن يكون إبليس على قوله مؤمنا، لأن إبليس قد عرف ربه قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ [٥] وقال تعالى : ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ ﴾ [٦] ويلزم أن

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، رقم (٢١) ، ( ١ / ٥٢ ) .

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ١٦٠ ) .

(٣) هو : الإمام الحافظ المفتي شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشافعي صاحب كتاب علوم الحديث ، كان سلفيا حسن الإعتقاد كاف عن تأويل المتكلمين ، توفي سنة ٦٤٣ هـ . انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ( ٤ / ١٤٣٠ ) .

(٤) صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح ( ١٧٥ ) .

(٥) سورة الحجر الآية : ( ٣٩ ) .

(٦) سورة الحجر الآية : ( ٣٦ ) .

تكون اليهود – لمعرفتهم بالله وبرسوله – أن يكونوا مؤمنين قال الله عز وجل : ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ ﴾ [(١)] فقد أخبر عز وجل : أنهم يعرفون الله تعالى ورسوله

ويقال لهم : أيْش الفرق بين الإسلام وبين الكفر ؟ وقد علمنا أن أهل الكفر قد عرفوا بعقولهم أن الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما ، ولا ينجيهم في ظلمات البر والبحر إلا الله ، وإذا أصابتهم الشدائد لا يدعون إلا الله .

فعلى قولهم إن الإيمان المعرفة : كل هؤلاء ( مثل من قال : الإيمان : المعرفة ) [(٢)] ، على قائل هذه المقالة الوحشية لعنة الله )) [(٣)] .

**المبحث الثاني : الرد على من قال أن الإيمان تصديق بالقلب فقط .**

**وفيه مطلبان :**

**المطلب الأول** : أصحاب هذه المقالة وأدلتهم .

أصحاب هذه المقالة هم عامة الأشاعرة[(٤)] و الماتريدية [(١)].

---

(١) سورة البقرة الآية : ( ١٤٦ ) .

(٢) هكذا في الأصل ، وهي عبارة غير مفهومة ، والأصح : ( كل هؤلاء مؤمنون ) انظر : حاشية د / الدميجي على هذه العبارة ، الشريعة للآجري ( ٢ / ( ٦٨٥ – ٦٨٦ ) .

(٣) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

(٤) الأشاعرة : هم طائفة من طوائف أهل الكلام ، ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني الثاني بعد رجوعه من الاعتزال ، وعامتهم يثبتون سبع صفات فقط لله تعالى ، ويوافقون المرجئة في

فقد عرف الإمام أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – الإيمان – قبل عودته لمذهب السلف – بأنه :

(( التصديق بالله ، وعلى ذلك اجتماع أهل اللغة التي أنزل الله بها القرآن ... فلما كان الإيمان في اللغة التي أنزل الله تعالى بها القرآن هو التصديق ... وجب أن يكون الإيمان هو ما كان عند أهل اللغة إيمانا ، هو التصديق )) [٢] .

ولقد اضطرب قول الإمام الأشعري – رحمه الله – في تفسيره للتصديق (( فطورا قال : هو المعرفة ، وطورا قال : هو قول النفس المتضمن للمعرفة ، ثم يعبر عن ذلك باللسان )) [٣] .

ولهذا اعتبر ابن حزم [٤] وشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمهما الله – مقالة الجهم والأشعري – في معنى الإيمان – مقالة واحدة [٥] [٦] .

---

الإيمان ، والجبرية في القدر . انظر : الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ٩٤ ) ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود .

(١) الماتريدية : فرقة كلامية تنتسب إلى أبي منصور الماتريدي ، وافق ابن كلّاب في كثير من المسائل ، مثل الكلام النفسي ، وإنكار الصفات اختيارية ، وزاد عليه بأشياء منها : إنكار جميع الصفات ما عدا ثمان صفات .

و لم تظهر الماتريدية كفرقة مستقلة إلا في زمان متأخر ، ومذهبهم قريب جدا من مذهب الأشاعرة . انظر : التمهيد في أصول الدين للنسفي ( ١٦ – ١٧ ) ، الماتريدية دراسة وتقويما للحربي .

(٢) اللمع للأشعري ( ١٢٢ ) .

(٣) طبقات الشافعية للسبكي ( ١ / ٩٧ ) .

(٤) هو : الإمام الأوحد البحر ذو الفنون والمعارف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأصل ثم الأندلسي القرطبي صاحب التصانيف ، الفقيه الحافظ المتكلم الأديب الظاهري ، توفي ٤٥٦ هـ . السير (١٨/١٨٤ – ٢١٢ ) .

(٥) انظر : الإيمان لابن تيمية ( ٩٩ – ١٠٠ ) ، الفصل لابن حزم ( ٣ / ٢٢٧ ) .

(٦) لقد ذهب فضيلة أ . د. أحمد بن عطية الغامدي – حفظه الله – في رسالته ( الإيمان بين السلف والمتكلمين ) ( ١٥٣ ، ١٥٦ ) إلى أن عد طائفة الأشاعرة من جملة المرجئة المناصرة لمذهب

إلا أن الإمام الأشعري – رحمه الله – قد رجع عن عقيدته هذه إلى مذهب السلف الصالح ، حيث صرح بذلك في مقدمة كتابه الإبانة – الذي يعتبر من آخر مؤلفاته – فقال أنه يدين الله بـ : (( أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ونسلم الروايات الصحيحة في ذلك عن رسول الله ﷺ )) [١] .

ووافقه على ذلك بعض الأشاعرة المتقدمين ، أمثال أبي علي الثقفي [٢] ، و القلانسي [٣] ، ................................
وأبي عبد الله ابن مجاهد [٤] [٥] ، إلا أن عامة الأشاعرة ذهبوا إلى القول بأن الإيمان هو : التصديق فقط .

قال الشهرستاني – رحمه الله - : (( قالت الأشعرية : الإيمان عبارة عن التصديق في وضع اللغة وقد قرره الشرع على معناه )) [٦] [٧] .

---

الجهم في الإيمان أمر لا يتناسب مع الواقع ، وقد أقام – حفظه الله – على ذلك الأدلة التي ينبغي على الباحث المنصف الوقوف عندها والنظر إليها بعين الاعتبار .

(١) الإبانة للأشعري ( ٤٩ ) .

(٢) هو : الإمام المحدث الفقيه العلامة الزاهد العابد شيخ خرسان أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي النيسابوري الشافعي الواعظ ، قال الصبغي : ما عرفنا الجدل والنظر حتى ورد أبو علي الثقفي من العراق ، توفي سنة ٣٢٨ هـ . سير أعلام النبلاء للذهبي ( ١٥ / ٢٨٠ – ٢٨٣ ) .

(٣) هو : أبو أحمد مصعب بن أحمد البغدادي ، شيخ الصوفية ومن قدماء أصحاب الأشعري . انظر السير ( ١٣ / ١٧٠ ) .

(٤) هو : الأستاذ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مجاهد الطائي البصري صاحب أبي الحسن الأشعري ، قَدِمِ بغداد وصنف التصانيف ودرس علم الكلام ، قال الخطيب : كان حسن التدين جميل الطريقة . انظر : السير للذهبي ( ١٦ / ٣٠٥ ) .

(٥) مجموع الفتاوى ( ٧ / ٥٠٩ – ٥٥٠ ) .

(٦) نهاية الإقدام للشهرستاني ( ٤٧١ – ٤٧٢ ) .

(٧) وخالفهم إمام الحرمين الجويني حيث اشترط النطق باللسان مع عقد القلب في صحة الإيمان . انظر : العقيدة النظامية ( ٦٢ ) .

وذهبت الماتريدية أيضا إلى القول بأن الإيمان في الشرع هو : التصديق .

قال أبو منصور الماتريدي : (( أحق ما يكون به الإيمان القلوب )) [١] ، ثم صرح بأن الشهادتين لا تدخل في حقيقة الإيمان فقال : (( فتكون الشهدتان سبب منع القتل ، لا حقيقة الإيمان )) [٢] .

وعرَّف أبو معين النسفي [٣] الإيمان بقوله : (( هو أن يصدق الرسول ﷺ فيما جاء به من عند الله تعالى ، فمن أتى بهذا التصديق فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى )) [٤] .

من أدلتهم على قولهم أن الإيمان هو التصديق فقط قولهم :

أن الإيمان هو التصديق ، والتصديق يكون بالقلب ، و لم نعلم أن الشارع نقل الإيمان عن المعنى اللغوي إلى غيره .

**المطلب الثاني** : الرد عليهم

والرد على قولهم أن الإيمان هو التصديق في لغة العرب ، أن يقال : أن التصديق لا يقتصر على القلب فقط وإنما يكون بالقلب واللسان والجوارح ، فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (( كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ،

---

(١) كتاب التوحيد للماتريدي ( ٣٧٣ ) .

(٢) المصدر السابق ( ٣٧٧ ) .

(٣) هو : ميمون بن محمد المكحولي ، أبو معين ، إمام من أئمة الماتريدية ، صاحب ( التمهيد ) و ( تبصرة الأدلة ) ، توفي سنة ٥٠٨ هـ . انظر : الجواهر المضية ( ٢ / ٦٥٧ ) .

(٤) التمهيد في أصول الدين ( ١٠٠ ) ، تبصرة الأدلة ( ٢ / ٨٠٠ – ٨٠٢ ) .

واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخُطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه )) [١] .

ويقرر هذا الجواب الإمام محمد بن نصر المروزي – رحمه الله – في رد احتجاجهم باللغة حيث يقول :

(( ومن أعظم حجج المرجئة التي يقولون بها من عند أنفسهم : اللغة ، وذلك أنهم زعموا أن الإيمان لا يعرف في اللغة إلا بالتصديق ، وزعم بعضهم أن التصديق لا يكون إلا بالقلب ، وقال بعضهم ، لا يكون إلا بالقلب واللسان ، وقد وجدنا العرب في لغتها تسمي كل عمل حققت به عمل القلب واللسان تصديقا ، فيقول القائل : فلان يصدق فعله قوله ، يعنون يحقق قوله بفعله ، ويصدق سريرته علانيته ، وفلان يكذب فعله قوله .

وقال الشاعر

صَـدِّقِ القول بالفعالِ فإني  لست أرضى بوصف قال وقيل [٢]

وقال كُثَيِّر [٣] وهو يمدح عمر بن عبد العزيز [٤] رحمه الله :

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الاستئذان ، باب : زنا الجوارح دون الفرج ، رقم ( ٦٢٤٣ ) ، ( ٤ / ١٣٩ ) ، ومسلم كتاب القدر ،باب : قدّر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره ، رقم (٢٦٥٧) ، ( ٤ / ٢٠٤٦ ) .

(٢) لم أقف على القائل .

(٣) هو : كثير عزة أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الأسود الخزاعي أحد عشاق العرب المشهورين به ، وتوفي كثير عزة في سنة خمس ومائة بالمدينة . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ( ٤ / ١٠٦ – ١١٣ ) .

(٤) هو : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي أمير المؤمنين ، كان ثقة مأمونا له فقه وعلم وورع وروى حديثا كثيرا وكان إمام عدل ، قال ميمون بن مهران : ما كان العلماء عند عمر إلا تلاميذه ، مات في رجب سنة ١٠١ هـ . التهذيب ( ٣ / ٢٤٠ – ٢٤١ ) .

وَلِّيتَ فلم تشتم عليا و لم تُخـــفْ    بريئا فأمسى ساخطا كل مجرم
وقُلت فصدقتَ الذي قلت بالذي    فعلت فأمسى راضيا كل مسلم [(١)]

ويقول العرب إذا حمل الرجل على القوم في الحرب فلم يرجع ، قـــالوا : صـــدَّقَ الحملة أي حققها ، أي : لم يقتصر دون أن يبلى ، وإذا رجع قيل : كذب الحملة )) [(٢)] .

وأكَّدا هذا الجواب الإمام الطبري رحمه الله أيضا حيث قال :

(( وأما من حيث النظر مما لا يدفع صحته ذو فطرة صحيحة ، وذلـــك الشـــهادة لقول قائل قال قولا ، أو وعد عدة ، ثم أنجز وعده وحقق بالفعل قوله : صدق فلان قوله بفعله ، ولا يدفع ذو معرفة بكلام العرب صحة القول بأن الإيمان التصديق ، فإذا كـــان الإيمان في كلامها التصديق ، والتصديق يكون بالقلب واللسان والجوارح ، وكان تصديق القلب العزم والإذعان ، وتصديق اللسان الإقرار ، وتصديق الجوارح الســـعي والعمـــل ، كان المعنى الذي يستحق به العبد المدح والولايـــة مـــن المـــؤمنين هـــو إتيانـــه بهـــذه المعاني الثلاثة )) [(٣)] .

**المبحث الثالث : الرد على من قال أن الإيمان قول باللسان فقط**
**وفيه مطلبان :**

---

(١) نص الأبيات في ديوانه :
وَلِيتَ فلم تَشْتِمْ عليّاً و لم تُخِفْ    بريّاً و لم تقبـــلْ إشارةَ مجرمِ
وأظْهَرْتَ نورَ الحقِّ فاشتَدَّ نُورُهُ    على كُلِّ لَبْسٍ بارِقِ الحَقّ مُظْلمِ
وَعَاقَبْتَ فيما قَدْ تَقَدّمْتَ قَبْلَهُ    وأعرضتَ عمّا كانَ قبل التّقدُّمِ
وصدَّقْتَ بالفِعْلِ المقالَ مَعَ الذي    أتيتَ فأمسى راضياً كلُّ مسلِم
ديوان كثير عزة ( ١ /٢١٥ - ٢١٦ ) .
(٢) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٤٦٧ – ٤٦٨ ) .
(٣) تهذيب الآثار للطبري ( ٢ / ٦٨٥ ) .

**المطلب الأول** : أصحاب هذه المقالة وأدلتهم .

هذا القول هو مذهب الكرامية أتباع محمد بن كرام ، فقد ذهب هو وفرقته إلى أن الإيمان قول باللسان فقط دون التصديق بالقلب والعمل بالجوارح ، فمن شهد أن لا إلــه إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فهو مؤمن ، ومن لم يشهد فليس بمؤمن .

(( وفرقوا بين تسمية المؤمن مؤمنا فيما يرجع إلى أحكام الظاهر والتكليف ، وفيما يرجع إلى أحكام الآخرة والجزاء ، فالمنافق عندهم مؤمن في الدنيا على الحقيقة مســتحق للعقاب الأبدي في الآخرة )) [(١)] .

(( ومن الناس من يحكي عنهم أنهم جعلوهم من أهل الجنة ، وهو غلط عليهم [(٢)] ، ومع هذا فتسميتهم له مؤمنا بدعة ابتدعوها مخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة .

وهذه البدعة الشنعاء هي التي انفردت بها الكرامية دون سائر مقالاتهم )) [(٣)] .

وقد استدل الكرامية على قولهم أن الإيمان قول اللسان فقط بالأحاديث العامة الــتي جاء فيها الوعد بالجنة والنجاة من النار لمن قال : لا إله إلا الله محمد ا رسول الله .

**المطلب الثاني** : الرد عليهم .

والجواب على هذا الاستدلال أن يقال لهم : أنه لا حجة لكم في استدلالكم بهــذه الأحاديث لأنها قد وردت مفسرة في الأحاديث الأخرى ، كقوله ﷺ : (( من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة )) [(٤)] ، ومنها قوله ﷺ : (( لا يشهد أحد أن لا إله إلا

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ١١٣ ) .

(٢) انظر : الفصل لابن حزم ( ٣ / ٢٢٧ ) .

(٣) شرح حديث جبريل لابن تيمية ( ٣٠٩ ) .

(٤) تقدم تخريجه صــ ( ١٢٤ ) .

الله ، وأني رسول الله ، فيدخل النار ، أو تطعمه )) [١] قاله رسول الله ﷺ لمن رمى مالك بن الدخشم رضي الله عنه [٢] بالنفاق ، فاستدلت الكرامية بهذا الحديث وأمثاله على أن الإيمان هو النطق فقط .

قال الإمام النووي – رحمه الله – في رده على هذا الاستدلال :

(( وقد نص النبي ﷺ على إيمانه [ يعني مالك بن الدخشم رضي الله عنه ] باطنا وظاهرا وبراءته من النفاق بقوله ﷺ في رواية البخاري رحمه الله : (( ألا تراه قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله تعالى ؟ )) [٣] فهذه شهادة من رسول الله ﷺ له بأنه قالها مصدقا بها معتقدا صدقها متقربا بها إلى الله تعالى ... وفي هذه الزيادة رد على غلاة المرجئة القائلين بأنه يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد ، فإنهم تعلقوا بمثل هذا الحديث وهذه الزيادة تدمغهم والله أعلم )) [٤] .

ومن الأدلة التي تُبطل ما ذهبت إليه الكرامية ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال : قسم رسول الله ﷺ قَسْما. فقلت : يا رسول الله ! أعط فلانا فإنه مؤمن. قال : فقال النبي ﷺ (( أو مسلم )) أقولها ثلاثا ، ويرددها علي ثلاثا : (( أو مسلم )) ثم قال : (( إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه ، مخافة أن يكبه الله في النار )) [٥] .

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب : الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ، رقم (٣٣) ، ( ١ / ٦١ ) .

(٢) هو : مالك بن الدخشم بن مالك بن غنم بن عوف ، شهد بدرا ، وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ فأحرق مسجد الضرار هو ومعن بن عدي .انظر : أسد الغابة ( ٤ / ٢٤٦ ) .

(٣) أخرجه البخاري كتاب التهجد، باب: صلاة النوافل جماعة ،( ١١٨٦ ) ،(١/٣٦٥–٣٦٦ ) .

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ١٨٩ ) .

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ، رقم ( ٢٧ ) ، ( ١ / ٢٥ ) ، ومسلم ،كتاب الإيمان ، باب : تأليف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه ، رقم (١٥٠) ، ( ١ / ١٣٢ ).

قال الإمام النووي رحمه الله :

(( وفيه دلالة لمذهب أهل الحق في قولهم : إن الإقرار باللسان لا ينفع إلا إذا اقترن به الاعتقاد بالقلب ، خلافا للكرامية وغلاة المرجئة في قولهم يكفي الإقرار ، وهذه خطأ ظاهر يرده إجماع المسلمين ، والنصوص في إكفار المنافقين ، وهذه صفتهم )) [١] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

(( وفيه الرد على غلاة المرجئة في اكتفائهم في الإيمان بنطق اللسان )) [٢] .

**المبحث الرابع : الرد على من قال أن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان فقط وفيه مطلبان :**

**المطلب الأول** : أصحاب هذه المقالة وأدلتهم .

هذه مقالة الإمام أبي حنيفة [٣] – رحمه الله – وجمهور أصحابه ، وهي مقالة ابن كلاب [٤] وأمثاله ، وهم المعروفون في هذا الباب بـ (( مرجئة الفقهاء )) .

---

(١) شرح مسلم للنووي ( ١ / ٢٥٨ ) .

(٢) فتح الباري لابن حجر ( ١ / ١٠١ ) .

(٣) شرح حديث جبريل لابن تيمية ( ٣٧٥ – ٣٧٦ ) .

(٤) المصدر السابق ( ٣٧٥ – ٣٧٦ ) .

من أعظم أدلة مرجئة الفقهاء ومن أخرج العمل عن مسمى الإيمان قولهم : إن العمل عطف على الإيمان في مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [(١)] والعطف يقتضي المغايرة .

**المطلب الثاني** : الرد عليهم

الجواب على قولهم إن العطف يقتضي المغايرة أن يقال : إن التغاير على مراتب ، ومن هذه المراتب : أن يكون الشيء جزءا في كل ، فيعطف الجزء على الكل لبيان أهمية هذا الجزء ، وهذا شائع ومعروف في لغة العرب وهو مقرر في القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [(٢)] وقوله: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [(٣)] ، فترى هنا أنه عطف الصلاة الوسطى على الصلوات ، وعطف جبريل وميكال عليهما السلام على الملائكة ، فلا يظن الظان أن الصلاة الوسطى ليست من الصلوات ، أو يكون جبريل وميكال ليسا من الملائكة ؟ وإنما كانت طريقة القرآن عطف العمل على الإيمان – مع أنه منه – للدلالة على أهمية العمل في الإيمان [(٤)] .

---

(١) سورة الكهف الآية : ( ١٠٧ ) .

(٢) سورة البقرة الآية : ( ٢٣٨ ) .

(٣) سورة البقرة الآية : ( ٩٨ ) .

(٤) انظر : شرح الطحاوية لابن أبي العز ( ٢ / ٤٨٣ – ٤٤٨٧ ) .

وهذا الإمام الشافعي – رحمه الله – يبين فساد استدلال المرجئة بهذا الدليل ، فقد روى الإمام أبو نُعيم [(١)] رحمه الله في كتابه الحلية بسنده عن الإمام الربيع بن سليمان رحمه الله قال : سأل رجل من أهل بلخ [(٢)] الشافعي عن الإيمان ؟ فقال للرجل : فما تقول أنت فيه ، قال أقول : إن الإيمان قول ، قال ومن أين قلت ، قال : من قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [(٣)] فصار الواو فصلا بين الإيمان والعمل ، فالإيمان قول والأعمال شرائعه .

فقال الشافعي : وعندك الواو فصل ، قال : نعم ، قال : فإذا كنت تعبد إلهين إلها في المشرق وإلها في المغرب لأن الله يقول تعالى : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [(٤)] فغضب الرجل وقال : سبحان الله ! أجعلتني وثنيا ؟! ، فقال الشافعي : بل أنت جعلت نفسك كذلك ، قال : كيف ؟ ، قال : بزعمك أن الواو فصل ، فقال الرجل : فإني أستغفر الله مما قلت بل لا أعبد إلا ربا واحدا ، ولا أقول بعد اليوم إن الواو فصل ، بل أقول إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص .

قال الربيع : فأنفق على باب الشافعي مالا عظيما ، وجمع كتب الشافعي ، وخرج من مصر سنيا )) [(٥)] .

---

(١) هو : أحمد بن عبد الله بن أحمد الإمام الحافظ الثقة العلامة شيخ الإسلام أبو نُعيم المهراني الأصبهاني صاحب الحلية ، قال حمزة بن العباس العلوي : كان أصحاب الحديث يقولون : بقي أبو نعيم أربع عشرة سنة بلا نظير ولا يوجد شرقا ولا غربا أعلى منه إسنادا ولا أ حفظ منه ، توفي سنة ٤٣٠ هـ . السير ( ١٧ / ٤٥٣ – ٤٦٤ ) .

(٢) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ، وأكثرها خيرا ، وأوسعها غلة ، تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم ، افتتحها الأحنف بن قيس في أيام عثمان بن عفان ﷺ . انظر : معجم البلدان ( ١ / ٤٧٩ – ٤٨٠ ) .

(٣) سورة الكهف الآية : ( ١٠٧ ) .

(٤) سورة الرحمن الآية : ( ١٧ ) .

(٥) الحلية لأبي نعيم ( ٩ / ١١٠ ) .

ويقول الإمام البيهقي رحمه الله موضحا معنى العطف وأنه لا يقتضي المغايرة :

(( فكذلك قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ (١) لا يدل على أن عمل الصالحات ليس بإيمان و إنما معناه أن الذين آمنوا أقل الإيمان وهو الناقل عن الكفر ثم لم يقتصروا عليه ولكنهم ضموا إليه الصالحات فعملوها حتى ارتقى إيمانهم من درجة الأقل إلى الأكمل )) (٢) .

ويُقال في الرد عليهم : أن القول بأن العمل ليس من الإيمان يلزم منه لوازم باطله ، وهي استواء منزلة الطائع والعاصي ، وقد أشار إلى ذلك الإمام عدي بن مسافر رحمه الله حيث قال : (( أن الإيمان لو كان قولا بلا عمل لاستوت منزلة الطائع والعاصي ، والله سبحانه قد نفى المساواة بينهما ، لقوله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾(٣) )) (٤) .

ويقول إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله في الرد على دعواهم أن من أتى بالتصديق والقول فقط فقد حقق الإيمان الكامل وإن ترك العمل مستدلين بما جاء في بعض النصوص من ذكر فضل كلمة التوحيد حيث يقول :

(( إنما رويت أخبار النبي ﷺ: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فضيلة لهذا القول لا أن هذا القول كل الإيمان ولئن جاز لجاهل أن يتأول أن شهادة أن لا إله إلا الله جميع الإيمان إذ النبي ﷺ خبر أن قائلها يستوجب الجنة ويعاذ من النار لم يؤمن أن يدعي جاهل

---

(١) سورة الكهف الآية : ( ١٠٧ ) .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ( ١ / ١٠٩ ) .

(٣) سورة السجدة الآية : ( ١٨ ) .

(٤) اعتقاد أهل السنة لعدي بن مسافر ( ٢٧ ) .

معاند أيضا أن جميع الإيمان القتال في سبيل الله فواق [١] ناقة فيحتج بقول النبي ﷺ: (( من قاتل في سبيل الله فواق ناقة دخل الجنة )) [٢]

كاحتجاج المرجئة بقول النبي ﷺ : (( من قال لا إله إلا الله دخل الجنة )) [٣]

ويقول معاند آخر جاهل إن الإيمان بكماله الماشي في سبيل الله حتى تغبر قدما الماشي ويحتج بقول النبي ﷺ : (( من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار )) [٤]

وبقوله ﷺ : (( لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخرى رجل مسلم أبدا )) [٥]

ويدعي جاهل آخر أن الإيمان عتق رقبة مؤمنة ويحتج بأن النبي ﷺ قال : (( من أعتق رقبة مؤمنة أعتقه الله بكل عضو منه عضوا من النار )) [٦]

ويدعي جاهل آخر أن جميع الإيمان البكاء من خشية الله تعالى ويحتج بقول النبي ﷺ: (( لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى )) [١]

---

(١) فواق : تُضَمُّ فاؤه وتُفْتَح ومعناه : قَدْر ما بين الحَلْبَتَين لأنها تُحْلَب ثم تُراح حتى تَدِرَّ ثم تُحْلَب . النهاية لابن الأثير ( ٣ / ٩٤٥ ) .

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الجهاد ، باب : فيمن سأل الله تعالى الشهادة ، رقم ( ٢٥٤١ ) ، ( ٣ / ٣٤ ) ، والترمذي كتاب فضائل الجهاد ، باب : فيمن يُكْلم في سبيل الله ، رقم ( ١٦٥٧ ) ، صـ( ٣٨٩ ) وصححه الألباني انظر : سنن الترمذي رقم ( ١٦٥٧ ) .

(٣) مسند الطيالسي ( ١ / ٤٤٥ ) ، و المسند لأبي يعلى رقم ( ٣٩٢٨ ) ، ( ٤ / ٩٥ ) . وصححه الألباني انظر : فقه السيرة للغزالي ، رقم ( ٣٨ ) .

(٤) أخرجه البخاري كتاب الجمعة ، باب : المشي إلى الجمعة ، رقم ( ٩٠٧ ) ( ١ / ٢٨٨ ).

(٥)أخرجه النسائي كتاب الجهاد ، باب: فضل من عمل في سبيل الله على قدمه ، رقم ( ٣١٠٧ ) ، صـ( ٤٧٩ ) ، وصححه الألباني انظر سنن النسائي رقم ( ٣١٠٧ ) .

(٦) أخرجه البخاري كتاب كفارات الأيمان ، باب : قول الله تعالى :﴿أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ ﴾، رقم ( ٦٧١٥ ) ، ( ٤ / ٢٣٣ ) ، ومسلم كتاب العتق ، باب : فضل العتق ، رقم (١٥٠٩) ، ( ٢ / ١١٤٧ ) .

ويدعي جاهل آخر أن جميع الإيمان صوم يوم في سبيل الله ويحتج بأن النبي ﷺ قال : (( من صام يوما في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا )) (٢)

ويدعي جاهل آخر أن جميع الإيمان قتل كافر ويحتج بقول النبي ﷺ: (( لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدا )) (٣) . . .

وهذا الجنس من فضائل الأعمال يطول بتقصيه الكتاب وفي قدر ما ذكرنا غنية وكفاية لما له قصدنا أن النبي ﷺ إنما خبر بفضائل هذه الأعمال التي ذكرنا وما هو مثلها لا أن النبي ﷺ أراد أن كل عمل ذكره أعلم أن عاملة يستوجب بفعله الجنة أو يعاذ من النار أنه جميع الإيمان .

وكذلك إنما أراد النبي ﷺ بقوله : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة أو حرم على النار فضيلة لهذا القول لا أنه جميع الإيمان كما ادعى من لا يفهم العلم ويعاند فلا يتعلم هذه الصناعة من أهلها )) (٤) .

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب : الشهادات ، باب : فضل البكاء من خشية الله ، رقم (٢٣١١) ، ص( ٥٢٣ ) ، وقال الألباني حديث صحيح انظر : سنن الترمذي رقم ( ٢٣١١ ) .

(٢) أخرجه البخاري كتاب الجهاد ، باب : فضل الصوم في سبيل الله ، رقم ( ٢٨٤٠ ) ، ( ٢ / ٣١٦ ) ،ومسلم كتاب الصيام ، باب: فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه ، رقم (١١٥٣) ، ( ٢ / ٨٠٨ ) .

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإمارة ، باب : من قتل كافرا ثم سدد ، (١٨٩١) ، ( ٣ / ١٥٠٥ ).

(٤) كتاب التوحيد لابن خزيمة ( ٢ / ٨٢٨ – ٨٣٢ ) .

## الفصل الثالث

# جهود علماء الشافعية في تقرير العلاقة بين الإسلام والإيمان

**وفيه ثلاثة مباحث :**

**البحث الأول : من قال بأن الإسلام والإيمان اسمان لمسمى واحد .**

**المبحث الثاني : من فرق بين الإسلام والإيمان .**

**المبحث الثالث : القول بالفرق بينهما في حال واجتماعهما في حال آخر**

هذه المسألة مما وقع الخلاف فيها بين السلف رحمهم الله تعالى وهو خلاف لا يضر ولله الحمد .

والأصل في هذا النزاع هو اختلافهم في تحديد المراد بهذين اللفظين على مواردهما في الكتاب والسنة ، حيث فهم بعضهم من ذلك أنهما مترادفان ، وفهم آخرون أنهما متغايران ، ثم اختلفوا أيضا : فمنهم من جعل الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل . ومنهم

من فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة ، والإيمان بالأعمال الباطنة . ومنهم من فرق بين حالتي الاقتران والافتراق ، فقال : إذا اقترنا افترقا ، وإذا افترقا اقترنا . ومنهم من جعل بينهما عموما وخصوصا ، فقال : كل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمنا .

**المبحث الأول : من قال بأن الإسلام و الإيمان اسمان لمسمى واحد .**

لقد ذهب إلى هذا القول جمع من أهل العلم من الشافعية وغيرهم ، منهم الإمام الشافعي [(١)] – رحمه الله – ، والإمام المزني [(٢)] ، والإمام محمد بن نصر المروزي [(٣)] ، والحافظ أبو عوانة الإسفرائيني [(٤)]، والإمام ابن حبان [(٥)] ، والإمام البيهقي [(٦)] ، والإمام السلماسي [(٧)] ، وغيرهم .

وإلى هذا القول أيضا ذهب الإمام البخاري[(٨)] ، والحافظ ابن مندة[(٩)] [(١)] ، والإمام والإمام ابن عبد البر وقال : (( وعلى هذا جمهور أصحابنا وغيرهم من الشافعية ، وهو قول داود وأصحابه وأكثر أهل السنة )) [(٢)] .

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١ / ٣٩٥ ) .

(٢) مسند أبي عوانة ( ١ / ٥٣ – ٥٤ ) .

(٣) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٣٤٧ ) .

(٤) مسند أبي عوانة ( ١ / ٤٨ ) .

(٥) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ( ١ / ١٨٨ ) .

(٦) الاعتقاد للبيهقي ( ٢٣٠ ) .

(٧) منازل الأئمة الأربعة للسلماسي ( ١١٤ — ١١٥ ) .

(٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ( ١ / ١٤٠ ) .

(٩) هو : الإمام الحافظ الجوَّال محدث الإسلام أبو عبد الله محمد بن المحدث أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحي بن مندة ، الأصبهاني الحافظ صاحب التصانيف ، قيل إن أبا نعيم الحافظ ذكر له ابن مندة فقال كان جبلا من الجبال ، توفي سنة ٣٩٥ هـ . السير (١٧/٢٨-٤٣).

وقد استدلوا بأدلة منها قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [٣]

وقوله سبحانه : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [٤]

وقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [٥]

وقوله عز وجل : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [٦]

قال الإمام المروزي رحمه الله موضحا وجه الدلالة من الآيات على ترادف معنى الإسلام و الإيمان :

(( فدل بذلك أن الإيمان المقبول الذي وعد الله عليه الثواب ، هو الإسلام ، لأنه لو كان غير الإسلام ، لكان من دان الله بالإيمان غير مقبول منه إياه لقوله :﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [٧]

فلما اجتمعت الأمة على أن من دان الله بالإيمان ، فجائز أن يقبل منه ، ثبت بذلك أن الإيمان هو الإسلام ، وهو الدين المرتضى )) [٨] .

---

(١) الإيمان لابن مندة ( ١ / ٣٢١ ) .

(٢) التمهيد لابن عبد البر ( ٣ / ٢٢٦ ) .

(٣) سورة آل عمران الآية : ( ١٩ ) .

(٤) سورة المائدة الآية : ( ٣ ) .

(٥) سورة البقرة الآية : ( ١٣٢ ) .

(٦) سورة آل عمران الآية : ( ٨٥ ) .

(٧) سورة آل عمران الآية : ( ٨٥ ) .

(٨) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٢٢٢ ) .

ومما استدلوا به أيضا قوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١)

قال الإمام البيهقي رحمه الله :

(( فسماهم مرة مؤمنين ومرة مسلمين وإنما أراد تمييزهم عن غيرهم بأديانهم ، فصح أن الإيمان و الإسلام اسمان لدين واحد وإن كانت حقيقة الإسلام التسليم وحقيقة الإيمان التصديق فاختلاف الحقيقة فيهما لا يمنع من أن يجعلا اسما لدين واحد )) (٢) .

ومما استدلوا به من السنة على عدم التفريق بين مسمى الإسلام و الإيمان حديث وفد عبد القيس حينما فسر لهم النبي ﷺ الإيمان فقال : (( هل تدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ )) قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : (( شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله ، و إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا من الغنائم الخمس )) (٣) .

قالوا : فسره بما فسر به الإسلام في حديث ابن عمر رضي الله عنهما فقال : (( بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، و إقام الصلاة ، و إيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان )) (٤) .

---

(١) سورة الذاريات الآية : ( ٣٥ – ٣٦ ) .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ( ١ / ١٠٩ ) .

(٣) تقدم تخريجه صـ( ٩٨ ) .

(٤) أخرجه البخاري كتاب الإيمان ، باب : قول النبي ﷺ : (( بني الإسلام على خمس )) رقم ( ٨ ) ، ( ١ / ٢٠ ) ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب : أركان الإسلام ودعائمه العظام ، رقم (٦ ) ، ( ١ / ٤٥ ) .

**المبحث الثاني : من فرق بين الإسلام و الإيمان ،**

وقد قال بالفرق بين الإسلام و الإيمان جماعة من السلف [١] ومن الشافعية : الإمام ابن جرير الطبري[٢] ، والإمام الأشعري[٣] ، والإمام الآجري [٤] ، والإمام الملطي [٥] ، والحافظ اللالكائي [٦] ، وقوام السنة الأصبهاني [٧] والإمام العمراني [٨] ، وابن كثير [٩] رحمهم الله تعالى ،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

(( ولا علمت أحدا من المتقدمين خالف هؤلاء فجعل نفس الإسلام نفس الإيمان ولهذا كان عامة أهل السنة على هذا )) [١٠] ،

وقد استدلوا بقوله تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾ [١] [٢] ،

---

(١) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٢ / ٨٩٢ - ٨٩٥ ) ، تفسير ابن كثير ( ٤/ ٢٧٧ — ٢٧٨ ) ،

(٢) تفسير الطبري ( ٢١ / ٣٩٢ ) ،

(٣) الإبانة للأشعري ( ٤٨ ) ،

(٤) الشريعة للآجري ( ٢ / ٥٩٣ ) ،

(٥) التنبيه والرد للملطي ( ١٦٤ ) ،

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٢ / ٨٩٢ ) ،

(٧) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ( ١ / ٤٤٣ ) ،

(٨) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٧٣٨ ) ،

(٩) تفسير ابن كثير ( ٤ / ٣٠٠ ) ،

(١٠) مجموع الفتاوى لابن تيمية ( ٧ / ٣٥٩ ) ،

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله :

(( وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك القول الذي ذكرناه عـن الزهـري [٣] وهو : أن الله تقدم إلى هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في الملة إقرارا منهم بالقول و لم يحققوا قولهم بعملهم ، أن يقولوا : بالإطلاق آمنا دون تقييد قولهم لذلك بأن يقولوا : آمنا بالله ، ورسوله ، ولكن أمرهم أن يقولوا : القول الذي لا يشكل على سامعيه والذي قائله فيـه محق ، وهو أن يقولوا : أسلمنا بمعنى : دخلنا في الملة والأموال والشهادة الحق )) [٤] .

ومن السنة حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه قال : قسم رسول الله ﷺ قَسْما. فقلت : يا رسول الله ! أعط فلانا فإنه مؤمن. قال : فقال النبي ﷺ (( أو مسلم )) أقولها

---

(١) سورة الحجرات الآية : ( ١٤ ) .

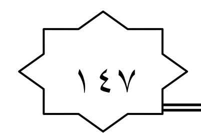
(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (( فهذا الإسلام الذي نفى الله عن أهله دخول الإيمـان في قلوبهم هل هو إسلام يثابون عليه أم هو من جنس إسلام المنافقين فيه قولان مشـهوران للسـلف والخلف .

**أحدهما** : أنه إسلام يثابون عليه ويخرجهم من الكفر والنفاق ، وهذا مروى عن الحسـن ، وابـن سيرين ، وإبراهيم النخعي ، وأبي جعفر الباقر ، وهو قول : حماد بن زيد ، وأحمد بن حنبل ، وسـهل ابن عبد الله التستري ، وأبي طالب المكي ، وكثير من أهل الحديث والسنة والحقائق .

**والقول الثاني** : أن هذا الإسلام هو الاستسلام خوف السـبي والقتـل ، مثـل إسـلام المنـافقين قالوا : وهؤلاء كفار فإن الإيمان لم يدخل في قلوبهم ، ومن لم يدخل الإيمان في قلبه فهو كافر ، وهذا اختيار البخاري ومحمد بن نصر المروزي ، والسـلف مختلفـون في ذلـك )) مجمـوع الفتـاوى ( ٧ / ٢٣٨ – ٢٣٩ ) .

(٣) هو : محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الفقيه أبو بكر الحافظ المدني أحد الأئمة الأعلام وعـالم الحجاز والشام ، قال مالك : كان من أسخى الناس ، مات في رمضان سنة ١٢٥ هـــ . انظـر : تهذيب التهذيب ( ٣ / ٦٩٦ – ٦٩٩ ) .

(٤) تفسير الطبري ( ٢٩ / ١٤٢ – ١٤٣ ) .





ثلاثا ، ويرددها علي ثلاثا : (( أو مسلم )) ثم قال : (( إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه ، مخافة أن يكبه الله في النار )) [(١)] .

استدل به الإمام الملطي رحمه الله [(٢)]

ومنها حديث جبريل المشهور [(٣)] ، حيث فرق رسول الله ﷺ بين الإيمان و الإسلام فجعل الإيمان خاصا بالأركان الستة ، و الإسلام خاصا بالأعمال الظاهرة ، وهذه الأدلة تجعل الإسلام أعم من الإيمان .

## المبحث الثالث : القول بالفرق بينهما في حال ، و اجتماعهما في حال آخر .

وقد ذهب إلى هذا القول من أئمة الشافعية الإمام الخطابي [(٤)] ، والإمام البغوي[(١)] ، وابن الصلاح[(٢)] .

---

(١) تقدم تخريجه صـ( ١٣٤ ) .

(٢) التنبيه والرد للملطي ( ١٦٤ ) .

(٣) تقدم تخريجه صـ( ١٠٦ ) .

(٤) معالم السنن للخطابي بحاشية سنن أبي داود ( ٥ / ٤٢ – ٤٣ ) .

ونسبه الحافظ أبو بكر الإسماعيلي الشافعي رحمه الله إلى كثير من أهل السنة والجماعة فقال : (( وقال كثير منهم : إن الإيمان قول وعمل ، والإسلام فعل ما فرض على الإنسان أن يفعله ، إذا ذكر كل اسم على حدته مضموما إلى الآخر فقيل : المؤمنون والمسلمون جميعا أو مفردين ، أريد بأحدهما معنا لم يرد بالآخر ، وإن ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم )) [٣] .

وقال الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله :

(( قوله ﷺ : (( الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ))[٤] و (( الإيمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره )) [٥] فهذا بيان لأصل الإيمان ، وهو التصديق الباطن ، وبيان لأصل الإسلام ، وهو الاستسلام والانقياد الظاهر . وحكم الإسلام في الظاهر ثبت بالشهادتين ، و إنما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والحج والصوم لكونهما أظهر شعائر الإسلام وأعظمهما ، وبقيامه بها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله . ثم إن اسم الإيمان يتناول ما فسر به الإسلام في هذا الحديث وسائر الطاعات ، لكونها ثمرات للتصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان ، ومقويات ومتممات وحافظات له .

---

(١) شرح السنة للبغوي ( ١ / ١٠ – ١١ ) .

(٢) صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح ( ١٣٤ – ١٣٥ ) .

(٣) اعتقاد أهل السنة للإسماعيلي ( ٤٦ ) .

(٤) تقدم تخريجه صـ( ١٤٤ ) .

(٥) تقدم تخريجه صـ( ١٠٦ ) .

ولهذا فسر ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من المغنم ، ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو بدل فريضة ، لأن اسم الشيء مطلقا يقع على الكامل منه ولا يستعمل في الناقص ظاهرا إلا بقيد .

ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله ﷺ : (( لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن )) [1] . واسم الإسلام يتناول أيضا ما هو أصل الإيمان وهو التصديق الباطن ، ويتناول أصل الطاعات ، فإن ذلك كله استسلام .

فخرج مما ذكرناه وحققنا أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان ، وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا .

فهذا والحمد لله الهادي تحقيق وافٍ بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيها الخائضون )) [2] .

واختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية [3] ، وابن القيم [4] وابن رجب [5] رحمهم الله .

ومن خلال هذا العرض لمذاهب العلماء في هذه المسألة يتضح أنه ليس هناك خلاف حقيقي بينهم ، لأن كلا منهم نظر إلى المسألة من زاوية تختلف عن الآخر :

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الحدود ، باب : إثم الزناة ، رقم ( ٦٨١٠ ) ، ( ٤ / ٢٥٢ ) ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب : نقصان الإيمان بالمعاصي ، رقم (٥٧) ، ( ١ / ٧٦ ) .

(٢) صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح ( ١٣٤ – ١٣٥ ) .

(٣) الفتاوى ( ٧ / ١٤ ) .

(٤) الرسالة التبوكية لابن القيم ( ٣١ ) .

(٥) جامع العلوم والحكم لابن رجب ( ١ / ١٠٨ ) .

فالذين لم يفرقوا بين الإسلام والإيمان ، نظروا إلى الإسلام من حيث هو ، من غير اعتبار لوصف الشخص به ، فالإسلام المعتبر هو دين الله تعالى ، ويدخل في هذا كل ما شرعه الله تعالى من أعمال القلب والجوارح .

والإيمان يدخل فيه كل باطن وظاهر : من قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ، وعليه فالإسلام والإيمان من هذه الحيثية شيء واحد ، ومن هذه الحيثية أيضا ألزم بعض السلف الإسلام ما لزم الإيمان من جواز الاستثناء ، والزيادة والنقصان .

والذين فرقوا بينهما نظروا إليهما من حيث اتصاف العبد بهما ، فإن وصف الإيمان عند الإطلاق لا يكون إلا لمن قام بالقول والعمل الواجب .

وأما الوصف بالإسلام فهو في حق كل من تلفظ بالشهادتين وأقر ظاهرا وباطنا ، ولو كان مفرطا في العمل ، إذ هو قدر مشترك بين جميع المؤمنين ، كاملي الإيمان وناقصيه ، ومن هذه الحيثية قال الإمام الزهري– رحمه الله – : (( الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل )) (١) ، بل كان هذا قول عامة السلف كما نقله عنهم الإمام الزهري رحمه الله (٢) .

والذين قالوا بأنهما إذا افترقا اجتمعا ، وإذا اجتمعا افترقا ، نظروا لوضعهما في النصوص الشرعية .

وبهذا يتضح أن أئمة السنة الذين اختلفوا في هذه المسألة لم يكن أحدهم يختلف مع الآخر في الحق الذي عنده ، بل كلهم متفقون على الحق في دلالة الإيمان و الإسلام

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب : الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، رقم : ( ٤٦٨٤ ) ، ( ٥ / ٤٣ ) .

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (( ولما كان كل من أتى بالشهادتين صار مسلما متميزا عن اليهود والنصارى ، تجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على المسلمين ، كان هذا مما يجزم به بلا استثناء فيه ، فلهذا قال الزهري : الإسلام الكلمة ، وعلى ذلك وافقه أحمد وغيره ، وحين وافقه لم يرد أن الإسلام الواجب هو الكلمة وحدها ، فإن الزهري أجل من أن يخفى عليه ذلك )) مجموع الفتاوى ( ٧/ ٤١٥ ) .

وعلاقتهما بالعمل والتصديق ، و إنما اختلفت العبارة بحسب اختلاف الزاوية التي نظر منها كل واحد منهم للمسألة ، والله تعالى أعلم [١] .

(١) انظر : شرح ألفاظ السلف للزهراني ( ٢١٤ – ٢١٦ ) بتصرف .

## الباب الثاني :

# جهود علماء الشافعية في تقرير زيادة الإيمان ونقصانه والرد على المخالفين

وفيه فصلان :

**الفصل الأول : جهود علماء الشافعية في تقرير زيادة الإيمان ونقصانه**

**الفصل الثاني : جهود علماء الشافعية في الرد على المخالفين في زيادة الإيمان ونقصانه**

# الفصل الأول

## جهود علماء الشافعية في تقرير زيادة الإيمان ونقصانه

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تقريرهم لزيادة الإيمان ونقصانه

المبحث الثاني : أدلتهم على زيادة الإيمان ونقصانه

المبحث الثالث : ذكرهم أسباب زيادة الإيمان ونقصانه

المبحث الرابع : هل الإسلام يزيد وينقص

### المبحث الأول : تقريرهم لزيادة الإيمان ونقصانه .

لقد تعددت النقول عن علماء الشافعية رحمهم الله في تقريرهم لعقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم في زيادة الإيمان ونقصانه وأنه يزيد بالطاعات و ينقص بالمعاصي .

فقد أخرج الإمام البيهقي رحمه الله عن الربيع بن سليمان المرادي رحمه الله قال : سمعت الشافعي ﷺ يقول :

(( الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص )) [١] .

والقول بزيادة الإيمان ونقصانه متواتر عن الإمام الشافعي رحمه الله صرح بذلك جمع من العلماء منهم : ابن أبي حاتم [٢] ، واللالكائي [٣] ، وأبو نعيم [٤] ، والبيهقي [٥] وابن عبد البر [٦] ، وابن عساكر[٧] [٨] ..........................

والرازي[١] [٢] ، والنووي [٣] ، وابن تيمية [٤] ، والذهبي[٥] [٦] وغيرهم رحمهم الله تعالى .

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١ / ٣٨٧ ) .

(٢) آداب الشافعي لابن أبي حاتم ( ١٩٢ ) .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٥ / ٩٦٣ ) .

(٤) الحلية لأبي نعيم ( ٩ / ١١٥ ) .

(٥) المناقب للبيهقي ( ١ / ٣٨٥ ) .

(٦) الإنتقاء لابن عبد البر ( ٨١ ) .

(٧) هو : الإمام العلامة الحافظ الكبير المجود محدث الشام أبو القاسم الدمشقي الشافعي صاحب تاريخ دمشق ، وهو علي بن الشيخ أبي محمد الحسن بن هبة الله ، قال السمعاني : أبو القاسم كثير العلم غزير الفضل حافظ متقن ديِّن خيِّر حسن السمت جمع بين معرفة المتون والأسانيد صحيح القراءة مُتَثَبِّت محتاط،توفي في رجب سنة ٥٧١ هـ.انظر : السير للذهبي (٢٠ / ٥٥٤ – ٥٧١ ) .

(٨) تاريخ دمشق لابن عساكر ( ١٤ / ٤٠٦ ) .

وفي هذا رد على دعوى السبكي أن الإمام الشافعي رحمه الله لم يتحرر عنه نص في في زيادة الإيمان ونقصانه [٧] .

ويقول الإمام الحميدي رحمه الله : (( أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص )) [٨] .

ويقول الإمام المزني رحمه الله (( والمؤمنون في الإيمان يتفضلون وبصالح الأعمال هم متزايدون )) [٩] .

وسئل الإمام الربيع رحمه الله أليس تقول : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ؟ قال : نعم ، سبحان الله ومن يشك في هذا !! [١٠] .

---

(١) هو : العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني الأصولي المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين ، وهو القائل في ذم علم الكلام : لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا . مات بهراة يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ( ٢١ / ٥٠٠ – ٥٠١ ) .

(٢) مناقب الشافعي للرازي ( ١٣٠ – ١٣٢ ) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ( ١ / ٦٦ ) .

(٤) الإيمان لابن تيمية ( ٢٩٢ ) .

(٥) هو : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي شمس الدين أبو عبد الله ، حافظ مؤرخ علامة محقق ، تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة مات سنة ٧٤٨ هـ . انظر: الدرر الكامنة( ٣/ ٣٣٦ – ٣٣٨ ) ، الأعلام ( ٥ / ٣٢٦ ).

(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي ( ١٠ / ٣٢ ) .

(٧) طبقات الشافعية للسبكي ( ١ / ١٣٠ ) .

(٨) أصول السنة للحميدي ( ٤٩ ) .

(٩)شرح السنة للمزني ( ٧٧ – ٧٨ ) .

(١٠) مناقب الشافعي للبيهقي ( ٢ / ٣٦١ ) .

ويقول الإمام الطبري رحمه الله : (( والصواب لدينا من القول : أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص )) [(١)] .

وممن ذهب إلى القول بزيادة الإيمان ونقصانه الإمام الآجري رحمه الله حيث أفرد لذلك بابا في كتاب الشريعة ساق فيه الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه [(٢)] .

ويقول الإمام الإسماعيلي رحمه الله مبينا عقيدة أهل السنة والجماعة : (( ويقولون : إن الإيمان قول وعمل ومعرفة ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، ومن كثرت طاعته أزيد إيمانا ممن هو دونه في الطاعة )) [(٣)] .

وممن قرر عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم في زيادة الإيمان ونقصانه من علماء الشافعية غير من تقدم ذكرهم : الإمام ابن حبان [(٤)] والإمام الصابوني [(٥)] والإمام البيهقي [(٦)] والإمام السمعاني [(٧)] وغيرهم .

**المبحث الثاني : أدلتهم على زيادة الإيمان ونقصانه .**

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ١ / ٢٠٨ ) .

(٢) الشريعة للآجري ( ٢ / ٥٨٠ – ٦١٠ ) .

(٣) اعتقاد أهل السنة للإسماعيلي ( ٤٣ ) .

(٤) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان ( ١ / ١٩٤ ) .

(٥) عقيدة السلف للصابوني ( ٧٨ ) .

(٦) شعب الإيمان للبيهقي ( ١ / ١٢٧ ) .

(٧) تفسير السمعاني ( ٢ / ٢٤٨ ) .

ومما يحسن التنبيه عليه في هذا المقام أن كل دليل دلَّ على زيادة الإيمان فهو يدُلُّ على نقصانه وكذا العكس ، وقد أشار إلى هذا بعض علماء الشافعية منهم الإمام البيهقي رحمه الله حيث قال بعد أن ذكر جملة من الآيات المصرحة بزيادة الإيمان : (( فثبت بهذه الآيات أن الإيمان قابل للزيادة ، وإذا كان قابلا للزيادة فعدمت الزيادة كان عدمها نقصانا )) [١] وقال أيضا : (( وإذا قبِلَ الزيادة قبِلَ النقص )) [٢] ، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه لكتاب الإيمان من صحيح البخاري : (( ... ثم شرع المصنف يستدل لذلك بآيات من القرآن مصرحة بالزيادة ، وبثبوتها يثبت المقابل ، فإن كل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة )) [٣] .

**وفيه ثلاثة مطالب :**

**المطلب الأول** : الأدلة من القرآن على زيادة الإيمان ونقصانه .

لقد استدل علماء الشافعية رحمهم الله تعالى بأدلة كثيرة تدل على زيادة الإيمان ونقصانه منها :

ما أخرجه أبو نعيم رحمه الله في الحلية عن الربيع رحمه الله قال سمعت الشافعي يقول : (( الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ثم تلا هذه الآية ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ [٤] [٥]

وروى البيهقي رحمه الله بسنده عن أبي محمد الزبيري قال : ... قال الشافعي : ... فمن لقي الله حافظا لصلواته ، حافظا لجوارحه ، مؤديا بكل جارحة من جوارحه

(١) شعب الإيمان للبيهقي ( ١ / ١٦٠ ) .
(٢) الاعتقاد ( ٢١٢ ) .
(٣) فتح الباري لابن حجر ( ١ / ٦٢ ) .
(٤) سورة المدثر الآية : ( ٣١ ) .
(٥) الحلية لأبي نعيم ( ٩ / ١١٥ ) .

ما أمر الله عليها لقي الله مستكمل الإيمان من أهل الجنة ، ومن كان لشيء منها تاركا متعمدا مما أمر الله به لقي الله ناقص الإيمان .

قال : وقد عرفت نقصانه و إتمامه فمن أين جاءت زيادته ؟

قال الشافعي :قال الله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (١)

وقال الشافعي : ولو كان هذا الإيمان كله واحدا لا نقصان فيه ولا زيادة لم يكن لأحد فيه فضل واستوى الناس وبطل التفضيل ، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله في الجنة ، وبالنقصان من الإيمان المفرطون بالنار .

قال الشافعي : إن الله جل وعز سابق بين عباده كما سوبق بين الخيل يوم الرهان ثم إنهم على درجاتهم من سبق عليه فجعل كل امرئ على درجة سبقه لا ينقصه فيها حقه ولا يقدم مسبوق على سابق ولا مفضول على فاضل وبذلك فضل أول هذه الأمة على آخرها ولو لم يكن لمن سبق إلى الإيمان فضل على من أبطأ عنه للحق آخر هذه الأمة بأولها )) (٢) .

ولقد جاء في كتاب الله تعالى في ستة مواضع التصريح بزيادة الإيمان وهي :

---

(١) سورة التوبة الآيات : ( ١٢٤ – ١٢٥ ) .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١ / ٣٨٧ – ٣٩٣ ) .

قوله سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (١)

وقوله جل وعز :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢)

قال الإمام السمعاني رحمه الله : (( فيه دليل لأهل السنة على أن الإيمان يزيد وينقص )) (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (٤)

قال الإمام ابن كثير(٥) رحمه الله :

(( وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء )) (٦) .

وقوله جل شأنه : ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (٧)

وقوله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ ﴾ (٨)

(٨)

---

(١) سورة أل عمران الآية : ( ١٧٣ ) .

(٢) سورة الأنفال الآية : ( ٢ ) .

(٣) تفسير السمعاني ( ٢ / ٢٤٨ )

(٤) سورة التوبة الآية : ( ١٢٤ ) .

(٥) هو : الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الشافعي ، له عناية بالرجال والمتون والتفقه ، خرَّج وألَّف وناظر وصنف وفسر ، توفي سنة ٧٧٧هـ . انظر تذكرة الحفاظ ( ٤ / ١٥٠٨ ) .

(٦) تفسير ابن كثير ( ٢ / ٥٢٧ ) .

(٧) سورة الأحزاب الآية : ( ٢٢ ) .

(٨) سورة الفتح الآية : ( ٤ ) .

وقوله تعالى ذكره : ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ [١]

قال الإمام البغدادي[٢] بعد أن ذكر هذه الآيات :

(( ففي هذه الآيات الست تصريح بأن الإيمان يزيد ، وإذا صحت الزيادة فيه كان الذي زاد إيمانه قبل الازدياد أنقص إيمانا منه في حال الازدياد )) [٣] .

وقد استدل بجملة هذه الآيات على زيادة الإيمان ونقصانه الإمام الآجري [٤] والإمام اللالكائي [٥] والإمام البيهقي [٦] والإمام العمراني [٧] .

وقد استدل الإمام الآجري [٨] والإمام العمراني [٩] رحمهما الله بالآيات التي جاء فيها التصريح بزيادة الهدى والهدى من الإيمان منها :

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [١]

---

(١) سورة المدثر الآية : ( ٣١ ) .

(٢) هو : عبد القاهر بن طاهر العلامة البارع المتفنن الأستاذ أبو منصور البغدادي ، نزيل خرسان ، وصاحب التصانيف البديعة ، وأحد أعلام الشافعية ، قال أبو عثمان الصابوني : كان الأستاذ أبو منصور من أئمة الأصول وصدور الإسلام بإجماع أهل الفضل بديع الترتيب غريب التأليف إماما مقدما مفخما . مات سنة ٤٢٩ هـ . انظر : السير ( ١٧ / ٥٧٢ — ٥٧٣ ) .

(٣) أصول الدين للبغدادي ( ٢٥٣ ) .

(٤) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٠٣ — ٦٠٤ ) .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٢ / ٩٦٠ — ٩٦٢ ) .

(٦) شعب الإيمان للبيهقي ( ١ / ١٢٧ )

(٧) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٧٦٥ — ٧٦٦ ) .

(٨) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٠٣ ) .

(٩) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٧٦٦ ) .

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ [٢] .

**المطلب الثاني** : الأدلة من السنة على زيادة الإيمان ونقصانه .

لقد استدل علماء الشافعية رحمهم الله تعالى بأدلة كثيرة تدل على زيادة الإيمان ونقصانه منها :

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : (( الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان )) [٣]

قال الإمام ابن حبان رحمه الله : (( وأما قوله ﷺ : (( الحياء شعبة من الإيمان )) فهو لفظة أطلقت على شيء بكناية سببه ، وذلك أن الحياء جبلة في الإنسان ، فمن الناس من يكثر ذلك فيه ، ومنهم من يقل ذلك فيه ، **وهذا دليل صحيح على زيادة الإيمان ونقصانه** ، لأن الناس ليسوا كلهم على مرتبة واحدة في الحياء . فلما استحال استواؤهم على مرتبة واحدة فيه ، صح أن من وجد فيه أكثر كان إيمانه أزيد ، ومن وجد فيه منه أقل ، كان إيمانه أنقص )) [٤] .

---

(١) سورة الكهف الآية : ( ١٣ ) .

(٢) سورة محمد الآية : ( ١٧ ) .

(٣) تقدم تخريجه صـ( ١٠٠ ) .

(٤) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ( ١ / ١٩٤ – ١٩٥ ) .

وقد استدل بهذا الحديث الإمام اللالكائي [١] والإمام البيهقي [٢] رحمهم الله على زيادة الإيمان ونقصانه .

ومنها عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا )) [٣] .

قال الإمام الحليمي رحمه الله : (( فدل هذا القول على أن حسن الخلق إيمان وأن عدمه نقصان إيمان وأن المؤمنين متفاوتون في إيمانهم فبعضهم أكمل إيمانا من بعض )) [٤]

وقد استدل به على زيادة الإيمان ونقصانه الإمام الآجري [٥] والإمام اللالكائي [٦] والإمام البيهقي [٧] والإمام العمراني [٨] رحمهم الله .

ومنها ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (( أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان )) [٩] .

وقد بوب الإمام ابن حبان رحمه الله على هذا الحديث بقوله : (( ذكر الخبر المُدْحض قول من زعم أن إيمان المسلمين واحد من غير أن يكون فيه زيادة أو نقصان )) [١٠] .

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ٩٦٢ ) .

(٢) الاعتقاد للبيهقي ( ٢١٩ ) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم ( ٧٤٠٢ ) ، ( ١٢ / ٣٦٤ ) ، وصححه الألباني انظر: صحيح الجامع رقم (١٢٣٠) .

(٤) المنهاج للحليمي ( ١ / ٦١ ) .

(٥) الشريعة للآجري ( ٢ / ٥٩٩ ) .

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ٩٦٢ ) .

(٧) الاعتقاد للبيهقي ( ٢٢٤ ) .

(٨) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٧٧٥ ) .

(٩) تقدم تخريجه صـ( ١٠٠ ) .

(١٠) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ( ١ / ٢٠٣ ) .

ويوضح الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله دلالة الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه فيقول : (( وقد ظهر في جميع الإطلاقات أن ما قالوه- يعني السلف الصالح- من زيادة الإيمان ونقصانه حق وكيف وفي الأخبار : (( أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان )) وفي بعض المواضع في خبر آخر : (( مثقال دينار )) فأي معنى لاختلاف مقاديره إن كان ما في القلب لا يتفاوت )) [(١)] .

وقد استدل به الإمام اللالكائي [(٢)] والإمام البيهقي [(٣)] رحمهما الله .

ومنها ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : (( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن )) [(٤)] .

وقد استدل بهذا الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه الإمام الآجري [(٥)] والإمام العمراني حيث قال : (( والمراد به كمال الإيمان ، كقوله ﷺ : (( لا يمان لمن لا أمانة له )) [(٦)] [(٧)] .

وقد بوب الإمام النووي رحمه الله لهذا الحديث بقوله : (( باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه على المتلبس بالمعصية على إرادة نفي الكمال )) [(١)] .

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ( ١ / ١٢١ ) .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي ( ٣ / ٩٦٢ ) .

(٣) الاعتقاد للبيهقي ( ٢٣٠ ) .

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب : بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ، رقم (٥٧) ، (١ / ٧٦) .

(٥) الشريعة للآجري ( ٢ / ٥٨٩ ) .

(٦) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، كتاب الإيمان رقم ( ١٩٤ ) ، ( ١ / ٢٠٨ ) ، وصححه الألباني انظر : الإيمان لابن تيمية ( ١٥ ) .

(٧) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٧٧٣ ) .

ومنها ما جاء في حديث أبي مالك الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : (( الطهور شطر الإيمان )) [٢] .

وقد استدل به الإمام اللالكائي [٣] والإمام البيهقي [٤] رحمهما الله على زيادة الإيمان ونقصانه .

ومن الأحاديث التي جاء فيها التصريح بنقصان الإيمان حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : (( ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن )) [٥] .

وبه استدل الإمام الحليمي رحمه الله حيث قال : (( ومما يدل على أن الإيمان يزيد وينقص قول النبي ﷺ للنساء : (( إنكن ناقصات عقل ودين )) [٦] .

وقال الإمام البغوي رحمه الله عند تقريره لمعتقد أهل السنة في الإيمان : (( وقالوا : الإيمان قول وعمل ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، على ما نطق به القرآن في الزيادة وجاء في الحديث في النقصان في وصف النساء )) [٧] .

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ٢٢٩ ) .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الطهارة ، باب : فضل الوضوء ، رقم ( ٢٢٣ ) ، ( ١ / ٢٠٣ ).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ٩٦٢ ) .

(٤) الاعتقاد للبيهقي ( ٢١٤ ) .

(٥) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب : بيان نقصان الإيمان ، رقم (٧٩) ، ( ١ / ٨٦ ) .

(٦) المنهاج للحليمي ( ١ / ٦٣ ) .

(٧)شرح السنة للبغوي ( ١ / ٣٨ ) .

قال الإمام النووي رحمه الله عند ذكره للفوائد المستنبطة من الحديث : (( وفيه بيان زيادة الإيمان ونقصانه )) (١) ، ثم قال بعد أن قرر أن الطاعات تسمى دينا : (( وإذا ثبت هذا علمنا أن من كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه ، ومن نقصت عبادته نقص دينه )) (٢) .

وبهذا الحديث استدل أيضا الإمام ابن الصلاح (٣) رحمه الله على زيادة الإيمان ونقصانه .

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ٢٥٤ ) .

(٢) المصدر السابق ( ١ / ٢٥٥ ) .

(٣) صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح ( ٢٥٥ ) .

**المطلب الثالث** : نقلهم لإجماع السلف على زيادة الإيمان ونقصانه .

لقد نقل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى الإجماع على زيادة الإيمان ونقصانه كما حكى ذلك عنه الإمام ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١) (٢) .

وممن نقل الإجماع من أئمة الشافعية على زيادة الإيمان ونقصانه الإمام الطبري رحمه الله حيث قال في رسالته صريح السنة :

(( والصواب لدينا من القول : أن الإيمان قول وعمل **يزيد وينقص** وبه الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وعليه مضى أهل الدين والفضل )) (٣) .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في رسالته إلى أهل الثغر :

(( باب ذكر ما أجمع عليه السلف من الأصول التي نبهوا بالأدلة عليها وأمروا في وقت النبي ﷺ بها . . . **وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية** )) (٤) .

---

(١) سورة الأنفال الآية : ( ٢ ) .

(٢) تفسير ابن كثير ( ٢ / ٣٧٩ ) .

(٣) صريح السنة لابن جرير ( ٢٥ ) .

(٤) رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري ( ٢٠٥ ، ٢٧٢ ) .

ومن نقل الإجماع أيضا على زيادة الإيمان ونقصانه الإمام الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي – رحمه الله – حيث قال :

(( إن الذي أدركت عليه أهل العلم ، ومن لقيتهم وأحدث عنهم ومن بلغني قوله من غيرهم ، ممن يعول عليه ويرجع في النوازل إليه ، ممن ينطق عن علم صائب وفهم ثاقب ، وأمانة قوية وديانة أصيلة ، مشهور في وقته بالإمامة موصوف بالقدوة والزعامة ، ناطق عن الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة ، مجانب للبدعة والضلالة والأهواء والجهالة ، أنه لا يجوز اعتقاد ما لم يكن له أصل في كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله ﷺ ، وإجماع أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان عليهم من الله الرحمن الرحمة والرضوان ،ولا يحل الكلام فيه وأنه بدعة وضلالة ومعصية وجهالة ، ثم الاعتقاد بعد ذلك ... وأن الإيمان قول وعقد وعمل ، **يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية** )) [1] .

وكذلك الإمام البغوي – رحمه الله – حيث قال :

(( اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان .

وقالوا إن الإيمان قول وعمل وعقيدة **يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية** )) [2] .

ويقول الإمام أبو أحمد بن الحسن المعروف بابن الحداد – رحمه الله - :

(( الذي يجب على العبد اعتقاده ، ويلزمه في ظاهره وباطنه اعتماده ، مادل عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع الصدر الأول ، من علماء السلف وأئمتهم الذين هم أعلام الدين وقدوة من بعدهم من المسلمين ، وذلك أن يعتقد العبد ويقر ويعترف

---

(١) مختصر الحجة على تارك المحجة للمقدسي ( ٢ / ٣٣٤ – ٣٣٥ ، ٣٣٧ ) .

(٢) شرح السنة للبغوي ( ١ / ٣٨ – ٣٩ ) .

بقلبه ولسانه ... وأن الإيمان قول باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالجوارح ، **وأنه يزيد وينقص** )) [١]

ويقول الإمام يحي بن إبراهيم السلماسي رحمه الله :

(( جمل الاعتقاد المجمع عليها نقلها الخلف عن السلف ، أجمع عليها الصحابة والتابعون لهم بإحسان ، وأئمة الأمصار من الفقهاء وأصحاب الحديث وأرباب الورع والتقوى المصنفين في علم الكتاب والسنة ، حجازا ويمنا وشاما وعراقا وفارس وخرسان وما وراء النهر وثغور الشام وأذربيجان واران وديار ربيعة ومضر أجمعوا ...وأن الإيمان الشرعي قول وعمل ومعرفة بنص الخبر ، وله شعب وأجزاء ، **يزيد بالطاعة** ، **وينقص بالمعصية** ))[٢] [٣] .

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ( ١٧٥ ، ١٧٧ ) .

(٢) منازل الأئمة الأربعة للسلماسي ( ١٠٣ — ١٠٤ ، ١١٦ ) .

(٣) وقد نقل الإجماع غير واحد من أئمة الشافعية انظر : شرح السنة للمزني ( ٨٩ ) ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ٩٦٠ - ٩٦٤ ) ، و عقيدة السلف للصابوني ( ١١٤ ) ، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني ( ٢/ ٢٧٩،٢٨١ ) ، و اعتقاد أهل السنة والجماعة لعدي بن مسافر ( ٤٢ — ٤٥ ) ، وشرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ١٠٥ ) ، وفتح الباري لابن حجر ( ١ / ٦١ ) .

**المبحث الثالث : ذكرهم أسباب زيادة الإيمان ونقصانه .**

إن في معرفة أسباب زيادة الإيمان ونقصانه فوائد جليلة ، ومنافع عظيمة ، فجدير بكل مسلم أن يجتهد في معرفة هذه الأسباب .

(( فالعبد المؤمن الموفق لا يزال يسعى في أمرين :

**أحدهما** : تحقيق الإيمان وفروعه والتحقق بها علما ، وعملا ، وحالا .

**والثاني** : السعي في دفع ما ينافيهما وينقضهما أو ينقصهما من الفتن الظاهرة والباطنة ، ويداوي ما قصر فيه من الأول ، وما تجرأ عليه من الثاني بالتوبة النصوح ، وتدارك الأمر قبل فواته )) [١] .

ولقد اعتنى علماء الشافعية رحمهم الله تعالى ببيان أسباب زيادة الإيمان ونقصانه ، فقد ذكروا رحمهم الله من أسباب زيادة الإيمان :

**أولا** : فعل الطاعات

قال الربيع بن سليمان المرادي رحمه الله سمعت الشافعي – رحمه الله – يقول : (( الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ [٢] )) [٣] .

ويقول الإمام المزني رحمه الله :

(( والمؤمنون في الإيمان يتفاضلون ، وبصالح الأعمال هم متزايدون )) [٤] .

---

(١) التوضيح والبيان للسعدي ( ٣٨ ) .

(٢) سورة المدثر الآية : ( ٣١ ) .

(٣) الحلية لأبي نعيم ( ٩ / ١١٥ ) .

(٤)شرح السنة للمزني ( ٧٨ ).

ويقول الإمام الإسماعيلي رحمه الله مبينا سبب زيادة الإيمان :

(( ويقولون : إن الإيمان قول وعمل ومعرفة ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، ومن كثرت طاعته أزيد إيمانا ممن هو دونه في الطاعة )) (١) .

**ثانيا** : ذكر الله عز وجل وخشيته

لقد عنون الإمام اللالكائي رحمه الله عنوانا بقوله " تفسير الزيادة والنقصان " ثم قال : (( وقد مضى عن عمر ومعاذ(٢) وابن مسعود وابن عمر وابن رواحة(٣) وعمير بن حبيب(٤) [رضي الله عنهم] : أن الزيادة هو ذكر الله تعالى والنقصان ضده )) (٥) .

**ثالثا** : قراءة القرآن الكريم وتدبره .

وهو من أجل أبواب العلم المؤدية إلى زيادة الإيمان ورسوخه وقوته ، قال تعالى :

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٦)

---

(١) اعتقاد أهل السنة للإسماعيلي ( ٤٣ ) .

(٢) هو : معاذ بن جبل عمرو الأنصاري الخزرجي ، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار ، وشهد بدر والمشاهد كلها ، قال ابن مسعود : إن معاذ بن جبل كان أمة قانتا لله ولم يكن من المشركين ، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ رضي الله عنه . أسد الغابة ( ٤ / ٤١٨ – ٤٢١ ) .

(٣) هو : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، كان ممن شهد العقبة والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا الفتح وما بعده فإنه قتل قبله ، وهو أحد الأمراء في غزوة مؤته . انظر : أسد الغابة ( ٣ / ١٣٠ – ١٣٤ ) .

(٤) هو : عُمير بن حبيب بن حُباشة وقيل : خُماشة بن جُويبر الأنصاري الخطمي ، يقال أنه ممن بايع تحت الشجرة . انظر : أسد الغابة ( ٣ / ٧٨٦ ) .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ١٠١٩ ) .

(٦) سورة ص الآية : ( ٢٩ ) .

قال الإمام الآجري رحمه الله : (( ومن تدبر كلامه عرف الرب عز وجل ، وعرف عظيم سلطانه وقدرته ، وعرف عظيم تفضله على المؤمنين ، وعرف ما عليه من فرض عبادته ، فألزم نفسه الواجب ، فحذر مما حذره مولاه كريم ، فرغب فيما رغبه ، ومن كانت هذه صفته عند تلاوته للقرآن وعند استماعه من غيره ، كان القرآن له شفاءً ، فاستغنى بلا مال ، وعز بلا عشيرة ، وأنس مما يستوحش منه غيره ، وكان همه عند التلاوة للسورة إذا افتتحها متى أتعظ بما أتلو ، ولم يكن مراده متى أختم السورة ، وإنما كان مراده متى أعقل عن الله الخطاب ، متى أزدجر ، متى أعتبر ، لأن تلاوة القرآن عبادة ، لا تكون بغفلة ، والله الموفق لذلك )) (1) .

**رابعا** : معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى .

إن معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى الواردة في نصوص الوحيين ، من أعظم الأبواب التي يحصل بها زيادة الإيمان .

ولهذا من عرف الله كان من أقوى الناس إيمانا وأشدهم طاعة وتعبدا لله ، وأعظمهم خوفا ومراقبة له سبحانه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (2)

(( أي : إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر )) (3) .

---

(١) أخلاق حملة القرآن للآجري ( ١٠ ) .

(٢) سورة فاطر الآية : ( ٢٨ ) .

(٣) تفسير ابن كثير ( ٣ / ٧٢٤ — ٧٢٥ ) .

وأما أسباب نقصان الإيمان فقد ذكروا رحمهم الله تعالى منها :

**أولا** : فعل المعاصي

قال الربيع بن سليمان المرادي رحمه الله سمعت الشافعي – رحمه الله – يقول : (( الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ [1] )) [2] .

ويقول الإمام الصابوني رحمه الله :

(( ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية )) [3] .

ويقول الإمام الأصبهاني رحمه الله :

(( ويجوز الزيادة والنقصان في للإيمان ، وزيادته بفعل الطاعات ونقصانه بتركها ، وفعل المعاصي )) [4] .

**ثانيا** : الغفلة والنسيان

لقد أورد الإمام اللالكائي رحمه الله تعالى عن عمير بن حبيب رضي الله عنه أنه قال : (( الإيمان يزيد وينقص ، قيل له : ما زيادته ونقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه وسبحناه فذلك زيادته ، وإذا غفلنا ونسينا فذلك نقصانه )) [5] .

---

(١) سورة المدثر الآية : ( ٣١ ) .

(٢) الحلية لأبي نعيم ( ٩ / ١١٥ ) .

(٣) عقيدة السلف للصابوني ( ٧٨ ) .

(٤) الحجة على تارك المحجة للأصبهاني ( ١ / ٤٣٩ ) .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ١٠٢٠ ) .

**البحث الرابع : هل الإسلام يزيد وينقص**

هذه المسألة مرتبطة بمبحث التفريق بين الإسلام والإيمان والتي قرر فيها أن الإسـلام له إطلاقان وهما :

**الإطلاق الأول** : يطلق الإسلام مفردا غير مقترن بالإيمان ، ويراد به الدين كلـه ، من الأقوال والأفعال والاعتقادات، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (١) وقوله سبحانه : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٢) ، ونحو ذلك من الآيات .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (( وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (٣) دخل فيه الباطن ، فلو أتى بالعمل الظاهر دون الباطن ، لم يكن ممن أتى بالدين الذي هو عند الله الإسلام )) (٤) .

**الإطلاق الثاني** : يطلق الإسلام مقترنا بالإيمان ، فيكون المراد به حينئـذ الأقـوال والأعمال الظاهرة ، كقوله تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (٥) ، وكما في حديث جبريل عليه السلام (٦) حيث فرق النبي ﷺ بين بين الإسلام والإيمان فجعل الإسلام الأعمال الظاهرة و الإيمان الأعمال الباطنة .

---

(١) سورة آل عمران الآية : ( ١٩ ) .

(٢) سورة المائدة الآية : ( ٣ ) .

(٣) سورة آل عمران الآية : ( ٨٥ ) .

(٤) مجموع الفتاوى ( ٧ / ٥٧٦ ) .

(٥) سورة الحجرات الآية : ( ١٤ ) .

(٦) تقدم تخريجه صـ( ١٠٦ ) .

فمن خلال هذا التقرير يتضح لنا أن الإسلام يزيد وينقص كما أن الإيمان يزيد وينقص ، أما على الإطلاق الأول فزيادة الإسلام ونقصانه فظاهرة ، وذلك لأنه صار مرادفا للإيمان فحكمه كحكمه تماما من حيث قبوله للزيادة والنقصان .

وقد بوب الإمام النووي رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم بابا فقال :
(( باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل )) (١) وأورد تحته قول النبي ﷺ : (( المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده )) (٢) ، ثم قال رحمه الله : (( قالوا معناه : المسلم الكامل ، وليس المراد نفي أصل الإسلام عن من لم يكن بهذه الصفة ، بل كما يقال : العلم ما نفع ، أو العالم زيد ، أي : الكامل أو المحبوب ، وكما يقال : الناس العرب ، والمال الإبل ، فكله على التفضيل لا الحصر ، ويدل على ما ذكرناه من معنى الحديث قوله : أيُّ المسلمين خير ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده )) (٣) .

ودلالة الحديث للباب ظاهرة ، وهو أن كف الأذى من أعمال الإسلام الواجبة التي يزيد بزيادتها وينقص بنقصها .

وإلى هذا أشار الحافظ ابن حجر رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث من صحيح البخاري رحمه الله حيث قال : (( وإذا ثبت أن بعض خصال المسلمين المتعلقة بالإسلام أفضل من بعض حصل مراد المصنف بقبول الزيادة والنقصان ، فتظهر مناسبة هذا الحديث وما قبله لما قبلهما من تعدد أمور الإيمان ، إذ الإيمان والإسلام عنده مترادفان ، والله أعلم )) (٤) .

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ٢٠٠ ) .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : بيان تفاضل الإسلام ، رقم ( ٤١ ) ، ( ١ / ٦٥ ) .
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ٢٠١ ) .
(٤) فتح الباري لابن حجر ( ١ / ٧١ ) .

وعليه فجميع من ذهب من العلماء إلى القول بأن الإيمان والإسلام اسمان بمعنى واحد هو قائل بزيادة الإسلام ونقصانه وقد ذهب إلى هذا القول جمع من أئمة الشافعية وغيرهم منهم الإمام الشافعي ، والإمام والمزني ، والإمام محمد بن نصر المـــروزي [١] ، والحـــافظ أبو عوانة الإسفرائيني ، والإمام ابن حبان ، والإمام والبيهقي ، والإمـــام السلماســـي ، وغيرهم رحمهم الله [٢] .

وقد صرح شيخ الإسلام رحمه الله في مناقشته للإمام محمد بـــن نصـــر المـــروزي رحمه الله في مسألة ترادف الإسلام والإيمان أنه يقول بزيادة الإسلام ونقصـــانه ، حيـــث قال : (( وأما ما ذكره من أن الإسلام ينقص كما ينقص الإيمان فهذا أيضا حق كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة ، فإن من نقص من الصلاة والزكاة أو من الصوم أو من الحـــج شيئا فقد نقص من إسلامه بحسب ذلك )) [٣] .

وأما على الإطلاق الثاني حال اقترانه بالإيمان حيث يكون المراد بالإسلام الأقـــوال والأعمال الظاهرة فلا خلاف في هذه الحالة على زيادة الإسلام ونقصانه ، لأن الأعمـــال الظاهرة تزيد وتنقص .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : (( وأما زيادة العمل الصالح الذي علـــى الجـــوارح ونقصانه فمتفق عليه )) [٤] .

---

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٣٤٩ ) .

(٢) وقد تقدم نقل أقوالهم انظر : صـــ( ١٤١ ) .

(٣) مجموع الفتاوى ( ٧ / ٤١٤ ) .

(٤) مجموع الفتاوى ( ٧ / ٤٧٩ ) .

وعليه فمن ذهب من أهل العلم إلى القول بأن الإسلام هو الأعمال الظاهرة هو قائل بأن الإسلام يـــزيد وينقص، وقد ذهب إلى هذا القول مـــن أئمـــة الشـــافعية، الإمـــام الخطابي(١)، والحافظ اللالكائي ، والإمام البغوي ، وقوام السنة الأصـــبهاني ، والإمـــام العمراني ، والإمام ابن الصلاح ، والإمام وابن كثير ، وغيرهم رحمهم الله تعالى.(٢)

وأما من فرق بين الإسلام والإيمان فجعل الإسلام الكلمة والإيمان العمل كما هـــو منقول عن جماعة من السلف ومن الشافعية الإمام ابن جريـــر الطـــبري (٣) ، والإمـــام الآجري (٤) والإمام الملطي (٥) رحمهم الله تعالى ، فعلى قولهم هذا الإسلام لا يقبل الزيادة والنقصان .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (( فالإســـلام الـــذي لا يســـتثنى فيـــه : الشهادتان باللسان فقط ، فإنها لا تزيد ولا تنقص فلا استثناء فيها )) (٦) .

---

(١) هو : الإمام العلامة الحافظ اللغوي أبو سليمان حَمْد بن محمـــد البســـتي الخطـــابي صـــاحب التصانيف، أخذ الفقه على مذهب الشافعي عن أبي بكر القفال الشاشي وغيره ، قـــال أبـــو طـــاهر السِّلفي : وأما أبو سليمان إذا وقف منصف على مصنفاته واطلع على بديع تصرفاته من مؤلفاته تحقق إمامته وديانته فيما يورده وأمانته . توفي سنة ٣٨٨ هـــ . السير ( ١٧ / ٢٣ – ٢٨ ) .

(٢) وقد تقدم نقل أقوالهم انظر : صـــ( ١٤٤ ، ١٤٧ ) .

(٣) تفسير الطبري ( ٢١ / ٣٩٢ ) .

(٤) الشريعة للآجري ( ٢ / ٥٩٣ ) .

(٥) التنبيه والرد للملطي ( ١٦٤ ) .

(٦) مجموع الفتاوى ( ٧ / ٢٥٩ ) .

لقد قرر علماء الشافعية رحمهم الله تعالى فيما مضى من المباحث عقيد أهل السنة والجماعة في أن الإيمان : يزيد ، وينقص ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، معتمدين في ذلك على نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة .

وما قرره علماء الشافعية رحمهم الله من زيادة الإيمان ونقصانه هو بعينه ما قرره أئمة أهل السنة في هذه المسألة ، ومن أقوالهم في تقرير عقيدة السلف الصالح في زيادة الإيمان ونقصانه :

قول الإمام عبد الرزاق الصنعاني [١] رحمه الله :

(( لقيت اثنين وستين شيخا ،- فذكر عددا منهم ثم قال : - كلهم يقولون : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص )) [٢] .

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله :

(( هذه تسمية من كان يقول : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص – ثم سمى أكثر من مئة وثلاثين رجلا من أهل العلم من الصحابة وغيرهم ، ثم قال : - هؤلاء كلهم يقولون : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، وهو قول أهل السنة ، والمعمول به عندنا )) [٣] .

---

(١) هو : عبد الرزاق بن همام بن نافع ، الحافظ الكبير ، أبو بكر الحميري مولاهم الصنعاني صاحب التصانيف ، كان رحمه الله من أوعية العلم ، مات سنة ٢١١ هـ . انظر : تذكرة الحفاظ ( ١ / ٣٦٤ ) .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ١٠٢٩ ) .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ( ٧ / ٣٠٩ – ٣١١ ) .

وقال الإمام يعقوب بن سفيان الفسوي [١] رحمه الله :

(( الإيمان عندنا أهل السنة : الإخلاص لله بالقلوب ، والألسنة ، والجوارح ، وهو قول وعمل ، يزيد وينقص ، على ذلك وجدنا كل من أدركنا )) [٢] .

وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله :

(( أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ، ولا عمل إلا بنية ، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية )) [٣] .

---

(١) هو : الإمام الحافظ الحجة الرحال ، محدث إقليم فارس أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفارسي ، له تاريخ كبير ، توفي سنة ٢٧٧ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ١٨٠ ) .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ( ٣ / ١٠٣٥ ) .

(٣) التمهيد لابن عبد البر ( ٩ / ٢٣٨ ) .

# الفصل الثاني

## جهود علماء الشافعية في الرد على المخالفين في زيادة الإيمان ونقصانه

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الرد على من قال الإيمان يزيد ولا ينقص

المبحث الثاني : الرد على من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص

**المبحث الأول : الرد على من قال الإيمان يزيد ولا ينقص**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أصحاب هذه المقالة وأدلتهم ٠

الذين نقل عنهم القول بأن الإيمان يزيد ولا ينقص هم :

أولا : رواية عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله [١] ٠

ثانيا : بعض الأشاعرة [٢]٠

ثالثا : الغسانية [٣] [٤] ٠

رابعا : النجارية [٥] [٦] ٠

خامسا : الإباضية [٧] [٨] ٠

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (١ / ٢٢١ ) في النسخ الخطية الرواية المنسوبة لأبي حنيفة أنه يزيد ولا ينقص ، وقد تصرف المحقق في النص وجعله لا يزيد ولا ينقص ٠

لقد نسب الغسانية هذا القول للإمام أبي حنيفة ، وقد أنكر البغدادي ذلك وقال إنه يقول : إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه ٠ انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي (١٥٢) ٠

(٢) أصول الدين للبغدادي ( ٢٧٨ ) ٠

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي (١٥٢) ٠

(٤) الغسانية : هم اتباع غسان المرجيء الذي زعم أن الإيمان هو : الإقرار و المحبة لله تعالى وتعظيمه وترك الاستكبار عليه ، وقال : انه يزيد ولا ينقص ٠ انظر : المصدر السابق (١٥٢) ٠

(٥) المصدر السابق ( ١٥٦ ) ٠

(٦) النجارية : هم أتباع الحسين بن محمد النجار ، ومما أطبق عليه النجارية قولهم : إن الإيمان هو المعرفة بالله ، وبرسله ، وبالفرائض التي أجمع عليها المسلمون ، والخضوع لله ، والإقرار بجميع ذلك باللسان ، وقالوا : إن كل خصلة من خصال الإيمان تكون طاعة ولا تكون إيمانا ، وإن الإيمان يزيد ولا ينقص ٠ انظر : التبصير في الدين ( ١٠١ ) ٠

(٧) مشارق الأنوار للسالمي الإباضي ( ٣٥ – ٣٦ ) ٠

(٨) الإباضية : فرقة من فرق الخوارج ، تُنسب إلى عبد الله بن أباض ، يقولون : أن مرتكب الكبيرة الكبيرة كافر كفر نعمة ، لا كفر شرك ، وأما حكمه في الآخرة ، فهو مخلد في النار ، وقد تأثروا بالاعتزال في أكثر مسائل الاعتقاد ، و أكثرهم اليوم متواجدون في عُمان ، وتوجد منهم بقايا في

ومما احتجوا به على باطلهم :

**أولا** : أن الإيمان هو التصديق ، والتصديق لا يقبل النقص لأنه إذا قبل النقص صار شكا ، ولكنه يزيد باعتبار زيادة تصديقه بالتفاصيل [١] .

**ثانيا** : احتجوا بحديث : (( الإسلام يزيد ولا ينقص )) [٢] .

المطلب الثاني : الرد عليهم .

**أولا** : الرد على دعواهم أن التصديق لا يقبل النقص لأنه إذا قبله صار شكا .

والرد عليهم هو أن يقال :

(( إن الواقع يشهد لبطلان ذلك ، فإن من الناس من يكون تصديقه قويا معتمدا على الحجج والبراهين ، بالغا أعلى درجات اليقين ، لا تزعزعه الشبهات ولا تصرفه ، ومنهم من يكون تصدقه ضعيفا بحيث تزعزعه الشبه وتصرفه ، فإن سلم منها بقي على تصديقه الضعيف ولا يعد شاكا ، فشتان بين هذا وذاك .

ثم إن هذا أمر يحسه كل أحد من نفسه ، فإن المرء أحيانا يكون تصديقه قويا ، وأحيانا يكون ضعيفا ، وهو في كلا الحالين مصدق ، وما ذاك إلا لأن التصديق يقبل التفاضل والزيادة والنقصان في الشخص الواحد ، وكذلك يتفاضل من شخص لآخر )) [٣] .

---

الجزائر . انظر : مقالات الإسلاميين ( ١ / ١٨٣ – ١٩٢ ) ، الإباضية عقيدة ومنهجا لصابر طعمية .

(١) انظر : أصول الدين للبغدادي ( ٢٥٢ ) ، عمدة القاري ( ١ / ١٠٧ ) .

(٢) انظر : فيض الباري للكشميري ( ١ / ١٣٧ ) .

(٣) زيادة الإيمان ونقصانه لعبد الرزاق البدر ( ٣١٦ ) .

ويؤكد هذا المعنى الإمام العمراني رحمه الله حيث يقول :

(( وأما التصديق والاعتقاد بالقلب فإن هذا الاعتقاد تارة يشتد ويقوى بالعمل الصالح وتارة يضعف ويسترخي بالمعاصي ، فالعمل للاعتقاد كالسقي للشجرة لأنه ينمي بالسقي ويضعف )) (١) .

ويوضح هذا المعنى ويقرره أيضا الإمام النووي رحمه الله حيث يقول في معرض رده على من يقول بعدم زيادة التصديق القلبي ونقصانه :

(( فالأظهر – والله أعلم – أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة ، ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبه ولا يتزلزل إيمانهم بعارض ، بل لا تزال قلوبهم منشرحة نيرة وأن اختلفت عليهم الأحوال ، وأما غيرهم من المؤلفة ومن قاربهم ونحوهم فليسوا كذلك ، فهذا مما لا يمكن إنكاره ولا يتشكك عاقل في أن نفس تصديق أبي بكر الصديق ﷺ لا يساويه تصديق آحاد الناس )) (٢) .

وقد نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله كلام الإمام النووي المتقدم ثم قال مؤيدا له :

(( ويؤيده أن كل أحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل ، حتى إنه يكون في بعض الأحيان الإيمان أعظم يقينا وإخلاصا وتوكلا منه في بعضها ، وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها )) (٣) .

---

(١) الانتصار للعمراني ( ٣ / ٧٦٣ ) .

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ١٠٥ ) .

(٣) فتح الباري لابن حجر ( ١ / ٦١ ) .

ومن الأدلة الصريحة التي تبين أن التصديق يزيد وينقص وأن نقصانه لا يعد شكا ما حكاه الله ﷻ عن طلب نبيه إبراهيم عليه السلام اطمئنان القلب في قوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ (١)

فقد روى الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية عن جماعة من السلف رحمهم الله تعالى أنهم فسروا الآية بزيادة الإيمان واليقين (٢) .

(( ثم يقال لهؤلاء : إن كان التصديق على قولكم يقبل الزيادة ولا يقبل النقصان أخبرونا عن حاله قبل حصول الزيادة أكان ناقصا أو كاملا ؟

فإن كان كاملا فما وجه الزيادة فيه وهو كامل ، وإن كان ناقصا وهو كذلك خصمتم ، وبهذا يظهر تناقضهم ، وتهافت قولهم ، وبالله التوفيق )) (٣) .

**ثانيا** : الرد على استدلالهم بحديث الإسلام يزيد ولا ينقص .

لفظ الحديث : عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : (( الإسلام يزيد ولا ينقص )) (٤) .

والرد عليهم من وجهين :

**الأول** : أن الحديث قد ضعفه غير واحد من أهل العلم (٥) .

---

(١) سورة البقرة الآية : ( ٢٦٠ ) .

(٢) تفسير الطبري ( ٤ / ٦٣١ – ٦٣٢ )

(٣) زيادة الإيمان ونقصانه لعبد الرزاق البدر ( ٣١٧ ) .

(٤) سنن أبي داود كتاب الفرائض ، باب : هل يرث المسلم الكافر، رقم ( ٢٩١٢ ) ، (٣/٢٢١) .

(٥) الأباطيل للجوزقاني رقم ( ٥٤٩ ) ، ( ٢ / ١٥٦ ) ، والموضوعات لابن الجوزي ، كتاب الميراث ، باب : توريث المسلم من الكافر ( ٣ / ٢٣٠ ) ، انظر : السلسلة الضعيفة للألباني رقم ( ١١٢٣ ) .

**ثانيا** : على فرض صحة الحديث فإنه لا يدل على أن الإيمان يزيد ولا ينقص ، وإنما قيل في معناه :

(( أي : أن حكم الإسلام يغلب ، ومن تغليبه أن يحكم للولد بالإسلام بإسلام أحد أبويه )) [١] .

وقال الإمام البيهقي رحمه الله :

(( إنما أراد أن الإسلام في زيادة ولا ينقص بالردة )) [٢] .

وقيل : (( أي : يزيد بما يفتح من البلاد ، ولا ينقص بما غلب عليه الكفرة منها )) [٣] .

---

(١) سنن البيهقي ( ٦ / ٢٠٥ ) .

(٢) المصدر السابق ( ٦ / ٢٥٥ ) .

(٣) عون المعبود ( ٨ / ١٢٣ ) .

**المبحث الثاني : الرد على من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أصحاب هذه المقالة وأدلتهم .

الذين نقل عنهم القول بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص كما في كتب المقالات وغيرها هم :

أولا : الإمام أبو حنيفة رحمه الله وأصحابه [١] [٢] .

ثانيا : الجهمية [٣] .

ثالثا : الخوارج و المعتزلة [٤] .

رابعا : الأشاعرة و الماتريدية [٥].

وقد استدلوا على باطلهم بشبه زعموا أنها أدلة وهي :

أولا : أن الإيمان كل واحد لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله [٦] .

ثانيا : أن الإيمان هو التصديق القلبي وهذا لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان [٧] .

---

(١) الإمام أبو حنيفة رحمه الله وأصحابه وإن جانبوا الصواب في هذه المسألة إلا أنهم ليسوا كسائر الطوائف المخالفة في هذا الباب .

(٢) المقالات للأشعري ( ١ / ٢٢١ ) .

(٣) المصدر السابق ( ١ / ٢١٤ ) .

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ( ١٣ / ٤٨ ، ٧ / ٤٠٤ ) .

(٥) إتحاف السادة المتقين للزبيدي ( ٢ / ٢٥٦ ) .

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية ( ٧ / ٥١١ ) .

(٧) شرح العقائد النسفية ( ٤٠٢ ) .

المطلب الثاني : الرد عليهم .

**أولا** : الرد على قولهم إن الإيمان شيء واحد لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله .
لقد ذهب إلى تقرير هذه الشبهة جميع من قال بعدم زيادة الإيمان ونقصانه من الخوارج والمعتزلة والمرجئة .

يقول الإمام محمد بن نصر المروزي رحمه الله في معرض رده على المرجئة لستدلالهم بهذا الأصل :

(( زعم بعض المرجئة أنا إذا قلنا إن الإيمان اسم لجميع الطاعات لزمنا أن نُكَفِّر العاصي عند أول معصية يفعلها ، لأنه إذا كان إنما يسمى إيمانا لاجتماع معاني ، فمتى ما نقص من تلك المعاني مثقال خردلة ، زال عنه الاسم ، وضربوا لذلك مثلا فقالوا : ومثل ذلك مثل قول القائل : عشرة دراهم ، فإذا نقص دانق [1] ، لم تسم عشرة إلا على النقصان ، فإن نقص درهم لم تسم عشرة أبدا .

فقيل لهم : إنكم ضربتم المثل على غير أصل ، وقد غلطتم علينا ، و لم تفهموا معنانا ، وذلك أنا نقول : إن الإيمان أصل ، من نقص منه مثقال ذرة زال عنه اسم الإيمان ، ومن لم ينقص منه لم يزل عنه اسم الإيمان ، ولكنه يزداد بعده إيمانا إلى إيمانه ، فإن نقصت الزيادة التي بعد الأصل لم ينقص الأصل ... وذلك كنخلة قائمة ذات أغصان وورق ، فكلما قطع منها غص لم يزل عنها اسم الشجرة ، وكانت دونما كانت عليه من الكمال من غير أن ينقلب اسمها ، إلا أنها شجرة ناقصة من أغصانها ، وغيرها من النخل من أشكالها أكمل منها لتمامها بسعفها ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [2] فجعلها

(١) الدِرْهَمُ : سِتَّةُ دَوانِقَ والدانِقُ : قِيراطانِ .القاموس المحيط ( ١ / ١٢٣٢) .
(٢) سورة إبراهيم الآية : ( ٢٤ ) .

مثلا لكلمة الإيمان ، وجعل لها أصلا وفرعا وثمرا تؤتيه ... ثم فسر النبي ﷺ بسنته الإيمان إذ فهم عن الله عز وجل مثله ، فأخبر أن الإيمان ذو شعب ، أعلاها شهادة أن لا إلـه إلا الله ، فجعل أصله الإقرار بالقلب واللسان ، وجعل شعبه الإيمان ، ثم جعل في غير حديث الأعمال شعبا من الإيمان ، فاستعجم على المرجيء الفهم ، فضرب المثل بخلاف ما ضربه الله ورسوله ، وقال : ( مثل عشر دراهم ) لِيُبْطل سنة الرسول ﷺ ويجعل قوله هو الحـق بخلاف الآثار ... وليست العشرة مثل الإيمان لأنه ليس لها أصل ، إلا كالفرع : العاشر درهم ، والأول درهم ، فإنما مثل أصلها مثل الفضة ، والفضة كمثل التصـديق ، فلـو كانت نقرة فيها عشرة ، ثم نقصت حبة ، لسميت فضة ، لأن الفضة جامع لاسمها ، قلَّت أم كثرت ، لأنها أصل قائم أبدا ما دام منها شيء ، وليست العشرة كذلك لـيس أولهـا بأولى من أن يكون أصلا لها من آخرها ، لأنها أجزاء متفرقة ... )) [(١)] .

من خلال رد الإمام المروزي رحمه الله على هذه الشبهة يتقرر ما يلي :

**أولا** : أن الحقيقة الجامعة لأمور سواء كانت في الأعيان والأعراض ، إذا زال بعض تلك الأمور فقد يزول سائرها وقد لا يزول ، ولا يلزم من زوال بعـض تلـك الأمـور المجتمعة زوال سائرها .

**ثانيا** : أن ما مثلوا به من العشرة مطابق لذلك فإن الواحد مـن العشـرة إذا زال لم يلزم زوال التسعة بل قد تبقى التسعة فإذا زال أحد جزئي المركب لا يلزم زوال الجـزء الآخر لكن أكثر ما يقولون زالت الصورة المجتمعة وزالت الهيئة الاجتماعية وزال ذلـك الاسم الذي استحقته الهيئة بذلك الاجتماع والتركيب كما يزول اسم العشرة .

**ثالثا** : أن كون ذلك المجتمع المركب ما بقي على تركيبه فهذا لا ينازع فيه عاقـل ولا يدعي عاقل أن الإيمان أو الصلاة أو الحج أو غير ذلك من العبادات المتناولة لأمور إذا زال بعضها بقي ذلك المجتمع المركب كما كان قبل زوال بعضـه ولا يقـول أحـد أن

---

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٤٥٩ – ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٦ ) .

الشجرة أو الدار إذا زال بعضها بقيت مجتمعة كما كانت ، ولكن لا يلـزم زوال بقيـة الأشياء ، فدعواهم أنه إذا زال بعض المركب زال بعضه الآخر ليس بصواب ٠

**رابعا** : المركبات في ذلك على وجهين منها :

١ ــ ما يكون التركيب شرطا في إطلاق الاسم عليه ٠

٢ ــ ومنها ما لا يكون كذلك ٠

فالأول كاسم العشرة ، فإن هذا النوع يزول عنه اسمه عند زوال بعض أجزائه ٠

ومثال الثاني :جميع المركبات المتشابهة الأجزاء من هذا الباب وكذلك كـثير مـن المختلفة الأجزاء فإن المكيلات والموزونات تسمى حنطة وهي بعد النقص حنطة وكذلك التراب والماء ونحو ذلك

وكذلك لفظ العبادة والطاعة والخير والحسنة والإحسان والصدقة والعلم ونحو ذلك مما يدخل فيه أمور كثيرة يطلق الاسم على قليلها وكثيرها وعند زوال بعض الأجزاء وبقاء بعض وكذلك لفظ القرآن فيقال على جميعه وعلى بعضه ولو نزل قرآن أكثر مـن هـذا لسمى قرآنا ،وكذلك لفظ الذكر والدعاء يقال للقليل والكثير وكذلك لفظ الجبل والنهر والبحر والدار والقرية والمسجد ونحو ذلك يقال على الجملة المجتمعة ثم ينقص كثير مـن أجزائها والاسم باق وإذا كانت المركبات على نوعين بل غالبها من هذا النوع لم يصـح قولهم إنه إذا زال جزؤه لزم أن يزول الاسم ٠

**رابعا** : أن اسم الإيمان من هذا الباب فإن النبي ﷺ قال : (( الإيمان بضع وسـبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريـق والحيـاء شـعبة مـن الإيمان )) [1] ثم من المعلوم أنه إذا زالت الإماطة ونحوها لم يزل اسم الإيمان

وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال : (( يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان )) [2] فأخبر أنه يتبعض ويبقى بعضه وأن ذاك من الإيمان فعلم أن بعض الإيمـان يزول ويبقى بعضه وهذا ينقض مآخذهم الفاسدة ٠

---

(١) تقدم تخريجه صـ( ١٠٠ ) ٠

(٢) تقدم تخريجه صـ( ١٠٠ ) ٠

فصار ما يجب من الإيمان يختلف باختلاف حال نزول الوحي من السماء وبحال المكلف في البلاغ وعدمه وهذا مما يتنوع به نفس التصديق ويختلف حاله باختلاف القدرة والعجز وغير ذلك من أسباب الوجوب وهذه يختلف بها العمل أيضا ومعلوم أن الواجب على كل من هؤلاء لا يماثل الواجب على الآخر فإذا كان نفس ما وجب من الإيمان في الشريعة الواحدة يختلف ويتفاضل وإن كان بين جميع هذه الأنواع قدر مشترك موجود في الجميع كالإقرار بالخالق وإخلاص الدين له والإقرار برسله واليوم الآخر على وجه الإجمال فمن المعلوم أن بعض الناس إذا أتى ببعض ما يجب عليه دون بعض كان قد تَبَعَّض ما أتى فيه من الإيمان كتبعُّض سائر الواجبات .

لكن يبقى أن يقال : إن هذا البعض الآخر قد يكون شرطا في ذلك البعض وقد لا يكون شرطا فيه فالشرط كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه أو آمن ببعض الرسل وكفر ببعضهم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[1] وقد يكون البعض المتروك ليس شرطا في وجود الآخر ولا قبوله ، كفعل بعض الكبائر وترك بعض الواجبات فيما دون الكفر ، وحينئذ فقد يجتمع في الإنسان إيمان ونفاق وبعض شعب الإيمان وشعبة من شعب الكفر .

كما دلت على ذلك أدلة كثيرة منها ما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : (( سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ))[2] ومنها عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (( إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهم ))[3] .

---

(١) سورة النساء الآية : ( ١٥٠ – ١٥١ ) .

(٢) تقدم تخريجه صـ( ٨٠ ) .

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب : بيان حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر ، رقم (٦٠) ، ( ١ / ٧٩ ) .

**خامسا** : أن أجزاء الإيمان مختلفة متفاوتة ، فمنها ما يزول الإيمان كلية بزوالها كفعل أمر كفري ناقض للإيمان ، ومنها ما يزول كمال الإيمان الواجب بزوالها كفعل كبيرة من الكبائر ، ومنها ما يزول كمال الإيمان المستحب بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق .

**سادسا** : أن شعب الإيمان قد تتلازم عند القوة ولا تتلازم عند الضعف فإذا قوي ما في القلب من التصديق والمعرفة والمحبة لله ورسوله أوجب بغض أعداء الله كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ ﴾ [٢] .

وقد تحصل للرجل موادتهم لرحم أو حاجة فتكون ذنبا ينقص به إيمانه ولا يكون به كافرا كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة [٣] رضي الله عنه لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبي ﷺ وأنزل الله فيه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [٤] .

---

(١) سورة المائدة الآية : ( ٨١ ) .

(٢) سورة المجادلة الآية : ( ٢٢ ) .

(٣) هو : حاطب بن أبي بلتعة ، واسم أبي بلتعة : عمرو بن عمير بن سلمة ، وكنيته : أبو عبد الله وقيل : أبو محمد ، شهد بدرا وشهد الحديبية وشهد الله تعالى له بالإيمان ، توفي حاطب سنة ثلاثين وصلى عليه عثمان وكان عمره خمسا وستين سنة . انظر : أسد الغابة ( ١ / ٢٢٩ ) .

(٤) سورة الممتحنة الآية : ( ١ ) .

ولهذه الشبهة سمى عمر حاطبا رضي الله عنهما منافقا فقال : دعني يا رسـول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال : (( إنه شهد بدرا )) [١] ، فكان عمر متأولا في تسـميته منافقا للشبهة التي فعلها .

ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعا واحدا ، بل فيهم المنافق المحض ، وفيهم من فيه إيمان ونفاق ، وفيهم من إيمانه غالب وفيه شعبة من النفاق .

وبهذا يتبين فساد شبهتهم وزعمهم أن الإيمان كُلٌّ واحد لا يتجزأ إذا ذهب بعضـه ذهب كله ، وأنه كرقم عشرة إذا زال بعض أجزائه زال الاسم عنه ، وأنه لا يجتمـع في القلب إيمان ونفاق وإيمان وبعض شعب الكفر . [٢]

**ثانيا** : الرد على قولهم أن الإيمان هو التصديق القلبي وهذا لا يتصور فيـه الزيـادة ولا النقصان .

الجواب على هذه الشبهة أن يقال :

أولا : أن الإيمان الشرعي ليس مجرد التصديق القلبي فقط وإنما هو قـول وعمـل واعتقاد كما تقدم تقرير ذلك بنصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، وقد نقلت طائفة مباركة من أقوال أئمة الشافعية وغيرهم رحمهم الله في تقرير ذلك .

ثانيا : أن التصديق لا يقتصر على القلب فقط وإنمـا يكـون بالقلـب واللسـان والجوارح وقد بين الإمام الطبري رحمه الله هذا المعنى حيث قال :

(( وأما من حيث النظر مما لا يدفع صحته ذو فطرة صحيحة ، وذلـك الشـهادة لقول قائل قال قولا ، أو وعد عدة ، ثم أنجز وعده وحقق بالفعل قوله : صدق فلان قوله

---

(١) أخرجه البخاري كتاب : الجهاد والسير ، باب : الجاسوس ، رقـم ( ) ، ( / ) ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أهل بدر ، رقم ( ٢٤٩٤ ) ، ( ٤ /١٩٤١ ) .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية بتصرف ( ٧ / ٥١٤ – ٥٢٤ ) .

بفعله ، ولا يدفع ذو معرفة بكلام العرب صحة القول بأن الإيمان التصديق ، فإذا كان الإيمان في كلامها التصديق ، والتصديق يكون بالقلب واللسان والجوارح ، وكان تصديق القلب العزم والإذعان ، وتصديق اللسان الإقرار ، وتصديق الجوارح السعي والعمل ، كان المعنى الذي يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه المعاني الثلاثة )) [١] .

وقريبا من جواب الإمام الطبري أجاب الإمام المروزي رحمه الله [٢] .

**ثالثا** : قولهم : (( أن التصديق لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان )) وهذا قول باطل وقد تقدم الرد عليه في المبحث السابق [٣] .

**رابعا** : أن القول بأن الإيمان هو التصديق القلبي فقط يلزم منه لوازم باطلة منها : أن إيمان آحاد الأمة بل المنهمكين في الفسق والمعاصي مساويا لإيمان الأنبياء والملائكة عليهم السلام .

قال الإمام الآجري رحمه الله في بيان فساد هذا القول وما يلزمه من اللوازم الباطلة : (( من قال هذا فقد أعظم الفرية على الله تعالى وأتى بضد الحق ، وبما ينكره جميع العلماء ، لأن قائل هذه المقالة يزعم أن من قال : لا إله إلا الله لم تضره الكبائر أن يعملها ، ولا الفواحش أن يركبها ، وأن عنده أن البار التقي الذي لا يباشر من ذلك شيئا والفاجر يكونان سواء ، هذا منكر قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [٤] .

---

(١) تهذيب الآثار للطبري ( ٢ / ٦٨٥ ) .

(٢) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٤٦٧ – ٤٦٨ ) .

(٣) انظر : صـ( ١٨٠ ) .

(٤) سورة الجاثية الآية: ( ٢١ ) .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾[١] يقال لقائل هذه المقالة المنكرة : ياضال يا مضل ، إن الله تعالى لم يسو بين الطائفتين من المؤمنين في أعمال الصالحات حتى فضل بعضهم على بعض درجات ، قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[٢] . فوعدهم الله عز وجل كلهم الحسنى بعد أن فضل بعضهم على بعض .

وقال تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾[٣] ثم قال : ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ فكيف يجوز لهذا الملحد في الدين أن يسوي بين إيمانه وإيمان جبريل وميكائيل ؟! ويزعم أنه مؤمن حقا !! ))[٤] .

---

(١) سورة ص الآية : ( ٢٨ ) .

(٢) سورة الحديد الآية : ( ١٠ ) .

(٣) سورة النساء الآية : ( ٩٥ ) .

(٤) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٨٩ – ٦٩٠ ) .

# الباب الثالث

# جهود علماء الشافعية في تقرير الاستثناء في الإيمان
# والرد على المخالفين

**وفيه فصلان :**

**الفصل الأول : جهود علماء الشافعية في تقرير الاستثناء في الإيمان**

**الفصل الثاني : جهود علماء الشافعية في الرد على المخالفين في الاستثناء في الإيمان**

# الفصل الأول

## جهود علماء الشافعية في تقرير الاستثناء في الإيمان

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : تقريرهم لمشروعية الاستثناء في الإيمان

المبحث الثاني : أدلتهم على مشروعية الاستثناء في الإيمان

المبحث الثالث : عباراتهم في الاستثناء في الإيمان

المبحث الرابع : مأخذهم في الاستثناء في الإيمان

المبحث الخامس : موقفهم من سؤال : أمؤمن أنت ؟

**المبحث الأول : تقريرهم مشروعية الاستثناء في الإيمان ٠**

لقد نقل فخر الدين الرازي رحمه الله وهو من علماء الشافعية [١] القول بجواز الاستثناء في الإيمان عن الإمام الشافعي رحمه الله ٠

ومن أئمة الشافعية الذين نصوا على جواز الاستثناء في الإيمان الإمام الطبري [٢] ، والإمام الآجري حيث قال رحمه الله : (( من صفة أهل الحق ممن ذكرنا من أهل العلم الاستثناء في الإيمان ، لا على جهة الشك – نعوذ بالله من الشك في الإيمان – ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان ، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا ؟ )) [٣] ٠

ومنهم الإمام اللالكائي[٤]، والإمام الصابوني[٥]، والإمام البيهقي[٦]، والإمام السمعاني[٧]، السمعاني[٧]، والإمام البغوي[٨]، والإمام الأصبهاني[٩]، والإمام العمراني[١]، وغيرهم ٠ ٠

---

(١) مناقب الشافعي للرازي ( ١٤٧ ) ، وممن نقل أيضا عن الإمام الشافعي رحمه الله القول بجواز الاستثناء في الإيمان الإمام أبو البقاء الفتوحي وهو من علماء الحنابلة ٠ انظر : شرح الكوكب المنير للفتوحي ( ٤٧ ) ٠

(٢) التبصير للطبري ( ١٩٢ – ١٩٣ ) ٠

(٣) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٥٦ ) ٠

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ١٠٣٧ ) ٠

(٥) عقيدة السلف للصابوني ( ٩١ ) ٠

(٦) الاعتقاد للبيهقي ( ٢٣٣ ) ٠

(٧) تفسير السمعاني ( ٢ / ٢٤٨ ) ٠

(٨) معالم التنزيل للبغوي ( ٣ / ٣٢٦ ) ٠

(٩) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ( ١ / ٤٤٣ ) ٠

**المبحث الثاني : أدلتهم على مشروعية الاستثناء في الإيمان**

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأدلة من القرآن على الاستثناء في الإيمان

لقد استدل علماء الشافعية رحمهم الله [٢] بآيات من القرآن الكريم تدل على مشروعية الاستثناء في الإيمان منها :

قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ ﴾ [٣]

يقول الإمامان السمعاني و البغوي رحمهما الله في تفسير هذه الآية :

(( فيه دليل على أنه ليس لكل أحد أن يصف نفسه بكونه مؤمنا حقا لأن الله تعالى إنما وصف بذلك قوما مخصوصين على أوصاف مخصوصة ، وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه )) [٤] .

وقوله تعالى : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [٥]

وهذه الآية الكريمة تدل على أنه يجوز الاستثناء فيما لا شك فيه ، وقد استدل بها الإمام الآجري [٦] ، والعلامة آل بطامي[٧] رحمهم الله تعالى .

---

(١) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٧٨٠ ) .

(٢) انظر : الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٥٧ ) ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ١٠٣٨ – ١٠٣٩ ) ، الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٧٨٥ – ٧٨٦ ، ٧٩٠ ) .

(٣) سورة الأنفال الآية : ( ٤ ) .

(٤) تفسير السمعاني ( ٢ / ٢٤٨ ) ، ومعالم التنزيل للبغوي ( ٣ / ٣٢٦ ) .

(٥) سورة الفتح الآية : ( ٢٧ ) .

(٦) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٥٧ ) .

(٧) العقائد السلفية لآل بطامي ( ١ / ٤٢٧ ) .

وقوله عز وجل : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ (١)

وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ (٢)

وبهذه الآيات استدل الإمام اللالكائي (٣) رحمه الله تعالى على مشروعية الاستثناء في الإيمان .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾ (٤)

وقوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (٥)

وبهذه الآيات الكريمات استدل الإمام العمراني رحمه الله على مشروعية الاستثناء في الإيمان (٦) .

---

(١) سورة النجم الآية : ( ٣٢ ) .

(٢) سورة الكهف الآية : ( ٢٣ – ٢٤ ) .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ١٠٣٨ – ١٠٣٩ ) .

(٤) سورة النساء الآية : ( ٤٩ ) .

(٥) سورة الأعراف الآية : ( ٩٩ ) .

(٦) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٧٨٥ ، ٧٩٠ ) .

المطلب الثاني : الأدلة من السنة على الاستثناء في الإيمان .

لقد استدل علماء الشافعية رحمهم الله بأدلة من السنة تدل على مشروعية الاستثناء في الإيمان منها :

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ أتى المقبرة فقال : (( السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون )) [١] .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ يستفتيه ، وهي تسمع من وراء الباب ، فقال : يا رسول الله ! تدركني الصلاة وأنا جنب ، أفأصوم ؟ فقال رسول الله ﷺ : (( وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب ، فأصوم )) فقال : لست مثلنا ، يا رسول الله! قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : (( والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله ، وأعلمكم بما أتقي )) [٢] .

وبهذه الأحاديث استدل الإمام الآجري [٣] رحمه الله على مشروعية الاستثناء في الإيمان .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (( لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له ، وإني أريد إن شاء الله أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة )) [٤] .

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الجنائز ، باب : ما يقال عند دخول القبور ، (٢٤٩) ، ( ١ / ٢١٨ ) .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الصيام ، باب : صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ، رقم (١١١٠) ، ( ٢ / ٧٨١ ) .

(٣) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٥٧ ) .

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب : اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، رقم (١٩٩) ، ( ١ / ١٨٩ ) .

وبهذه الأحاديث استدل الإمامان اللالكائي [١] والعمراني [٢] رحمهم الله على مشروعية الاستثناء في الإيمان .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (( إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا مشعوف [٣] ثم يقال له : فيم كنت ؟ فيقول : كنت في الإسلام، فيقال له : ما هذا الرجل ؟ فيقول محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه، فيقال له : هل رأيت الله ؟ فيقول ما ينبغي لأحد أن يرى الله ، فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضا ، فيقال له : انظر إلى ما وقاك الله ، ثم يفرج له قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : هذا مقعدك ، ويقال له : على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث **إن شاء الله** ، ويجلس الرجل السوء في قبره فزعا مشعوفا فيقال له : فيم كنت ؟ فيقول : لا أدري ، فيقال له : ما هذا الرجل ؟ فيقول : سمعت الناس يقولون قولا فقلته ، فيفرج له قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : انظر إلى ما صرف الله عنك ، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضا فيقال له : هذا مقعدك على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث **إن شاء الله تعالى** )) [٤] .

وبهذا الحديث استدل الإمام الآجري [٥] رحمه الله على جواز الاستثناء في الإيمان .

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ١٠٣٩ – ١٠٤٥ ) .

(٢) الانتصار للعمراني ( ٣ / ٧٨٦ – ٧٨٧ ) .

(٣) (( ولا مشعوف )) الشعف : شدة الفزع حتى يذهب بالقلب ، انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ( ٢ / ١١٧٢ ) .

(٤) أخرجه ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب : ذكر القبر والبلى ، رقم ( ٤٢٦٨ ) ، صـ( ٧٠٧ ) ، وصححه الألباني انظر : سنن ابن ماجه رقم ( ٤٢٦٨ ) .

(٥) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٥٨ ) .

المطلب الثالث : نقلهم لإجماع السلف على الاستثناء في الإيمان .

لقد نقل أئمة الشافعية رحمهم الله إجماع السلف رضي الله عنهم على مشروعية الاستثناء في الإيمان :

يقول الإمام الآجري رحمه الله بعد أن قرر مشروعية الاستثناء في الإيمان :
(( هذا طريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، عندهم أن الاستثناء في الأعمال لا يكون في القول والتصديق في القلب )) [١] .

وقال الإمام البيهقي رحمه الله :
(( وقد روينا هذا – يعني الاستثناء في الإيمان – عن جماعة من الصحابة والتابعين والسلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين )) [٢] .

وممن نقل أيضا إجماع السلف الصالح رضي الله عنهم على مشروعية الاستثناء في الإيمان الإمام الالكائي [٣] ، والإمام الصابوني [٤] ، والإمام الأصبهاني [٥] ، والإمام العمراني [٦] رحمهم الله .

---

(١) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٥٦ – ٦٥٧ ) .
(٢) شعب الإيمان للبيهقي ( ١ / ١٦٥ ) .
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ١٠٣٧ ) .
(٤) عقيدة السلف للصابوني ( ٩١ ، ١١٤ ) .
(٥) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ( ١ / ٤٤٤ ) .
(٦) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٧٨٠ ) .

**المبحث الثالث : عباراهم في الاستثناء في الإيمان**

لقد تعددت عبارات أئمة السلف رضي الله عنهم في الاستثناء في الإيمان ، وجرى عليها علماء الشافعية وقرروها في كتبهم ورسائلهم ، وهذه العبارات هي :

**أولا** : استثناؤهم بقول : إن شاء الله .

**ثانيا** : استثناؤهم بقول : آمنت بالله ... .

**ثالثا** : استثناؤهم بقول : أرجو .

**رابعا** : استثناؤهم بقول : لا إله إلا الله .

قال الإمام الطبري رحمه الله :

(( إذ أقر بعد المعرفة بلسانه وصدق وعمل ، ولم تظهر منه موبقة ولم تعرف منه إلا المحافظة على أداء الفرائض قيل : هو مؤمن إن شاء الله )) [1] .

قال الإمام الآجري رحمه الله :

(( وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا سئلوا : أمؤمن أنت ؟ قال : آمنت بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والجنة والنار وأشباه هذا ... )) [2] .

---

(١) التبصير للطبري ( ١٩٢ ) .

(٢) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٥٦ ) .

قال الإمام الأصبهاني رحمه الله :

(( ويكره لمن حصل منه الإيمان أن يقول : أنا مؤمن حقا ومؤمن عند الله ، ولكن يقول : أنا مؤمن أرجو أو مؤمن إن شاء الله أو يقول : آمنت بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ،٠٠٠ )) [١] .

وقد أخرج الإمام الآجري رحمه الله بسنده عن الإمام إبراهيم النخعي رحمه الله أنه قال :

(( إذا قيل لك : أمؤمن أنت ؟ فقل : لا إله إلا الله )) [٢] .

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ( ١ / ٤٤٣ – ٤٤٤ ) .

(٢) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٧٠ ) .

**المبحث الربع : مأخذهم في الاستثناء في الإيمان .**

لقد كان علماء الشافعية رحمهم الله تعالى في استثنائهم في الإيمان يلحظون أمـــورا وهي :

**أولا** : (( أن الاستثناء يرجع إلى كمال الإيمان بالأعمال )) [(١)] .

وذلك (( أن الإيمان المطلق فعل جميع المأمورات ، وترك جميع المحظورات ، فإذا قال الرجل : أنا مؤمن بهذا الاعتبار ، فقد شهد لنفسه بأنه من الأبرار المتقين ، القائمين بفعل جميع ما أمروا به ، وترك كل ما نهوا عنه )) [(٢)] .

وإلى هذا المأخذ أشار الإمام الطبري [(٣)]، والإمام الآجري [(٤)] ، والإمام الأصبهاني [(٥)] رحمهما الله .

**ثانيا** : أن إطلاق الإيمان فيه تزكية النفس ، والله تعالى يقـــول :﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [(٦)]

يقول الإمام الآجري رحمه الله :

(( من صفة أهل الحق ممن ذكرنا من أهل العلم الاستثناء في الإيمان ، لا على جهة الشك – نعوذ بالله من الشك في الإيمان – **ولكن خـــوف التزكيـــة لأنفســـهم مـــن الاستكمال للإيمان** ، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا ؟ )) [(١)] .

---

(١) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٧٨٨ ) .

(٢) العقائد السلفية لآل بطامي ( ١ / ٤٢٦ ) .

(٣) التبصير للطبري ( ١٩٢ – ١٩٣ ) .

(٤) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٥٦ – ٦٥٧ ) .

(٥) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ( ١ / ٤٤٤ – ٤٤٥ ) .

(٦) سورة النجم الآية : ( ٣٢ ) .

ويقول الإمام العمراني رحمه الله : (( والإيمان من أعلى صفات الحمد ، وإطلاق القول به تزكية مطلقة ، والاستثناء فيه خروج من التزكية )) [٢] .

**ثالثا** : جواز الاستثناء في الأمور المتيقنة ، وإلى هذا المأخذ أشار العلامة أحمد بن حجر آل بطامي [٣] رحمه الله واستدل له بقوله تعالى : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [٤] .

**رابعا** : الاستثناء بالنظر إلى تقبل الأعمال [٥] ، لأن المسلم لا يدري هل يقبل الله تعالى منه عمله أم لا ، وقد كان الإمام سليمان بن حرب[٦] رحمه الله يقول : (( نحن نعمل ، ولا ندري يتقبل منا أو لا ؟ )) [٧] .

**خامسا** : (( أنه راجع إلى الشك في الخاتمة ، فإنه لا يدري ما يختم له . قال النبي ﷺ : (( لا تحمدوا عمل الرجل حتى تنظروا بما يختم له )) [١] ، ..................

---

(١) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٥٦ ) ، وانظر : العقائد السلفية لآل بطامي ( ١ / ٤٢٦ ) .

(٢) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٧٨٦ ) .

(٣) العقائد السلفية لآل بطامي ( ١ / ٤٢٧ ) .

(٤) سورة الفتح الآية : ( ٢٧ ) .

(٥) العقائد السلفية لآل بطامي ( ١ / ٤٢٦ – ٤٢٧ ) .

(٦) هو : سليمان بن حرب أبو أيوب البصري ، قال النسائي : ثقة مأمون ، مات سنة ٢٢٤ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ( ٢ / ٨٨ – ٨٩ ) .

(٧) السنة للخلال ( ٣ / ٥٩٧ ) .

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (٢) ))(٣).

قال الإمام الصابوني رحمه الله :

(( ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث : أن عواقب العباد مبهمة ، لا يدري أحد بما يختم له ، ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة ، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار ، لأن ذلك مُغيَّب عنهم ، لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان ، أعلى إسلام أم على كفر ، ولذلك يقولون : إنا مؤمنون إن شاء الله أي : من المؤمنين الذين يختم لهم بخير إن شاء الله )) (٤) .

وقال الإمام البغوي رحمه الله :

(( ويجوز أن يقول : أنا مؤمن إن شاء الله لا على معنى الشك في إيمانه واعتقاده من حيث علمه بنفسه فإنه على يقين وبصيرة ، بل على معنى الخوف من سوء العاقبة وخفاء علم الله تعالى فيه عليه )) (٥) .

---

(١) مسند الإمام أحمد ، رقم ( ١٣٣٣٣ ) ، (٢١/ ٤٨ ) ، وقال اللألباني إسناده صحيح ، انظر : الصحيحة رقم (١٣٣٤) .

(٢) سورة الأعراف الآية : ( ٩٩ ) .

(٣) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٧٩٠ ) .

(٤) عقيدة السلف للصابوني ( ٩١ ) .

(٥) شرح السنة للبغوي ( ١ / ٤١ ) .

**المبحث الخامس : موقفهم من سؤال : أمؤمن أنت ؟**

لقد كانت المرجئة السبب الأول في إثارة مسألة الاستثناء ، وذلك لنصرة مذهبهم الباطل في إخراج العمل من مسمى الإيمان ، ولكن السلف الصالح رضوان الله عليهم تصدوا لفتنتهم وكشفوا باطلهم .

ولقد قام الإمامان الآجري و اللالكائي رحمهم الله بنقل آثار السلف رضوان الله عليهم في الرد على بدعتهم هذه .

قال الإمام الآجري رحمه الله :

(( إذ قال لك رجل : أنت مؤمن ؟ فقل : آمنت بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والموت ، والبعث من بعد الموت ، والجنة والنار ، وإن أحببت ألا تجبه ، وتقول له : سؤلك إياي بدعة ، ولا أجيبك . وإن أحببته فقل : أنا مؤمن إن شاء الله ، على النعت الذي ذكرنا فلا بأس به ، واحذر مناظرة مثل هذا ، فإن هذا عند العلماء مذموم ، واتبع أثر من مضى من أئمة المسلمين تسلم إن شاء الله )) [(١)] .

الآثار التي نقلوها في تبديع هذه المقالة :

فقد أخرج الإمام الآجري رحمه الله بسنده إلى الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله ، أنه قيل له الرجل يقول : مؤمن أنت ؟ قال : ما أشك في إيماني ، وسؤالك إياي بدعة )) وقال (( ما أدري أنا عند الله شقي أم سعيد ، مقبول العمل أم لا ؟ )) [(٢)] .

---

(١) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٦٧ ) .

(٢) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٦٧ ) .

وأخرج بسنده أيضا عن الإمام الأوزاعي رحمه الله أنه قال في الرجل يسأل : أمؤمن أنت ؟ (( إن المسألة عما تسأل عنه بدعة ، والشهادة به تعمق لم نكلفه في ديننا ، ولم يشرعه نبينا ، ليس لمن يسأل عن ذلك فيه إمام ، القول به جدل ، والمنازعة فيه حدث ، ولعمري ما شهادتك لنفسك بالتي توجب لك تلك الحقيقة إن لم يكن كذلك ، ولا تركك الشهادة لنفسك بها بالتي تخرجك من الإيمان إن كنت كذلك ... )) [(١)]

وأخرج أيضا بسنده عن الإمام إبراهيم النخعي رحمه الله أنه قال : (( سؤال الرجل الرجل : أمؤمن أنت ؟ بدعة )) [(٢)] .

وأخرج الإمام اللالكائي رحمه الله بسنده عن الإمام أحمد رحمه الله أنه (( قيل له : فإذا قال الرجل مؤمن أنت ؟ قال : هذا بدعة )) [(٣)] .

ومن خلال هذه الطائفة المباركة من النقول عن أئمة السنة يعلم المسلم العاقل أن سؤال الرجل أخاه أمؤمن أنت ؟ من البدع المحدثة ، فالواجب على المسلم أن يسلك سبيل سلفه الصالح رضوان الله عليهم في هذه المسائل ، ويقف حيث وقفوا ،كما قال الإمام الأوزاعي رحمه الله : (( اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكفَّ عمّا كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح ، فإنَّه يسعك ما وسعهم )) [(٤)] .

---

(١) المصدر السابق ( ٢ / ٦٧٣ – ٦٧٤ ) .

(٢) المصدر السابق ( ٢ / ٦٧٠ – ٦٧١ ) .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ١٠٥٧ ) .

(٤) الشريعة للأجري ( ٢ / ٦٧٤ ) .

لقد قرر علماء الشافعية رحمهم الله تعالى في المباحث السابقة عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم في مسألة الاستثناء في الإيمان ، وتتلخص في النقاط التالية :

**أولا** : أن الاستثناء في الإيمان جائز شرعا ، وذلك لدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة .

**ثانيا** : أن الاستثناء ليس شكا في أصل الإيمان .

**ثالثا** : أن مأخذهم في الاستثناء هو : ترك تزكية النفس ، والشهادة لها بتكميل الأعمال ، وخوفا من سوء الخاتمة ، وغير ذلك من المآخذ .

**رابعا** : أن سؤال الرجل أخاه المسلم أمؤمن أنت ؟ من البدع المحدثة .

وقد تطابقت أقوال أئمة أهل السنة مع ما قرره علماء الشافعية في هذه المسألة ، ومن أقوال أئمة السنة المقررة لهذه المسألة :

وقال إمام الوليد بن مسلم [(١)] رحمه الله : (( سمعت أبا عمرو – يعني الأوزاعي – ومالك بن أنس وسعيد بن عبد العزيز[(٢)] ينكرون أن يقول : أنا مؤمن ، ويأذنون في الاستثناء أن يقول : أنا مؤمن إن شاء الله )) [(٣)] .

---

(١) هو : الوليد بن مسلم القرشي مولى بني أمية وقيل مولى بني العباس أبو العباس الدمشقي عالم الشام قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، مات سنة ١٩٤ وقيل ١٩٥ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ( ٤ / ٣٢٥ ) .

(٢) هو : سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التنوخي أبو محمد ويقال : أبو عبد العزيز قال ابن حبان : كان من عباد أهل الشام وفقهائهم ومتقنيهم في الرواية ، مات سنة ١٦٧ وقيل : ١٦٨ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ( ٢ / ٣١ ) .

(٣) الإبانة لابن بطة ( ٢ / ٨٧٣ ) .

قول الإمام يحي بن سعيد القطان [(١)] رحمه الله : (( ما أدركت أحدا من أصحابنا ولا بلغني إلا على الاستثناء )) [(٢)] .

وقال الإمام ابن بطة العكبري [(٣)] رحمه الله : (( فهذه سبيل المؤمنين ، وطريق العقلاء من العلماء لزوم الاستثناء ، والخوف والرجاء ، لا يدرون كيف أحوالهم عند الله ، ولا كيف أعمالهم ، أمقبولة هي أم مردودة ... بهذا مضت سنة المسلمين ، وعليه جرت عادتهم ، وأخذه خلفهم عن سلفهم ، فليس يُخالف الاستثناء في الإيمان ويأبى قبوله إلا رجل خبيث ، مرجىء ضال ، قد استحوذ الشيطان على قلبه ، نعوذ بالله منه )) [(٤)] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (( المأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث وهو المنسوب إلى أهل السنة أن الإيمان : قول وعمل ، يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، وأنه يجوز الاستثناء فيه )) [(٥)] .

---

(١) هو : يحيى بن سعيد القطان التميمي أبو سعيد البصري الأحول الحافظ ، قال ابن سعد: كان ثقة مأمونا رفيعا حجة ، توفي سنة ١٩٨ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ( ٤ / ٣٥٧ ) .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٣ / ١٠٤٠ ) .

(٣) هو : الإمام القدوة العابد المحدث شيخ العراق أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي ابن بطة مصنف كتاب الإبانة الكبرى في ثلاث مجلدات ، قال عبد الواحد بن علي العكبري : لم أر في شيوخ الحديث ولا في غيرهم أحسن هيئة من ابن بطة رحمه الله ، قال العتيقي : توفي ابن بطة وكان مستجاب الدعوة في المحرم سنة سبع وثماني وثلاث مئة . انظر : سير أعلام النبلاء ( ١٦/٥٢٩ ) .

(٤) الإبانة لابن بطة ( ٢ / ٨٧٢ – ٨٧٣ ) .

(٥) مجموع الفتاوى ( ٧ / ٥٠٥ ) .

# الفصل الثاني

## جهود علماء الشافعية في الرد على المخالفين في الاستثناء في الإيمان

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الرد على من قال بوجوب الاستثناء في الإيمان

المبحث الثاني : الرد على من قال بتحريم الاستثناء في الإيمان

**المبحث الأول : الرد على من قال بوجوب الاستثناء في الإيمان ۰**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أصحاب هذه المقالة وأدلتهم ۰

أصحاب هذه المقالة هم :

الكلابية و الأشاعرة [١] ۰

ودليلهم :

أن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان ، والإنسان إنما يكون عند الله مؤمنا أو كافرا باعتبار الموافاة وما سبق في علم الله أنه يكون عليه ، وما قبل ذلك لا عبرة به ۰

قال الجويني[٢] رحمه الله : (( فإن قيل : قد أثر عن سلفكم ربط الإيمان بالمشيئة ، وكان إذا سئل الواحد منهم عن إيمانه قال : إنه مؤمن إن شاء الله ، فما محصول ذلك ؟ قلنا : الإيمان ثابت في الحال قطعا لا شك فيه ، ولكن الإيمان الذي هو علم الفوز وآية النجاة إيمان الموافاة فاعتنى السلف به وقرنوه بالمشيئة ، و لم يقصدوا التشكيك في الإيمان الناجز )) [٣] ۰

---

(١) انظر : المسامرة شرح المسايرة ( ٢٨٣ ) ، إتحاف السادة المتقين ( ٢ / ٢٨٢ ) ، الروضة البهية ( ٨ ) ۰

(٢) هو : الإمام الكبير شيخ الشافعية إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن الإمام أبي محمد عبد الله ابن يوسف الجويني النيسابوري صاحب التصانيف ، قال الفقيه غانم الموشيلي : سمعت أبا المعالي يقول : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام ۰ توفي سنة ٤٨٧ هـ ۰ انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ١٨ / ٤٦٨ – ٤٧٧ ) ۰

(٣) الإرشاد للجويني ( ٣٣٦ ) ۰

المطلب الثاني : الرد عليهم .

ويقال في الرد عليهم :

**أولا** : يقول العلامة أحمد بن حجر آل بطامي رحمه الله تعالى في بيان بطلان قولهم بوجوب استثناء باعتبار الموافاة ونسبة ذلك إلى السلف رضوان الله عليهم :

(( ولكن هذا ليس قول أحد من السلف ولا الأئمة الأربعة ولا غيرهم ولا كـــان الذين يستثنون في الإيمان أو يجوزونه يعللونه بهذا التعليل وإنما يعللونه بما سبق من أن مـــن قال : أنا مؤمن ، فإن هذه الدعوى تتضمن فعل جميع المأمورات وترك جميـــع المنـــهيات فكأنه زكى نفسه وشهد لها بالولاية والصلاح )) [1] .

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أنه لا علاقة بين قول السلف بجواز الاستثناء في الإيمـــان خوفا من سوء العاقبة وبين قول هؤلاء في استثنائهم باعتبار الموافاة لما يلي :

(( ١ ـــ أن الإيمان عند السلف حقيقة تتناول الاعتقاد والقول والعمـــل ، وعنـــد هؤلاء إنما هو التصديق فقط .

٢ ـــ أن هؤلاء جعلوا حد الإيمان الشرعي هو : ما يوافي به العبد ربه ، وهو قـــول محدث لم يقل به أحد من السلف .

٣ ـــ أن هؤلاء يعُدون الإيمان الذي يوافي به العبد ربه تاما ، لأنه عندهم التصديق فقط ، وليس هذا من قول السلف في شيء .

٤ ـــ أن هؤلاء عندهم لا يعلم أحدٌ أحدا مؤمنا إلا إذا علم أنه يموت على الإيمان ، و لم يقل بهذا أحد من السلف .

---

(١) العقائد السلفية لآل بطامي ( ١ / ٤٢٧ – ٤٢٨ ) .

٥ ــ أن الإيمان عندهم لا يتفاضل ولا يشك في الموجود منه ، وإنما يُشك في المستقبل ، وعند السلف الإيمان يتفاضل ويزيد وينقص ، ولا يدعي أحد منهم أن إيمانه الموجود تام كامل )) [١] .

**ثانيا** : أن بعض محققيهم ذهب إلى الاستثناء في الكفر خلافا لجماهير الأئمة ، وهذا من لوازم قولهم الباطل ، وقد قال عنه الإمام النووي رحمه الله بأنه خلاف غريب [٢] .

(١) زيادة الإيمان ونقصانه للدكتور عبد الرزاق البدر ( ٥١٥ ) .
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ١٠٦ ) .

**المبحث الثاني : الرد على من قال بتحريم الاستثناء في الإيمان**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أصحاب هذه المقالة وأدلتهم ٠

أصحاب هذه المقالة هم الماتريدية والحنفية [١] ٠

وقد استدلوا لقولهم هذا بأدلة وهي :

**أولا** : أن الإيمان هو التصديق والإقرار ، ومن قام به التصديق والإقرار فهو مؤمن حقا لا يجوز أن يقول : أنا مؤمن إن شاء الله ، كمن قامت به الحياة لا يجوز أن يقول : أنا حي إن شاء الله ، وكذا يكون مؤمنا عند الله تعالى لقيام الإيمان به في الحال ، وإن علم الله تعالى أنه يكفر بعد ذلك ، كما يعلم الله الحي حيا لقيام الحياة به في الحال و إن علم أنه يموت بعد ذلك ، وكذلك هو مثل قول الشاب : أنا شاب إن شاء الله باعتبار أنه لا يدوم على شبابه ، ومن المعلوم أن هذا غير جائز فكذلك الاستثناء في الإيمان [٢] ٠

**ثانيا** : أن الاستثناء فيه إيهام الشك في الإيمان فينبغي صون الكلام عنه [٣]

المطلب الثاني : الرد عليهم ٠

**أولا** : الرد على دليلهم الأول أن يقال : إن هذا الاعتراض إنما يتوجه على قول الأشاعرة القائلين بوجوب الاستثناء في الإيمان باعتبار الموافاة ، أما أهل السنة والجماعة

---

(١) انظر : التوحيد للماتريدي ( ٣٨٨ ) ، بحر الكلام لابي معين النسفي ( ٤٠ ) ٠

(٢) البداية من الكفاية ( ١٥٥ ) ، النبراس شرح العقائد ( ٤٢٠ ) ٠

(٣) تحفة القاري ( ٥٢ ) ٠

فالإيمان عندهم قول وعمل واعتقاد ، فاستثناؤهم باعتبار الأعمال والبعد عن تزكية النفس وغير ذلك من المآخذ المتقدمة [(١)] .

قال الإمام الآجري رحمه الله مبينا ذلك :

(( هذا طريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، عندهم أن الاستثناء في الأعمال لا يكون في القول والتصديق في القلب )) [(٢)] .

ومع هذا فقد رد الأشاعرة على اعترضهم هذا [(٣)] .

**ثانيا** : الرد على دعواهم أن الاستثناء فيه إيهام الشك ، والجواب أن يقال : لقد بين السلف الصالح رضوان الله عليهم مآخذهم في الاستثناء في الإيمان وأن الاستثناء لا يقتضي الشك وأنه يجوز الاستثناء في الأمور المتيقنة ، ثم إن استثناء السلف رضوان الله عليهم عائد إلى الأعمال وليس إلى أصل الإيمان .

فقد أخرج البيهقي بسنده عن تمام بن نجيح[(٤)] قال : سأل رجل الحسن البصري عن الإيمان فقال : (( الإيمان إيمانان ، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن ، وإن كنت تسألني عن قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

---

(١) انظر صـ( ٢٠٣ ) .

(٢) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٥٦ – ٦٥٧ ) .

(٣) انظر : النبراس شرح العقائد ( ٤٢٠ – ٤٢١ ) .

(٤) هو : تمام بن نجيح الأسدي الدمشقي نزيل حلب روى عن الحسن البصري وعطاء وعمر بن عبد العزيز وغيرهم وعنه بشر بن إسماعيل وبقية وإسماعيل بن عياش وغيرهم ، قال البخاري : فيه نظر ، وضعفه الحافظ في التقريب . انظر : التهذيب ( ١ / ٢٥٢ ) ، التقريب ( ١٨١ ) .

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[١] فوالله ما أدري أنا منهم أو لا )) [٢] .

قال الإمام البيهقي رحمه الله معلقا : (( فلم يتوقف الحسن في أصل إيمانه في الحال وإنما توقف في كماله الذي وعد الله ﷻ لأهل الجنة بقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٣] )) [٤] .

وقال الإمام العمراني رحمه الله :

(( ولا خلاف بين السلف أن الاستثناء في الإيمان على جهة الشك في التوحيد لا يجوز )) [٥] .

وقال الإمام البغوي رحمه الله :

(( ويجوز أن يقول : أنا مؤمن إن شاء الله لا على معنى الشك في إيمانه واعتقاده من حيث علمه بنفسه فإنه على يقين وبصيرة ، بل على معنى الخوف من سوء العاقبة وخفاء علم الله تعالى فيه عليه )) [٦] .

---

(١) سورة الأنفال الآية : ( ٢ – ٤ ) .

(٢)الاعتقاد للبيهقي ( ٢٣٤ ) .

(٣) سورة الأنفال الآية : ( ٤ ) .

(٤) الاعتقاد ( ٢٣٤ ) .

(٥) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٧٨٠ ) .

(٦) شرح السنة للبغوي ( ١ / ٤١ ) .

# الباب الرابع

## جهود علماء الشافعية في تقرير مسألة الأسماء و الأحكام و الرد على المخالفين

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : جهود علماء الشافعية في تقرير اسم و حكم مرتكب الكبيرة

الفصل الثاني : جهود علماء الشافعية في الرد على المخالفين في مسمى مرتكب الكبيرة

الفصل الثالث : جهود علماء الشافعية في الرد على المخالفين في حكم مرتكب الكبيرة

الفصل الرابع : جهود علماء الشافعية في تقرير مسألة التكفير

# الفصل الأول

## جهود علماء الشافعية في تقرير اسم و حكم مرتكب الكبيرة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريفهم الكبيرة

المبحث الثاني : تقرير علماء الشافعية أسم و حكم مرتكب الكبيرة

المبحث الثالث : أدلتهم في اسم و حكم مرتكب الكبيرة

**المبحث الأول : تعريفهم للكبيرة .**

لقد اختلف علماء الأمة ومنهم علماء الشافعية رحمهم الله تعالى في تعريفهم للكبيرة وبيان حدها وضابطها على عدة أقوال وقد اعتنى علماء الشافعية رحمهم الله ببيانها والترجيح بينها ، وأشهر هذه الأقوال :

أولا : كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة .

ثانيا : ما أوعد الله عليه حدا في الدنيا .

ثالثا : كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب .

رابعا : كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف وحذار ندم .

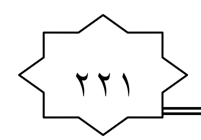
خامسا : ما سماه الله كبيرا أو عظيما .

وقيل غير ذلك [(١)] .

وإذا نظرنا إلى أقوال الأئمة رحمهم الله في تعريفهم للكبيرة وبيان حدها لا نرى بينها كبير اختلاف بل هي متقاربة ، وذلك لأن كل إمام نظر في تعريفه للكبيرة من زاوية معينة .

---

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي( ٢ / ٢٠٢ – ٢٠٤ )، فتاوى ابن الصلاح( ١ / ١٤٧ – ١٤٩ ) ، شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ٢٧٠ – ٢٧٢ ) ، مجموع الفتاوى لابن تيمية ( ١١ / ٤٩٧ – ٤٩٩ ) ، مدارج السالكين لابن القيم ( ١ / ٣٤٧ – ٣٥٣ ) ، تفسير ابن كثير ( ١ / ٦٣٣ – ٦٣٧ ) ، الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي ( ١ / ٥ – ١٠ ) .




قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (( وأما الكبائر فاختلف السلف فيها اختلافا لا يرجع إلى تباين وتضاد وأقوالهم متقاربة )) [(١)] .

والذي اختاره الإمام ابن الصلاح رحمه الله ورجحه هو : (( كل ذنب كبر وعظم عظما يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبير ، ووصف بكونه عظيما على الإطلاق ، فهذا حد الكبيرة ، ثم لها أمارات ، منها : إيجاب الحد ، ومنها : الإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب والسنة ، ومنها : وصف فاعلها بالفسق نصا ، ومنها : اللعن ، كلعن الله سبحانه وتعالى من غير منار الأرض )) [(٢)] .

والذي رجحه الحافظ ابن حجر رحمه الله هو : (( إن كل ما توعد عليه باللعن أو العذاب أو شرع فيه حد فهو كبيرة وهو المعتمد )) [(٣)] .

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ( ١ / ٣٤٧ ) .

(٢) فتاوى ابن الصلاح ( ١ / ١٤٧ – ١٤٩ ) .

(٣) فتح الباري لابن حجر ( ١٢ / ١٨١ ) .

**المبحث الثاني : تقرير علماء الشافعية اسم وحكم مرتكب الكبيرة ٠**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تقريرهم اسم مرتكب الكبيرة ٠

لقد قرر علماء الشافعية رحمهم الله تعالى معتقد السلف الصالح رضوان الله عليهم في اسم مرتكب الكبيرة وهو أنه مؤمن ناقص الإيمان لا يكفر بارتكابه للكبائر ٠

يقول الإمام المزني رحمه الله :

(( ولا يخرجون بالذنوب من الإيمان ، ولا يكفرون بركوب كبيرة ولا عصيان )) [١] ٠

ويقول الإمام المروزي رحمه الله عند شرحه لحديث (( إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة )) [٢] :

(( فثبت بما ذكرنا أن المصر على ما دون الشرك حتى يموت مؤمن غير كافر ولا مشرك ، وهو بين خوف ورجاء ، يخاف أن يعاقبه الله على معصيته إياه بما استحق من العقوبة ، ونرجو أن يتفضل الله عليه ، فيعفو عنه ويغفر له ذنبه )) [٣] ٠

---

(١)شرح السنة للمزني ( ٧٨ )٠

(٢) أخرجه البخاري كتاب الجهاد ، باب : إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، رقم ( ٣٠٦٢ ) ، ( ٢ / ٣٧٦ — ٣٧٧ ) ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب : غلظ تحريم قتل الإنسان نفسة ، رقم ( ١١١ ) ، ( ١ / ١٠٥ ) ٠

(٣) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٤٠٦ ) ٠

لقد أطلق الإمام المروزي وغيره من الأئمة رحمهم الله تعالى اسم الإيمان على مرتكب الكبيرة ولا يعنون بذلك أنه أتى بالإيمان الكامل الذي هو اسم ثناء وتزكية ، وإنما أرادوا أنه مؤمن ناقص الإيمان .

قال الإمام المروزي رحمه الله مبينا ذلك :

(( والذي عندنا أن المعاصي لا تزيل الإيمان ، ولا توجب الكفر ، ولكنها تنفي حقائق الإيمان الذي نعت الله تبارك وتعالى بها أهله )) (١) .

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله :

(( أنهم مؤمنون بالله ورسوله ، ولا نقول : هم مؤمنون بالإطلاق ...ونقول : هم مسلمون بالإطلاق ، لأن الإسلام اسم للخضوع والإذعان ، فكل مذعن لحكم الإسلام ممن وحد الله وصدق رسوله ﷺ بما جاء به من عنده فهو مسلم .

ونقول : هم مسلمون فسقة عصاة لله ورسوله )) (٢) .

ويقول الإمام الأشعري رحمه الله في أثناء تقريره لمعتقد أهل الحديث الذي يدين الله عز وجل به :

(( ولا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب ارتكبه كنحو : الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر ، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر ))(٣) .

---

(١) تعظيم قدر الصلاة ( ٣٧٧ ) .

(٢) التبصير في معالم الدين للطبري ( ١٨٣ ) .

(٣) المقالات للأشعري ( ١ / ٣٤٧ ) .

ويقول الإمام الحليمي رحمه الله : (( فإذا قيل لمن آمن وصلى زاد إيمانه ، وجب أن يقال لمن آمن ووجبت عليه الصلاة فلم يصل : إنه ناقص الإيمان وإنه صار بتركها مع القدرة عليها فاسقا عاصيا )) (١)

ويقول الإمام ابن الصلاح رحمه الله عند شرحه لحديث (( لا يزني الزاني وهو مؤمن )) (٢) :

(( ويفيد : أن الفاسق لا يطلق عليه اسم المؤمن ، ويقال فيه :مؤمن ناقص الإيمان ، وذلك أن الأصل أن اسم الشيء إنما يطلق على الكامل منه ، والناقص منه يذكر به بقيد يشعر بنقصه ، وأيضا : فصفة المؤمن صفة مدح غالية لا تليق بالفاسق )) (٣) .

ويقول الإمام النووي رحمه الله بعد أن قرر أن أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون : (( بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان )) (٤) .

ويقول العلامة أحمد بن حجر آل بطامي رحمه الله :(( مذهب أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا : أن مرتكب الكبيرة أو المصر على الصغير ة لا يكون كافرا خارجا عن الإيمان ...

لكن وإن لم يكن كافرا فهو فاسق ، ويقال فيه : مؤمن ناقص الإيمان ... فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته )) (٥) .

---

(١) المنهاج للحليمي ( ١ / ٦٦ ) .
(٢) تقدم تخريجه صـ( ١٦٢ ) .
(٣) صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح ( ٢٢٦ ) .
(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ٢٣٠ ) .
(٥) العقائد السلفية لآل بوطامي ( ١ / ٤٣٥ ) .

من خلال ما تقدم من عرض أقوال علماء الشافعية في تقريرهم لمسمى مرتكب الكبيرة ظهر لنا اتفاقهم على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإسلام ، ولكن عباراتهم اختلفت في مسماه على ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول : يُسمى مسلما .

القول الثاني : يُسمى مؤمنا .

القول الثالث : يُسمى مؤمنا ناقص الإيمان .

وعند التأمل نجد هذه الأقوال ليس بينها كبير اختلاف ، وإنما هي من قبيل الخلاف اللفظي ، وذلك لأنهم اتفقوا على أن صاحب الكبيرة مسلم ، معه أصل الإيمان ، موصوف بنقص الإيمان ، إذا فكل صاحب قول من هذه الأقوال سمَّى صاحب الكبيرة باعتبار معنى قائم فيه .

فمن قال بأنه مسلم يقول : نفى رسول الله ﷺ الإيمان عن صاحب الكبيرة ، فننفيه كما نفاه عنه رسول الله ﷺ .

ومن قال بأنه مؤمن يقول : لا ننفي عنه الإيمان وقد سماه الشارع مؤمنا ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ﴾ (1) .

ومن قال بأنه مؤمن ناقص الإيمان : رأى أن صاحب الكبيرة اجتمع فيه إيمان ومعصية ، فقال : لا نعطيه اسم الإيمان المطلق ، ولا ننفي عنه أصل الإيمان .

إذا فالخلاف الحاصل هو أن كل واحد عمّم الاسم الذي ذهب إليه في كل الأحوال ، والصحيح أن النصوص التي أطلقت على صاحب الكبيرة أنه مؤمن فباعتبار ما معه من أصل الإيمان ، والنصوص التي نفت عنه الإيمان فباعتبار كماله .

---

(1) سورة الحجرات الآية : ( ٩ ) .

وما قرره علماء الشافعية رحمهم الله تعالى في مسمى مرتكب الكبيرة في الدنيا مطابق لما جاء عن أئمة السنة من غير الشافعية منهم :

الإمام الطحاوي [١] رحمه الله حيث يقول في وصف اعتقاد أهل السنة في مسمى مرتكب الكبيرة : (( ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب مالم يستحله ، ولا نقول : لا يضر مع الإيمان ذنب لِمن عمله )) [٢] .

ويقول الإمام ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله : (( وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة )) [٣] .

ويقول الإمام البربهاري [٤] رحمه الله : (( واعلم بأن الدنيا دار إيمان وإسلام ، وأمة محمد ﷺ فيها مؤمنون مسلمون في أحكامهم ومواريثهم وذبائحهم والصلاة عليهم ، ولا نشهد لأحد بحقيقة الإيمان حتى يأتي بجميع شرائع الإسلام ، فإن قصَّر في شيء من ذلك كان ناقص الإيمان حتى يتوب )) [٥] .

---

(١) هو : الإمام العلامة الحافظ الكبير محدث الديار المصرية وفقيهها أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري الطحاوي الحنفي صاحب التصانيف ، صنف اختلاف العلماء و الشروط و أحكام القرآن و معاني الآثار، مات سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة .انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/٢٧ ) .

(٢) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز ( ٢ / ٤٣٢ ) .

(٣) مقدمة ابن أبي زيد القيرواني ( ٦٠ ) .

(٤) هو : شيخ الحنابلة القدوة الإمام أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري الفقيه كان قوالا بالحق داعية إلى الأثر لا يخاف في الله لومة لائم ، قال ابن بطة سمعت البربهاري يقول المجالسة للمناصحة فتح باب الفائدة والمجالسة للمناظرة غلق باب الفائدة ، مات سنة ٣٢٨ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ( ١٥/ ٩٠ ) .

(٥) شرح السنة للبربهاري ( ٧٢ – ٧٣ ) .

المطلب الثاني : تقريرهم حكم مرتكب الكبيرة .

لقد قرر علماء الشافعية رحمهم الله تعالى مذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم في حكم مرتكب الكبيرة وهو أنه تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة بغير عذاب ، وإن شاء عذبه بالنار ولا يخلده فيها ثم يدخله الجنة برحمته سبحانه .

قال الإمام الشافعي رحمه الله في وصيته :

(( وجعل الآخرة دار قرار وجزاء بما عمل في الدنيا من خير أو شر إن لم يعفه جل ثناؤه )) [1] .

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله :

(( ولا ننزلهم جنة ولا نار ، ولكنا نقول كما قال الله تعالى ذكره : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [2] .

فنقول : هم في مشيئة الله تعالى ذكره إن شاء أن يعذبهم عذبهم وأدخلهم النار بذنوبهم وإن شاء عفا عنهم بفضله ورحمته فأدخلهم الجنة ، غير أنه إن أدخلهم النار فعاقبهم بها لم يخلدهم فيها ، ولكنه يعاقبهم فيها بقدر إجرامهم ، ثم يخرجهم بعد عقوبته إياهم بقدر ما استحقوا فيدخلهم الجنة )) [3] .

---

(١) كتاب الأم للشافعي ( ٤ / ١٢٢ ) ، وانظر : الاعتقاد للبيهقي ( ٢٤٤ ) .

(٢) سورة النساء الآية ( ٤٨ ) .

(٣) التبصير للطبري ( ١٨٣ – ١٨٤ ) .

ويقول إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله :

(( فكل مرتكب معصية زجر الله عنها ، فقد أغواه إبليس ، والله عز وجل قد يشاء غفران كل معصية يرتكبها المسلم دون الشرك ، وإن لم يتب منها ، لذاك أعلمنا في محكم تنزيله في قوله : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [١] )) [٢] .

وقال الإمام أبو عوانة الإسفرائيني رحمه الله :

(( في هذا الحديث [٣] دليل أن العاصي يستوجب بعصيانه النار إلا أن يلقى الله وهو تائب ، فإن لم يفعل فهو في مشيئة الله إن شاء غفر له و إن شاء عذبه )) [٤] .

ويقول الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله :

(( ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله سبحانه ينزلهم حيث شاء ، ويقولون : أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم )) [٥] .

---

(١) سورة النساء الآية : ( ٤٨ ) .

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة ( ٢ / ٨٣٤ ) .

(٣) يُشير إلى حديث معقل بن يسار ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (( ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة )) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب : استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار ، رقم (١٤٢) ، ( ١ / ١٢٥ ) .

(٤) مسند أبي عوانة ( ١ / ٤٠ ) .

(٥) المقالات للأشعري ( ١ / ٣٤٧ ) .

ويقول الإمام الإسماعيلي رحمه الله مقررا اعتقاد أهل السنة في هذه المسألة :
(( ويقولون : إن أحدا من أهل التوحيد ومن يصلي إلى قبلة المسلمين ، لو ارتكب ذنبا أو ذنوبا كثيرة ، صغائر أو كبائر ، مع الإقامة على التوحيد لله ، والإقرار بما التزمه وقَبِلَه عن الله فإنه لا يكفر به ، ويرجون له المغفرة ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (١) )) (٢) .

وقال الإمام الصابوني رحمه الله :
(( ويعتقد أهل السنة : أن المؤمن وإن أذنب ذنوبا كثيرة ، صغائر كانت أو كبائر ، فإنه لا يكفر بها ، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ، ومات على التوحيد والإخلاص ، فأمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما غير مبتلى بالنار ولا معاقب على مارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار ، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار ، وإذا عذبه لم يخلده فيها ، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار )) (٣) .

ويقول الإمام ابن الحداد رحمه الله :
(( وأهل الكبائر في مشيئة الله تعالى لا يقطع عليهم بالنار ولكن يخاف عليهم )) (٤) .

---

(١) سورة النساء الآية : ( ٤٨ ) .
(٢) اعتقاد أهل السنة للإسماعيلي ( ٤٤ ) .
(٣) عقيدة السلف للصابوني ( ٨٢ ) .
(٤) اجتماع الجيوش لابن القيم ( ١٧٧ ) .

وقال الإمام الأصبهاني رحمه الله :

(( فصل في بيان أن المسلمين لا يضرهم الذنوب إذا ماتوا عن توبة عنها من غير إصرار ، وإن ماتوا عن غير توبة فأمرهم إلى الله عز وجل إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم )) [١] .

ويقول الإمام العمراني رحمه الله :

((ومذهب أهل السنة أن الموحدين لا يكفرون بفعل شيء من المعاصي الصغائر والكبائر ، وإذا عملوا الكبائر وتابوا لم تضرهم ، وإن ماتوا قبل التوبة منها فأمرهم إلى الله إن شاء عذبهم عليها وإن شاء غفر لهم )) [٢] .

لقد تضمنت النصوص السابقة عن أئمة الشافعية رحمهم الله تعالى تقرير عقيدة السلف الصالح رضي الله عنهم في حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة وتتلخص في النقاط التالية :

**أولا** : أن صاحب الكبيرة يوم القيامة تحت مشيئة الله ، إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له .

**ثانيا** : أن صاحب الكبيرة إن أدخله الله النار فإنه لا يخلد فيها .

**ثالثا** : أن صاحب الكبيرة مآله إلى الجنة بعد استيفاء عقوبته .

---

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ( ٢ / ٢٩١ ) .

(٢) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٦٦٦ ) .

وقد تطابق ما قرره علماء الشافعية رحمهم الله تعالى مع أقوال أئمة السنة في حكم صاحب الكبيرة في الآخرة ، ومن أقوال أئمة السنة المقررة لذلك :

قول إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله :

(( ومن لقيه مصرا غير تائب من الذنوب التي استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له )) [(١)] .

ويقول الإمام الطحاوي رحمه الله :

(( وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون ، إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين ، بعد أن لقوا الله عارفين ، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر عز وجل في كتابه : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [(٢)] وإن شاء عذبهم في النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته ، وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ثم يبعثهم إلى جنته ، وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته ، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته ، الذين خابوا من هدايته ، ولم ينالوا من ولايته ، اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به )) [(٣)] .

---

(١) أصول السنة للإمام أحمد ( ٥٢ ) .

(٢) سورة النساء الآية ( ٤٨ ) .

(٣) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز ( ٢ / ٥٢٤ ) .

**المبحث الثالث : أدلتهم في اسم وحكم مرتكب الكبيرة .**

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأدلة من القرآن في اسم وحكم مرتكب الكبيرة .

لقد استدل علماء الشافعية رحمهم الله تعالى بآيات عديدة تدل على أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ، وأنه في الآخرة تحت مشيئة الله عز وجل إن شاء غفر له وأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه بالنار ثم يخرجه ويدخله الجنة برحمته سبحانه .

ومن هذه الآيات قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [1] .

قال الإمام المروزي رحمه الله في تفسير الآية :

(( وأخبر أنه يغفر ما دون الشرك لمن يشاء ، يعني لمن أتى ما دون الشرك ، فلقي الله غير تائب منه ... ولا جائز أن يغفر له ويدخله الجنة إلا وهو مؤمن ، كذلك أخبر المصطفى رسول رب العلمين ﷺ أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن [2] )) [3] .

ويقول إمام أهل التفسير الإمام الطبري رحمه الله في بيان دلالة الآية على معتقد أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة :

(( وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه عليه ، ما لم تكن كبيرته شركا بالله )) [4] .

---

(١) سورة النساء الآية ( ٤٨ ) .

(٢) يشير إلى قوله ﷺ : (( إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة )) وقد تقدم تخريجه صـ( ٢٢١ ).

(٣) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٤٠٢ ) .

(٤) تفسير الطبري ( ٧ / ١٢٣ ) .

ويقول الإمام البيهقي رحمه الله :

(( باب القول في مرتكبي الكبائر ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ (١) يعني : ما دون الشرك لمن يشاء بلا عقوبة ، وقد يعاقب بعضهم على ما اقترف من الذنوب ، ثم يعفو عنه ويدخل الجنة بإيمانه لقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ (٣) )) (٤) .

ويقول الإمام العمراني رحمه الله بعد أن قرر اعتقاد أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة :

(( والدليل على صحة ما ذهبنا إليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ (٥) . ومعنى الآية : أن الله لا يغفر لمن يشرك به فيموت على الشرك ، ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء من أهل التوحيد )) (٦) .

---

(١) سورة النساء الآية : ( ٤٨ ) .

(٢) سورة الكهف الآية : ( ٣٠ ) .

(٣) سورة النساء الآية : ( ٤٠ ) .

(٤) الاعتقاد للبيهقي : ( ٢٣٧ ) .

(٥) سورة النساء الآية : ( ٤٨ ) .

(٦) الإنتصار للعمراني ( ٣ / ٦٦٩ ) .

ومن الآيات التي استدلوا بها قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ [(١)]

قال الإمام المروزي رحمه الله موضحا دلالة الآية على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان :

(( فأوجب بينهما القصاص باسم الإيمان ، والقصاص لا يجب إلا على من قتل متعمدا، ثم قال :﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [(٢)] فجعل القاتل أخا المقتول في الإيمان ، فدل على أهما جميعا مؤمنان في الاسم والحكم )) [(٣)] .

وقال الإمام البغوي رحمه الله :

(( وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافرا بالقتل ، لأن الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الإيمان فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ ﴾ [(٤)] وقال في آخر الآية :﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ ﴾ [(٥)] وأراد به أخوة الإيمان ، فلم يقطع الأخوة بينهما بالقتل )) [(٦)] .

---

(١) سورة البقرة الآية : ( ١٧٨ ) .

(٢) سورة البقرة الآية : ( ١٧٨ ) .

(٣) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٣٥٨ ) .

(٤) سورة البقرة الآية : ( ١٧٨ ) .

(٥) سورة البقرة الآية : ( ١٧٨ ) .

(٦) معالم التنزيل للبغوي ( ١ / ١٩١ ) .

وقال تعـــالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [١]

قال الإمام الشافعي رحمه الله :

(( وأمر الله عز وجل بقتال الفئة الباغية وهي مسماة باسم الإيمان حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت لم يكن لأحد قتالها لأن الله عز وجل إنما أذن في قتالها في مدة الامتنـــاع بالبغي إلى أن تفيء )) [٢]

ومن خلال هذا النص يظهر لنا جليا موقف الإمام الشافعي رحمه الله من مرتكـــب الكبيرة وهو : عدم تكفيره والحكم له بالإيمان .

ويقول الإمام البغوي رحمه الله :

(( وفي هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان ، لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين )) [٣] .

---

(١) سورة الحجرات الآية : ( ٩ – ١٠ ) .

(٢) كتاب الأم للشافعي ( ٤ / ٢١٤ ) .

(٣) معالم التنزيل للبغوي ( ٧ / ٣٤١ ) ، وانظر : تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٣٥٤ ) .

المطلب الثاني : الأدلة من السنة في اسم وحكم مرتكب الكبيرة ٠

لقد استدل علماء الشافعية رحمهم الله تعالى بأحاديث كثيرة تدل على معتقد السلف الصالح رضوان الله عليهم في مرتكب الكبيرة ومن هذه الأحاديث :

عن عبادة بن الصامت[1] ﷺ أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه : (( بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله : إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه )) فبايعناه على ذلك [2] ٠

قال الإمام المروزي رحمه الله :

(( ففي هذا الحديث دلالتان على أن السارق والزاني ، ومن ذكر في هذا الحديث غير خارجين من الإيمان ٠

أحدهما : قوله : (( فمن أصاب من ذلك شيئا ، فعوقب في الدنيا ، فهو كفارة له )) ، والحدود لا تكون إلا كفارات للمؤمنين ، ألا ترى قوله : (( من ستر الله عليه ، فأمره إلى الله ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه )) فإذا غفر له أدخله الجنة ، ولا يدخل الجنة من البالغين المكلفين إلا مؤمن ٠

وقوله : (( إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه )) هو نظير قول الله تبارك وتعالى :

---

(١) هو : عُبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الوليد ، شهد العقبة الأولى والثانية ، وشهد بدر وأحد والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ،توفي سنة ٧٤ هـ ٠أسد الغابة (٣/٥٦-٥٧)٠

(٢) أخرجه البخاري كتاب الإيمان ، باب : ( ١١ ) ، رقم الحديث ( ١٨ ) ، ( ١ / ٢٢ ) ، ومسلم كتاب الحدود ، باب : الحدود كفارات لأهلها ، رقم (١٧٠٩) ، ( ٣ / ١٣٣٣ ) ٠

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ (١) .

...وأخبر أنه يغفر ما دون الشرك لمن يشاء ، يعني لمن أتى ما دون الشرك ، فلقي الله غير تائب منه ... ولا جائز أن يغفر له ويدخله الجنة إلا وهو مؤمن )) (٢) .

قال الإمام النووي رحمه الله عند ذكره للفوائد المستنبطة من الحديث :

(( ومنها الدلالة لمذهب أهل الحق ، أن المعاصي غير الكفر لا يقطع لصاحبها بالنار إذا مات ولم يتب منها ، بل هو في مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ، خلافا للخوارج والمعتزلة . فإن الخوارج يكفرون بالمعاصي ، والمعتزلة يقولون لا يكفر ولكن يخلد في النار )) (٣) .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

(( تضمن الرد على من يقول : إن مرتكب الكبيرة كافر أو مخلد في النار )) (٤) .

ويقول الإمام اللالكائي رحمه الله :

(( سياق ما روي عن النبي ﷺ في أن المسلمين لا تضرهم الذنوب التي هي الكبائر إذا ماتوا عن توبة من غير اصرار ولا يوجب التكفير ، وإن ماتوا عن غير توبة فأمرهم إلى الله عز وجل إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم )) (٥) .

---

(١) سورة النساء الآية : ( ٤٨ ) .

(٢) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٤٠١ – ٤٠٢ ) .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ( ٦ / ٢٢١ ) .

(٤) فتح الباري لابن حجر ( ١ / ٨٢ ) .

(٥) شرح اعتقاد أصول أهل السنة للالكائي ( ٣ / ١١٢٩ ) .

ثم أورد رحمه الله تحته عدة أحاديث منها :

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (( ليجيئن ناس من أمتي بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى )) [(١)] .

وعن أبي ذر ﷺ قال : أتيت النبي ﷺ ... فجلست إليه فقال : (( ما من عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة )) قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : (( وإن زنى وإن سرق )) الحديث [(٢)] .

قال الإمام النووي رحمه الله :

(( وأما قوله ﷺ (( وإن زنى وإن سرق )) فهو حجة لمذهب أهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار ، وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة )) [(٣)] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

(( وأما من تلبس بالذنوب المذكورة ومات من غير توبة فظاهر الحديث أنه أيضا داخل في ذلك ، لكن مذهب أهل السنة أنه في مشيئة الله تعالى ، ويدل عليه حديث عبادة بن الصامت الماضي في كتاب الإيمان فإن فيه (( ومن أتى شيئا من ذلك فلم يعاقب به

---

(١) أخرجه مسلم كتاب التوبة ، باب : قبول توبة القاتل ، رقم (٢٧٦٧) ، ( ٤ / ٢١١٩ ) . انظر : الأحاديث والآثار التي استدل بها الإمام اللالكائي ( ٣ / ١١٢٩ – ١١٥٥ ) . وانظر أيضا : الاعتقاد للبيهقي ( ٢٣٧ – ٢٤٦ ) .

(٢) أخرجه البخاري كتاب اللباس ، باب : الثياب البيض ، رقم ( ٥٨٢٧ ) ، ( ٤ / ٦١ ) ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، رقم (٩٤) ، ( ١ / ٩٤ ) .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ٢٨٢ ) ، وانظر : فتح الباري لابن حجر ( ١٠ / ٢٩٥ )

فأمره إلى الله تعالى إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه )) وهذا المفسر مقدم على المبهم ، وكل منهما يرد على المبتدعة من الخوارج ومن المعتزلة الذين يدعون وجوب خلود من مات من مرتكبي الكبائر من غير توبة في النار ، أعاذنا الله من ذلك بمنه وكرمه )) (١) .

ولقد بوب الإمام ابن حبان رحمه الله باب فقال :

(( ذكر البيان بأن الله جل وعلا بتفضله قد يغفر لمن أحب من عباده ذنوبه بشهادته له ولرسوله ﷺ وإن لم يكن له فضل حسنات يرجو بها تكفير خطاياه )) (٢) .

ثم ساق تحته حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (( إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا ، كل سجل مد البصر ، ثم يقول له : أتنكر شيئا من هذا ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : أفلك عذر أو حسنة ؟ فيبهت الرجل ،ويقول : لا يا رب ، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فيقول : احضر وزنك ، فيقول : يا رب ، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تظلم ،قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، قال : فلا يَثْقُلُ اسم الله شيء )) (٣) .

---

(١) فتح الباري لابن حجر ( ١٠ / ٢٩٥ ) .

(٢) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ( ١ / ٢٢٤ ) .

(٣) سنن الترمذي كتاب الإيمان ، باب : ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، رقم ( ٢٦٣٩ ) ، صـ( ٥٩٥ ) ، وقال الألباني حديث صحيح انظر : سنن الترمذي رقم ( ٢٦٣٩ ) .

وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال : (( قال الله تبارك وتعالى : يا ابن آدم لو لقيتني بمثل الأرض خطايا لا تشرك بي شيئا لقيتك بملء الأرض مغفرة )) [(١)] .

لقد بوب الإمام ابن حبان رحمه الله على هذا الحديث بقوله : (( ذكر الأخبار بأن الله قد يغفر بتفضله لمن لم يشرك به شيئا جميع الذنوب التي كانت بينه وبينه )) [(٢)] .

وعن جابر [(٣)] ﷺ قال : أتى النبي ﷺ رجل فقال : يا رسول الله ! ما الموجبتان ؟ فقال : (( من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار )) [(٤)] .

قال الإمام النووي رحمه الله :

(( وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فمقطوع له به ، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخل الجنة أولا ، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرا عليها فهو تحت المشيئة ، فإن عفي عنه دخل أولا ، وإلا عذب ثم أخرج من النار وخلد في الجنة ، والله أعلم )) [(٥)] .

---

(١) سنن الترمذي كتاب الدعوات ، باب : في فضل التوبة ، رقم الحديث ( ٣٥٤٠ ) ، ص( ٨٠٤ ) ، وقال الألباني حديث صحيح انظر : سنن الترمذي رقم ( ٣٥٤٠ ) .

(٢) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ( ١ / ٢٢٥ ) .

(٣) هو : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، يكنى أبا عبد الله ،كان من المكثرين في الحديث الحافظين للسنن ، توفي ٧٤ وقيل : ٧٧ هـ . أسد الغابة ( ١ / ٣٠٧ ) .

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب : من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، رقم (٩٣) ، ( ١ / ٩٤ ) .

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ٢٨١ – ٢٨٢ ) .

المطلب الثالث : نقلهم لإجماع السلف في اسم وحكم مرتكب الكبيرة .

قال الإمام الأشعري رحمه الله :

(( وأجمعوا على أن المؤمن بالله تعالى وسائر ما دعاه النبي ﷺ إلى الإيمان به لا يخرجه عنه شيء من المعاصي ، ولا يحبط إيمانه إلا الكفر ، وأن العصاة من أهل القبلة مأمورون بسائر الشرائع غير خارجين عن الإيمان بمعاصيهم )) (١) .

وقال الإمام البيهقي رحمه الله بعد أن قرر حكم مرتكب الكبيرة وساق الأدلة على ذلك :

(( وعلى هذا درج من مضى من الصحابة و التابعين وأتباعهم من أهل السنة )) (٢) .

وقد نقل الإمام البغوي رحمه الله اتفاق أهل السنة على :

(( أن المؤمن لا يخرج من الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد أباحتها ، وإذا عمل شيئا منها فمات قبل التوبة لا يخلد في النار ، كما جاء به الحديث ، بل هو إلى الله إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه ، ثم أدخله الجنة برحمته )) (٣) .

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر للأشعري ( ٢٧٤ ) .

(٢) الاعتقاد للبيهقي ( ٢٤٤ ) .

(٣) شرح السنة للبغوي ( ١ / ١١٧ ) .

وقد نقل الإمام النووي رحمه الله إجماع أهل الحق في اسم وحكم مرتكب الكبيرة حيث يقول بعد أن ساق الأدلة من الكتاب والسنة :

(( مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك ، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان ، إن تابوا سقطت عقوبتهم ، وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في مشيئة الله ، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولا ، وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة )) [1] .

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ٢٣٠ ) .

# الفصل الثاني

## جهود علماء الشافعية في الرد على المخالفين في مسمى مرتكب الكبيرة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الرد على من قال إن مرتكب الكبيرة كافر

المبحث الثاني : الرد على من قال إن مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلتين

المبحث الثالث : الرد على من قال إن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان

**المبحث الأول : الرد على من قال إن مرتكب الكبيرة كافر .**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أصحاب هذه المقالة وأدلتهم .

أصحاب هذه المقالة هم الخوارج ، وقد اتفقت سائر فرق الخوارج علـــى تكفـــير مرتكب الكبيرة إلا فرقة واحدة وهي : النجدات .

قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله :

(( وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات ، فإنها لا تقول بذلك )) [١] .

والنجدات تقول : أن الفاسق كافر ، على معنى كفر النعمة ، لا الكفر الأكبر [٢] .

وقيل : إنهم لا يكفرون أهل الكبائر منهم ، ويكفرون من أذنب من غيرهم [٣] .

وقال الإمام الملطي رحمه الله : (( والشراة [٤] كلهم يكفرون أصحاب المعاصـــي ، ومن خالفهم في مذهبهم ، مع اختلاف أقاويلهم ومذهبهم )) [٥] .

---

(١) مقالات الإسلاميين ( ١ / ١٦٨ ) .

(٢) التبصير للإسفراييني ( ٤٥ ) .

(٣) البرهان للسكسكي ( ١٩ ) .

(٤) الشراة من ألقاب الخوارج ، قال السكسكي في البرهان في بيان سبب التسمية بذلك : (( قالوا : اشترينا أنفسنا من الله تعالى فسموا لذلك شراة )) البرهان ( ١٨ ) ، وفيه إشارة إلى قولـــه تعـــالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ سورة البقرة الآية ( ٢٠٧ ) .

(٥) التنبيه والرد للملطي ( ٦٣ ) .

ولقد استدل الخوارج بأدلة من الكتاب والسنة لنصرة مذهبهم الباطل في تكفير أصحاب الكبائر من الموحدين ، ومن هذه الأدلة :

قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (١) .

ومن الأدلة التي استدلوا بها ما ذكره الإمام الملطي رحمه الله في معرض رده عليهم حيث قال :

(( ويقال لهم في تكفير الناس لم كفرتم من أقر بالله ورسوله ودينه ثم أتى كبيرة فإن قالوا قياسا على قول الله ﷻ: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾ (٢) ثم قال ﷻ : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٣) وقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ (٤)

فلم يجعل الله بين الكفر والإيمان منزلة ثالثة ومن كفر وحبط عمله فهو مشرك والإيمان رأس الأعمال وأول الفرائض في عمل ومن ترك ما أمره الله به فقد حبط عمله وإيمانه ومن حبط عمله فهو بلا إيمان والذي لا إيمان له مشرك كافر )) (٥) .

وسيأتي جوابه رحمه الله عليهم في المطلب الثاني .

---

(١) سورة المائدة الآية : ( ٤٤ ) .

(٢) سورة المائدة الآية : ( ٥ ) .

(٣) سورة الإنسان الآية : ( ٣ ) .

(٤) سورة التغابن الآية : ( ٢ ) .

(٥) التنبه والرد للملطي ( ٦٤ ) .

ومنها عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، والتوبة معروضة بعد )) [(١)] .

وكل الأحاديث التي جاء فيها نفي الإيمان عمن ترك واجبا أو ارتكبا محرما .

واستدلوا أيضا بالأحاديث التي جاء فيها إطلاق لفظ الكفر على بعض المعاصي ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : (( سباب المسلم فسوق وقتاله كفر )) [(٢)] ، وقوله : (( لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض )) [(٣)] ، وما جاء في معناهما من الأحاديث .

---

(١) تقدم تخريجه صـ( ١٦٢ ) .

(٢) تقدم تخريجه صـ( ٨٠ ).

(٣) أخرجه البخاري كتاب العلم ، باب : الإنصات للعلماء ، رقم ( ١٢١ ) ، ( ١ / ١٢١ ) . ومسلم كتاب الإيمان ، باب : بيان معنى قول النبي ﷺ : (( لا ترجعوا بعدي كفارا... )) ، رقم (٦٥) ، ( ١ / ٨١ ).

المطلب الثاني : الرد عليهم .

والجواب على استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [١] .

يقول الإمام الطبري رحمه الله في بيان المراد بالآية :

(( وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال : نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات ففيهم نزلت وهم المعنيون بها وهذه الآيات سياق الخبر عنهم فكونها خبرا عنهم أولى

فإن قال قائل : فإن الله تعالى ذكره قد عم بالخبر بذلك عن جميع من لم يحكم بما أنزل الله فكيف جعلته خاصا ؟

قيل : إن الله تعالى عم بالخبر بذلك عن قوم كانوا بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكم على سبيل ما تركوه كافرون **وكذلك القول في كل من لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به هو بالله كافر** كما قال ابن عباس لأنه بجحوده حكم الله بعد علمه أنه أنزله في كتابه نظير جحوده نبوة نبيه بعد علمه أنه نبي )) [٢] .

وقال الإمام أبو المظفر السمعاني رحمه الله : (( واعلم أن الخوارج يستدلون بهذه الآية ويقولون : من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر .

وأهل السنة قالوا : لا يكفر بترك الحكم .

[ثم بين رحمه الله وجه تفسير الآية عند السلف فقال ] : (( البراء بن عازب وهو قول الحسن الآية في المشركين ، وقال ابن عباس الآية في المسلمين وأراد به كفرا دون كفر .

(١) سورة المائدة الآية : ( ٤٤ ) .

(٢) تفسير الطبري ( ٨ / ٤٦٨ ) .

وللآية تأويلان آخران :

أحدهما : معناه ومن لم يحكم بما أنزل الله ردا وجحدا فأولئك هم الكافرون

الثاني : معناه ومن لم يحكم بكل ما أنزل الله فأولئك هم الكافرون

والكافر هو الذي يترك الحكم بكل ما أنزل الله دون المسلم )) (١) .

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله :

(( ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (٢) لأنهم جحدوا حكم الله قصدا منهم وعنادا وعمدا وقال هاهنا ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (٣) لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم في الأمر الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه فخالفوا وظلموا وتعدوا على بعضهم بعضا )) (٤) .

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله :

(( إن الآيات وإن كان سببها أهل الكتاب لكن عمومها يتناول غيرهم لكن لما تقرر من قواعد الشريعة أن مرتكب المعصية لا يسمى كافرا ولا يسمى أيضا ظالما لأن الظلم قد فسر بالشرك بقيت الصفة الثالثة )) (٥) .

---

(١) تفسير السمعاني ( ٢ / ٤٢ ) .

(٢) سورة المائدة الآية : ( ٤٤ ) .

(٣) سورة المائدة الآية : ( ٤٥ ) .

(٤) تفيسر ابن كثير ( ٢ / ٨٦ ) .

(٥) فتح الباري لابن حجر ( ١٣ / ١٢٩ ) .

وهذا الذي قرره الأئمة هنا في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله وأنه من قبيل الكفر الأصغر هو في حق من حكم بغير ما أنزل الله اتباعا للهوى أو رشوة وهو يعلم أنه عاص لله بذلك ، وأما المستحل الحكم بغير ما أنزل الله ، أو اعتقد أن حكمه مساو لحكم الله أو أفضل منه ، فهذا كفر مخرج من الملة [(١)] .

وأما زعمهم بأن الله عز وجل لم يجعل لأصحاب الكبائر منزلة بين الكفر والإيمان ، فيقول الإمام الملطي رحمه الله في الرد عليهم :

(( يقال لهم أخطأتم القياس وتركتم طريق العلم وذلك أن الله عز وجل بين في كتابه المحكم أن الفاسق له منزلة بين الإيمان والكفر بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [(٢)] ولم يقل إنهم مع فسقهم مؤمنون كما قالت المرجئة ولا قال إنهم مع فسقهم كفار كما قلتم أنتم وأثبت لهم اسم الفسق فقط فهم فساق لا مؤمنون [(٣)] ولا كافرون كما قال الله عز وجل وأجمعت عليه الأمة والأمة مجمعة على اسم الفسق لأهل الكبائر وإنما هو اسم ومنزلة بين الكفر والإيمان أجمعت الأمة على ذلك )) [(٤)] .

---

(١) انظر : منهاج السنة لابن تيمية ( ٥ / ١٣٠ – ١٣١ ) ، مدارج السالكين لابن القيم ( ١ / ٣٦٥ ) ، تفسير السعدي ( ٢٣٣ ) ، مجموع فتاوى ابن باز ( ٣ / ٩٩٠ – ٩٩١ ) ، فتاوى اللجنة الدائمة ( ١ / ٧٨٠ ) .

(٢) سورة النور الآية : ( ٤ ) .

(٣) يعني الإيمان الكامل

(٤) التنبيه والرد للملطي ( ٦٤ ) .

وأما استدلالهم بقوله ﷺ : (( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، والتوبة معروضة بعد )) [1] ، وما جاء في معناه من الأحاديث .

قال الإمام محمد بن نصر المروزي رحمه الله مبينا معنى النفي الوارد في الحديث وما جاء في معناه من الأحاديث ، ورادا على استدلال الخوارج به على تكفير أصحاب الكبائر من الموحدين :

(( فالذي صح عندنا في معنى قول النبي ﷺ : (( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن )) وما روي عنه من الأخبار مما يشبه هذا أن معنى ذلك كله : أن من فعل تلك الأفعال لا يكون مؤمنا مستكمل الإيمان ، لأنه قد ترك بعض الإيمان ، نفى عنه الإيمان ، يريد به الإيمان الكامل ...

والذي عندنا أن المعاصي لا تزيل الإيمان ، ولا توجب الكفر ، ولكنها تنفي حقائق الإيمان الذي نعت الله تبارك وتعالى بها أهله في مواضع من كتابه ... )) [2] .

وقد بوب الإمام ابن حبان رحمه الله تعالى على هذا الحديث بقوله : (( ذكر خبر ثان يُصرح بإطلاق لفظة مرادها نفي الاسم عن الشيء للنقص عن الكمال لا الحكم على الظاهر )) [3] .

---

(١) تقدم تخريجه صـ( ١٦٢ ) .

(٢) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٣٧٦ – ٣٧٧ ) .

(٣) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ( ١ / ٢٠٥ ) .

وقال الإمام الخطابي رحمه الله : (( الخوارج ومن يذهب مذهبهم ممن يكفر المسلمين بالذنوب يحتجون به ويتأولونه على غير وجهه .

وتأويله عند العلماء على وجهين :

أحدهما : أن معناه النهي ، وإن كانت صورته صورة الخبر ، يريد : لا يزنِ الزاني – بحذف الياء – ولا يسرقِ السارق – بكسر القاف – على معنى النهي .

يقول : إذ هو مؤمن لا يزني ولا يسرق ولا يشرب الخمر ، فإن هذه الأفعال لا تليق بالمؤمنين ولا تشبه أوصافهم [(١)] .

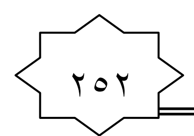
والوجه الآخر : إن هذا الكلام وعيد لا يراد به الإقاع ، وإنما يقصد به الردع والزجر كقوله : (( المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده )) [(٢)] ... هذا كله على معنى الزجر والوعيد أو نفي الفضيلة وسلب الكمال دون الحقيقة في رفع الإيمان وإبطاله ، والله أعلم )) [(٣)] .

---

(١) لقد استنكر الإمام المروزي رحمه الله هذا التأيل وذكر أنه من تأويلات المرجئة حيث قال :
(( وفرقة منهم كرهوا أن ينسبوا إلى مخالفة الآثار والتكذيب بها فأقروا بها وحرفوها فتأولوها على غير تأويلها فقالوا ليس قول النبي ﷺ : (( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن )) خبرا إنما هو نهي لا خبر فقالوا لا يزني أي لا يأتي الزنا وهو مؤمن على معنى النهي... تنزيها للإيمان وتعظميا للمؤمن أن يأتي بالزنا وهو مؤمن .
وهذا المذهب... إنما هو إنكار للخبر وتكذيب به والخبر إذا ثبت برواية أهل العدل والحفظ والإتقان لم يبطل بإنكار من أنكره وهذا خبر قد اشتهر واستفاض برواية العدول والحفاظ من علماء أهل الحجاز والعراق جميعا بألفاظ مفسرة لا يحتمل النهي لأن الخبر معقول والنهي معقول وأنت إذا قرأت الأخبار المروية في هذا الباب فهمتها وعلمت أنها خبر ولا يحتمل النهي )) تعظيم قدر الصلاة ( ٤١٩ – ٤٢٠ ) .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب : بيان تفاضل الإسلام ، رقم (٤١) ، ( ١ / ٦٥ ).

(٣) معالم السنن للخطابي بحاشية سنن أبي داود ( ٥ / ٤٥ ) .




وقال الإمام ابن الصلاح رحمه الله مبينا المراد بالنفي الوارد في الحديث :
(( المراد به : نفي كمال الإيمان عنه لا نفي أصل الإيمان ، وهو من الألفاظ النافية التي تطلق في اللغة على الشيء عند انتفاء معظمه مع وجود أصله ، ويراد بها نفي كماله لا نفي أصله ، ومن ذلك : (( لا عيش إلا عيش الآخرة )) [١] ... )) [٢] .

وقال الإمام النووي رحمه الله :
(( هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه ، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان ، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ، ويراد نفي كماله و مختاره ، كما يقال : لا علم إلا ما نفع ، ولا مال إلا الإبل ... )) [٣] .

---

(١) أخرجه البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب: دعاء النبي ﷺ :(( أصلح الأنصار والمهاجرة )) ، رقم ( ٣٧٩٥ ) ، ( ٣ / ٤١ ) ، ومسلم كتاب الجهاد ، باب : غزوة الأحزاب ، رقم (١٨٠٤) ، ( ٣ / ١٤٣١ ) .
(٢) صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح ( ٢٢٥ ) .
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ٢٣٠ ) .

وأما الجواب على استدلالهم بما جاء في بعض النصوص من إطلاق لفظ الكفر على بعض المعاصي مثل قوله ﷺ : (( سباب المسلم فسوق وقتاله كفر )) [(١)] .

قال الإمام النووي رحمه الله :

(( وأما قتاله بغير حق فلا يكفر به عند أهل الحق كفرا يخرج به من الملة ... إلا إذا استحله .

فإذا تقرر هذا فقيل في تأويل الحديث أقوال :

أحدها : أنه في المستحل

والثاني : أن المراد كفر الإحسان والنعمة وأخوة الإسلام لا كفر الجحود

والثالث : أنه يؤول إلى الكفر بشؤمه

والرابع : أنه كفعل الكفار ، والله أعلم )) [(٢)]

وأضاف – رحمه الله تعالى – وجها خامسا عند شرحه لقوله ﷺ : (( لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض )) [(٣)] حيث قال :

(( والخامس : المراد حقيقة الكفر ، ومعناه لا تكفروا بل دوموا مسلمين )) [(٤)]

وقد نقل عن الإمام الخطابي رحمه الله وغيره وجهين آخرين في تأويل الحديث حيث قال :

(( والسادس : حكاه الخطابي وغيره أن المراد بالكفار المتكفِّرون بالسلاح ، يقال : تكفَّر الرجل بسلاحه إذا لبسه ...

(١) تقدم تخريجه صـ( ٨٠ ) .

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ٢٤١- ٢٤٢ ) .

(٣) تقدم تخريجه صـ( ٢٤٥ ) .

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ٢٤٣ ) .

والسابع : قاله الخطابي[١] معناه لا يُكفِّر بعضكم بعضا فتستحلوا قتال بعضكم بعضا . وأظهر الأقوال الرابع )) [٢]

وقد أضاف الحافظ ابن حجر رحمه الله وجها آخر و رجحه في شرحه لحديث : (( سباب المسلم فسوق وقتاله كفر )) [٣] حيث قال :

(( ولا متمسك للخوارج فيه لأن ظاهره غير مراد لكن لما كان القتال أشد من السباب لأنه مفض إلى ازهاق الروح عبر عنه بلفظ أشد من لفظ الفسق وهو الكفر و لم يرد حقيقة الكفر التي هي الخروج عن الملة بل أطلق عليه الكفر **مبالغة في التحذير** معتمدا على ما تقرر من القواعد أن مثل ذلك لا يخرج عن الملة مثل حديث الشفاعة ومثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [٤] )) [٥] .

---

(١) القول الذي حكاه الإمام الخطابي رحمه الله في معالم السنن عند شرحه لهذا الحديث بخلاف ما نقله عنه الإمام النووي هنا ، والذي حكاه الإمام الخطابي هو بمعنى القول الرابع حيث قال : (( وقال بعضهم : معناه لا ترجعوا بعدي فرقا مختلفين يضرب بعضكم رقاب بعض ، فتكونوا بذلك مضاهين للكفار ، فإن الكفار معتادون يضرب بعضهم رقاب بعض ، والمسلمون متآخون يحقن بعضهم دماء بعض )) انظر : معالم السنن بحاشية سنن أبي داوود ( ٥ / ٤٤ ) ، وعلى هذا فيكون الإمام النووي رحمه الله إما وهم في نقله أو نقل عنه من موضع آخر والله أعلم .

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ( ١ / ٢٤٣ ) .

(٣) تقدم تخريجه صـ( ٨٠ ) .

(٤) سورة النساء الآية : ( ٤٨ ) .

(٥) فتح الباري لابن حجر ( ١ / ١٣٨ ) .

ومن أوجه الرد على الخوارج أنه يلزمهم القول بإسقاط الحدود عن أصحب الكبائر، ويبين هذا الوجه الإمام البغدادي رحمه الله حيث يقول :

(( ولو كان المذنبون كلهم كفرة لكانوا مرتدين عن الإسلام ، ولو كانوا كذلك لكان الواجب قتلهم دون إقامة الحدود عليهم ، ولم يكن لوجوب قطع يد السارق وجلد القاذف ورجم الزاني المحصن فائدة ، لأن المرتد ليس له حد إلا القتل )) (١) .

ومن أوجه الرد على الخوارج أيضا مخالفتهم لإجماع الصحابة ﷺ في عدم تكفيرهم لأصحاب الكبائر ، ويوضح هذا الوجه ويقرره الإمام المروزي رحمه الله حيث يقول :

(( ومن الدليل على ضلال الخوارج سوى ما ذكرنا مخالفتهم لجماعة أصحاب رسول الله ﷺ ، اقتتل المسلمون يوم الجمل ، ويوم صفين ، وأصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار متوافرون ، فقتل بينهم خلق كثير ، لم يشهد بعضهم على بعض بالكفر ، ولا استحل بعضهم مال بعض ، وقعد عن الفريقين جميعا جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فلم يشهد القاعدون عليهم بالكفر ، ولا شهد أولئك على هؤلاء بالكفر ، ولم يحجب أحد منهم عن أحد صلاته واستغفاره تأثما من ذلك ، ولا حرم أحد امرأة على زوجها بذنب أصابه (٢)، ..........................

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٧٣) .

(٢) من معتقد أهل السنة والجماعة عدم الخوض فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم ، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب ، قال الإمام الصابوني رحمه الله : (( ويرون الكفَّ عمَّا شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبا لهم ، ونقصا فيهم ، ويرون الترحم على جميعهم ، والموالاة لكافتهم )) عقيدة السلف للصابوني ( ١٠١ ) .

وظهر علي على أهل النهروان [١] ، و لم يحكم عليهم وفيهم بحكم الكفار ، بل حكم عليهم بأحكام المسلمين ، مع ما روي عن النبي ﷺ أنه

قال في الذي قتل نفسه : (( أما أنا فلا أصلي عليه )) [٢] مع أنه لم ينه الناس عن الصلاة عليه . وقال في الذي غلَّ من الغنائم: (( صلوا على صاحبكم )) [٣]

... فأمره بالصلاة عليه دليل على أنه ليس بكافر ، لأنه لا يجوز أن يأمر بالصلاة على كافر ، ففي جميع ما ذكرنا دليل على ضلالة الخوارج ، وغلوهم ، ومروقهم من الدين ، وبذلك وصفهم النبي ﷺ فقال : (( يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية )) [٤] )) [٥] .

---

(١) النهروان : هي ثلاث نهروانات الأعلى والأوسط والأسفل ، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، حدها الأعلى متصل ببغداد ، وفيها عدة بلاد متوسطة . انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٥ / ٣٢٤ ) .

(٢) أخرجه النسائي ، كتاب الجنائز ، باب : ترك الصلاة على من قتل نفسه ، رقم ( ١٩٦٤ ) ، صـ( ٣١٥ ) ، وصححه الألباني انظر : سنن النسائي رقم ( ١٩٦٤ ) .

(٣) أخرجه أبو داود كتاب الجهاد ، باب : في تعظيم الغلول ، رقم ( ٢٧١٠ ) ، ( ٣ / ١٠٧ ) ، والنسائي كتاب الجنائز ، باب : الصلاة على من غل ، رقم (١٩٥٩) ، صـ( ٣١٤ ) ، وضعفه الألباني انظر : سنن النسائي رقم ( ١٩٥٩ ) .

(٤) أخرجه البخاري كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام ، رقم (٣٦١٠ ) ، ( ٢ / ٥٣٠ – ٥٣١ ) ، ومسلم كتاب الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاهم ، رقم (١٠٦٤) ، ( ٢ / ٧٤١ ) .

(٥) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٤١٧ ، ٤١٩ ) .

**المبحث الثاني : الرد على من قال إن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين ٠**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أصحاب هذه المقالة وأدلتهم ٠

لقد ذهبت المعتزلة إلى أن مرتكب الكبيرة لا يسمى مؤمنا ولا كافرا ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ٠

يقول القاضي عبد الجبار[١] المعتزلي مبينا هذا الأصل عند المعتزلة : (( صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين ، وحكم بين الحكمين ، لا يكون اسمه اسم الكافر ، ولا اسمه اسم المؤمن ، وإنما يسمى فاسقا ، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر ، ولا حكم المؤمن ٠

بل ينفرد له حكم ثالث ، وهذا الحكم الذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين ، فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان ، فليست منزلته منزلة الكافر ، ولا منزلة المؤمن ، بل له منزلة بينهما )) [٢] ٠

وقال الإمام المروزي رحمه الله :

(( وأما المعتزلة والرافضة فقالوا كل من ارتكب كبيرة فهو خارج من الإيمان فليس بكافر ولا مؤمن ولكنه فاسق وقال بعضهم منافق )) [٣] ٠

---

(١) هو : القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار ، أبو الحسين ، إمام المعتزلة في وقته صنّف ( المغني في أبواب التوحيد والعدل ) و ( شرح الأصول الخمسة ) توفي سنة ٤١٥ هـ ٠ انظر : الأعلام ( ٣ / ٢٧٣ ) ٠

(٢) شرح الأصول الخمسة ( ٦٩٧ ) ٠

(٣) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٤٠٨ ) ٠

وقال لإمام الإسفرايني رحمه الله :

(( ومما اتفقوا عليه من فضائحهم : أن حال الفاسق الملي منزلة بين المنزلتين ، لا هو مؤمن ، ولا هو كافر )) [١] .

وقد استدلت المعتزلة في تقريرها لهذا الأصل الباطل بأدلة عقلية وأخرى شرعية منها :

قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ [٢]

وقوله سبحانه : ﴿ بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [٣]

واستدلوا بالأحاديث التي جاء فيها نفي الإيمان عمن ترك واجبا أو ارتكبا محرما .

كقوله ﷺ : (( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، والتوبة معروضة بعد )) [٤] .

ومنها ما قرره شيخ المعتزلة الأول واصل بن عطاء حيث يقول : (( إن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سُمِّي المرء مؤمنا وهو اسم مدح ، والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح فلا يسمى مؤمنا وليس هو بكافر مطلقا أيضا لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه لا وجه لإنكارها ))[٥] .

---

(١) التبصير في الدين للإسفرايني ( ٦٥ ) .

(٢) سورة السجدة الآية : ( ١٨ ) .

(٣) سورة الحجرات الآية : ( ١١ ) .

(٤) تقدم تخريجه صـ( ١٦٢ ) .

(٥) الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ٤٨ ) .

المطلب الثاني : الرد عليهم .

يقول الإمام أبو المظفر السمعاني رحمه الله في رده على استدلال المعتزلة بقوله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ [(١)] :

(( أكثر المفسرون أن الآية نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط [(٢)]، وذكر بعضهم عقبة والأصح الأول .

قال الوليد : أنا أحد منك سنانا وأبسط منك لسانا وأملأ منك للكتيبة .

فقال له علي : اسكت إنما أنت فاسق .

فأنزل الله تعالى هذه الآية .

واستدل أهل الاعتزال بهذه الآية في القول بالمنزل بين المنزلين وأن الفاسق لا يكون مؤمنا .

والدليل عليهم ظاهر ، وأما الفاسق ها هنا بمعنى الكافر ، وقال بعضهم سماه فاسقا على موافقة قول علي رضي الله عنه ، وقيل الآية على العموم )) [(٣)] .

والذي اختاره الإمام الطبري [(٤)] رحمه الله أن المراد بالفاسق في هذه الآية هو الكافر وإلى هذا ذهب أيضا الإمام ابن كثير رحمه الله حيث قال :

---

(١) سورة السجدة الآية : ( ١٨ ) .

(٢) هو : الوليد بن عقبة بن أبي معيط القرشي الأموي ، أسلم يوم فتح مكة، يُكنى الوليد أبا وهب، وكان من رجال قريش ظرفا وحلما وشجاعة وأدبا وكان من الشعراء المطبوعين ، أقام بالرقة إلى أن توفي بها . انظر : أسد الغابة ( ٤ / ٦٧٥ – ٦٧٧ ) .

(٣) تفسير السمعاني ( ٤ / ٢٥١ ) .

(٤) تفسير الطبري ( ١٨ / ٦٢٤ ) .

(( يخبر تعالى عن عدله وكرمه أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمنا بآياته متبعا لرسله بمن كان فاسقا أي خارجا عن طاعة ربه مكذبا لرسل الله إليه )) (١) .

وأما الجواب على استدلالهم بقوله سبحانه: ﴿ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ ﴾ (٢) فيجيب الإمام السمعاني رحمه الله بقوله :

(( استدل بهذا من قال : إن الفاسق لا يكون مؤمنا ، قال : لأنه لو كان الفاسق مؤمنا لم يستقم قوله بعد الإيمان .

والجواب : أن المراد منه النهي عن قوله يا فاسق يا منافق ، فكأنه قال : بئس الوصف الفسوق بعد الإيمان بالله .

وقال : ( بعد ) ها هنا بمعنى ( مع ) ومعناه : بئس اسم الفسوق مع الإيمان )) (٣) .

وأما ماستدلوا به من الأحاديث التي جاء فيها نفي الإيمان عمن ترك واجبا أو ارتكب محرما فقد تقدم الرد على ذلك في المبحث السابق مما يغني عن إعادته هنا.

وأما الجواب على الشبهة التي قررها واصل بن عطاء من أن الإيمان شيء واحد لايتجزء إذا ذهب بعضه ذهب كله ، فيقول الإمام محمد بن نصر المروزي رحمه الله تعالى في الجواب عنها :

(( إن الإيمان أصل ، من نقص منه مثقال ذرة زال عنه اسم الإيمان ، ومن لم ينقص منه لم يزل عنه اسم الإيمان ، ولكنه يزداد بعده إيمانا إلى إيمانه ، فإن نقصت الزيادة التي بعد الأصل لم ينقص الأصل )) (٤) .

---

(١) تفسير ابن كثير ( ٣ / ٦٠٥ ) .

(٢) سورة الحجرات الآية : ( ١١ ) .

(٣) تفسير السمعاني ( ٥ / ٢٢٣ – ٢٢٤ ) .

(٤) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٤٥٩ ) .

**المبحث الثالث : الرد على من قال إن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان ٠**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أصحاب هذه المقالة وأدلتهم ٠

أصحاب هذه المقالة هم المرجئة

لقد نقل الإمام المروزي رحمه الله عند حكايته لموقف المرجئة من نصوص الوعيد أهم قالوا :

(( فأما من زنى ، وهو يعلم أن الزنا حرام ، ويقرُّ به ، فهو مؤمن مستكمل الإيمان ، ليس ينقص زناه ولا سرقته من إيمانه قليلا ولا كثيرا ، وإن مات مضيعا للفرائض ، مرتكبا للكبائر ، مصرا على ذلك بعد أن لا يجحدها ، لقي الله مؤمنا مستكمل الإيمان من أهل الجنة )) [١] ٠

قال الإمام الطبري رحمه الله :

(( وقال آخرون : أهل الكبائر من أهل التوحيد الذين وحدوا وصدقوا رسول الله ﷺ وأقروا بشرائع الإسلام مؤمنون بإيمان جبريل وميكائيل وهم من أهل الجنة )) [٢] ٠

قال الإمام الملطي رحمه الله :

(( وتقول المرجئة : الفاسق مع فسقه ، مؤمن مسلم ، إيمانه كإيمان جبريل و ميكال والرسل )) [٣] ٠

---

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٤٢١ ) ٠

(٢) التبصير للطبري ( ١٧٩ ) ٠

(٣) التنبيه والرد للملطي ( ٥٠ ) ٠

ومن أدلتهم التي استدلوا بها في تقريرهم أن الكبائر لا تؤثر في الإيمان قولهم :

ليس الإيمان إلا شيئا واحدا لا يتبعض إما مجرد تصديق القلب أو تصديق القلب واللسان ، والأعمال ليست منه ، لأنا إذا أدخلنا الأعمال في الإيمان صارت جزءا منه ، فإذا ذهبت ذهب بعض الإيمان ، فلزم إخراج صاحب الكبيرة من لإيمان [1] .

واستدلوا أيضا بالنصوص العامة التي جاء فيها بيان فضل من قال كلمة التوحيد وأن من قالها دخل الجنة وحُرِمت عليه النار .

المطالب الثاني : الرد عليهم .

يقول الإمام محمد بن نصر المروزي رحمه الله في رده على المرجئة في قولهم إن الإيمان شيء واحد لا يتجزء :

(( زعم بعض المرجئة أنا إذا قلنا إن الإيمان اسم لجميع الطاعات لزمنا أن نكفر العاصي عند أول معصية يفعلها ، لأنه إذا كان إنما يسمى إيمانا لاجتماع معاني ، فمتى ما نقص من تلك المعاني مثقال خردلة ، زال عنه الاسم ، وضربوا لذلك مثلا فقالوا : ومثل ذلك مثل قول القائل : عشرة دراهم ، فإذا نقص دانق ، لم تسم عشرة إلا على النقصان ، فإن نقص درهم لم تسم عشرة أبدا .

فقيل لهم : إنكم ضربتم المثل على غير أصل ، وقد غلطتم علينا ، و لم تفهموا معنانا ، وذلك أنا نقول : إن الإيمان أصل ، من نقص منه مثقال ذرة زال عنه اسم الإيمان ، ومن لم ينقص منه لم يزل عنه اسم الإيمان ، ولكنه يزداد بعده إيمانا إلى إيمانه ، فإن نقصت الزيادة التي بعد الأصل لم ينقص الأصل ... وذلك كنخلة قائمة ذات

---

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٤٥٩ ) .

أغصان وورق ، فكلما قطع منها غص لم يزل عنها اسم الشجرة ، وكانت دونما كانت عليه من الكمال من غير أن ينقلب اسمها ، إلا أنها شجرة ناقصة من أغصانها ، وغيرها من النخل من أشكالها أكمل منها لتمامها بسعفها ، وقد قال الله ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ (١)

فجعلها مثلا لكلمة الإيمان ، وجعل لها أصلا وفرعا وثمرا تؤتيه ... ثم فسر النبي ﷺ بسنته الإيمان إذ فهم عن الله عز وجل مثله ، فأخبر أن الإيمان ذو شعب ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، فجعل أصله الإقرار بالقلب واللسان ، وجعل شعبه الإيمان ، ثم جعل في غير حديث الأعمال شعبا من الإيمان ، فاستعجم على المرجيء الفهم ، فضرب المثل بخلاف ما ضربه الله ورسوله ، وقال : ( مثل عشر دراهم ) ليبطل سنة الرسول ﷺ ويجعل قوله هو الحق بخلاف الآثار ... وليست العشرة مثل الإيمان لأنه ليس لها أصل ، إلا كالفرع : العاشر درهم ، والأول درهم ، فإنما مثل أصلها مثل الفضة ، والفضة كمثل التصديق ، فلو كانت نقرة فيها عشرة ، ثم نقصت حبة ، لسميت فضة ، لأن الفضة جامع لاسمها ، قلَّت أم كثرت ، لأنها أصل قائم أبدا ما دام منها شيء ، وليست العشرة كذلك ليس أولها بأولى من أن يكون أصلا لها من آخرها ، لأنها أجزاء متفرقة ... )) (٢) .

ويقول إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله في الرد على دعواهم أن تارك العمل مؤمن كامل الإيمان مستدلين بما جاء في بعض النصوص من ذكر فضل كلمة التوحيد حيث يقول :

(( إنما رويت أخبار النبي ﷺ : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فضيلة لهذا القول لا أن هذا القول كل الإيمان ولئن جاز لجاهل أن يتأول أن شهادة أن لا إله إلا الله جميع الإيمان إذ النبي ﷺ خبر أن قائلها يستوجب الجنة ويعاذ من النار لم يؤمن أن يدعي جاهل

---

(١) سورة إبراهيم الآية : ( ٢٤ ) .

(٢) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٤٥٩ – ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٦ ) .

معاند أيضا أن جميع الإيمان القتال في سبيل الله فواق ناقة فيحتج بقول النبي ﷺ : (( من قاتل في سبيل الله فواق ناقة دخل الجنة )) (١)

كاحتجاج المرجئة بقول النبي ﷺ : (( من قال لا إله إلا الله دخل الجنة )) (٢)

ويقول معاند آخر جاهل إن الإيمان بكماله الماشي في سبيل الله حتى تغبر قدما الماشي ويحتج بقول النبي ﷺ : (( من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار )) (٣) ...

وهذا الجنس من فضائل الأعمال يطول بتقصيه الكتاب وفي قدر ما ذكرنا غنية وكفاية لما له قصدنا أن النبي ﷺ إنما خبر بفضائل هذه الأعمال التي ذكرنا وما هو مثلها لا أن النبي ﷺ أراد أن كل عمل ذكره أعلم أن عاملة يستوجب بفعله الجنة أو يعاذ من النار أنه جميع الإيمان .

وكذلك إنما أراد النبي ﷺ بقوله : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة أو حرم على النار فضيلة لهذا القول لا أنه جميع الإيمان كما ادعى من لا يفهم العلم ويعاند فلا يتعلم هذه الصناعة من أهلها )) (٤) .

(١) تقدم تخريجه صـ ( ١٣٨ ) .

(٢) تقدم تخريجه صـ ( ١٣٨ ) .

(٣) تقدم تخريجه صـ ( ١٣٨ ) .

(٤) كتاب التوحيد لابن خزيمة ( ٢ / ٨٢٨ – ٨٣٢ ) .

# الفصل الثالث

# جهود علماء الشافعية في الرد على المخالفين في حكم مرتكب الكبيرة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الرد على من قال إن مرتكب الكبيرة مخلد في النار

المبحث الثاني : الرد على من قال إن مرتكب الكبيرة لا يضر مع إيمانه معصية

**المبحث الأول : الرد على من قال إن مرتكب الكبيرة مخلد في النار ٠**

وفي مطلبان :

المطلب الأول : أصحاب هذه المقالة وأدلتهم ٠

أصحاب هذه المقالة هم الخوارج والمعتزلة ، فقد اتفقوا على تخليد صاحب الكبيرة في النار ، واختلفوا في نوع عذابه في النار ، فذهبت الخوارج إلى أنه يعذب عذاب الكفار ، وذهبت المعتزلة إلى أنه يعذب دون ذلك ٠

قال الإمام محمد بن نصر المروزي رحمه الله :

(( وقد اتفقت هذه الفرق التي ذكرناها [١] من أهل البدع مع اختلافهم في اسم مرتكب الكبيرة على أن كل من ارتكب كبيرة فمات غير تائب منها، فهو من أهل النار ، خالدا مخلدا لا يخرج منها أبدا ، وأيسوه من رحمة الله )) [٢] ٠

قال الإمام الأشعري رحمه الله :

(( وأما الوعيد فقول المعتزلة فيه ، وقول الخوارج قول واحد ، لأنهم يقولون : إن أهل الكبائر الذين يموتون على كبائرهم هم في النار خالدين فيها مخلدين ، غير أن الخوارج يقولون : إن مرتكبي الكبائر ممن ينتحل الإسلام يعذبون عذاب الكافرين ، والمعتزلة يقولون : إن عذابهم ليس كعذاب الكافرين )) [٣] ٠

---

(١) وهم الخوارج والمعتزلة والرافضة ٠

(٢) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٤١٦ ) ٠

(٣) المقالات للأشعري ( ٢٠٤ ) ٠

ويقول الإمام السكسكي رحمه الله :

(( وكذلك اتفقت أقوالهم في الوعيد إلا أن الخوارج تقول : إن صاحب الكبيرة يعذب في النار عذاب الكفار ، والمعتزلة تقول : إنه مخلد في النار ، لكنه يعذب عذابا دون عذاب الكفار )) [١] .

ويقول الإمام الشهرستاني رحمه الله موضحا معتقد المعتزلة :

(( واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضيل ، ومعنى وراء الثواب ، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار [٢] ، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار ، وسموا هذا النمط وعدا ووعيدا )) [٣] .

(١) البرهان للسكسكي ( ٢٠ ) .

(٢) وقد ذكر البغدادي عن ثلاثة من شيوخ المعتزلة وهم : محمد بن شبيب البصري ، والصالحي ، والخالدي ، أنهم واقفة في وعيد مرتكبي الكبائر ، وقد أجازوا من الله تعالى مغفرة ذنوبهم من غير توبة . انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي (٨٠) .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٤٥) .

وقد استدلوا بأدلة في تقريرهم لهذا المعتقد الفاسد منها :

قولـــه تعـــالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [١]

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [٢]

ومنها قوله ﷺ : (( لا يدخل الجنة قاطع )) [٣] وقوله ﷺ : (( لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه )) [٤] وكل الأحاديث التي في معناهما .

ومن أدلتهم قولهم : (( لو لم نقل بالتخليد لأدى ذلك إلى الفساد ، لأن المذنب متى علم أنه لا يخلد في النار لم يبال بالمعصية لأنه يعلم أنه يصير إلى الجنة ، فلهذا بُولِغَ بإدامة العذاب عليه )) [٥] .

ومن أدلة المعتزلة بل من أصولهم التي يرجع قولهم بتخليد أصحاب الكبائر إليه قولهم :

(( أن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب ، وتوعد العصاة بالعقاب ، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة ، ولا يجوز عليه الخُلْفُ والكذب )) [٦] .

---

(١) سورة النساء الآية : ( ٩٣ ) .

(٢) سورة النساء الآية : ( ١٤ ) .

(٣) أخرجه البخاري كتاب الأدب ، باب : إثم القاطع ، رقم ( ٥٩٨٤ ) ، ( ٤ / ٨٩ ) ، ومسلم كتاب البر والصلة ، باب : صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، رقم (٢٥٥٦) ، ( ٤ / ١٩٨١ ) .

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب : بيان تحريم إيذاء الجار ، رقم (٤٦) ، ( ١ / ٦٨ ) .

(٥) الانتصار للعمراني ( ٣ / ٦٨٣ ) .

(٦) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ( ١٣٥ – ١٣٦ ) .

المطلب الثاني : الرد عليهم

وأما الجواب على استدلالهم بقوله سبحانه :﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [١] على خلود أصحاب الكبائر في النار أن يقال قد ذكر الإمام الطبري رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية عدة أقوال لأهل العلم في معناها والذي اختاره ورجحه في المراد منها قوله :

(( وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه إن جازاه جهنم خالدا فيها ولكنه يعفو ويتفضل على أهل الإيمان به وبرسوله فلا يجازيهم بالخلود فيها ولكنه – عز ذكره – إما أن يعفو بفضله فلا يدخله النار وإما أن يدخله إياها ثم يخرجه منها بفضل رحمته )) [٢] .

ويقول الإمام البغوي رحمه الله :

(( وليس في الآية متعلق لمن يقول بالتخليد في النار بارتكاب الكبائر... وقيل في قوله تعالى :﴿ فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا ﴾ [٣] معناه : هي جزاؤه إن جازاه ولكنه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له بكرمه فإنه وعد أن يغفر لمن يشاء )) [٤] .

---

(١) سورة النساء الآية : ( ٩٣ ) .

(٢) تفسير الطبري ( ٧ / ٣٥٠ ) .

(٣) سورة النساء الآية : ( ٩٣ ) .

(٤) معالم التنزيل للبغوي ( ٢ / ٢٦٧ ) .

ويوضح الإمام ابن كثير رحمه الله المراد بالخلود في الآية فيقول :

(( فليس بمخلد فيها أبدا بل الخلود هو المكث الطويل وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ : (( أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان )) [١] )) [٢] .

وأما الجواب على استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [٣] على خلود أصحاب الكبائر في النار فيجيب على ذلك الإمام البيهقي رحمه الله فيقول :

(( قيل هكذا نقول الحدود اسم جمع و إنما يصير متعديا لحدود الله تعالى اجمع بترك الإيمان و تارك الإيمان يخلد في النار )) [٤] .

ويجيب إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله على استدلالهم بما جاء في بعض النصوص من تحريم دخول الجنة لمن وقع في بعض المعاصي فيقول :

(( **أحدهما** : لا يدخل الجنة أى بعض الجنان إذ النبي ﷺ قد أعلم أنها جنان في جنة واسم الجنة واقع على كل جنة منها فمعنى هذه الأخبار التي ذكرنا من فعل كذا لبعض المعاصي حرم الله عليه الجنة أو لم يدخل الجنة معناها لا يدخل بعض الجنان التي هي أعلى وأشرف وأنبل وأكثر نعيما وسرورا وبهجة وأوسع لا أنه أراد لا يدخل شيئا من تلك الجنان التي هي في الجنة ...

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب صفة جهنم ، باب : ( ١٠ ) ، رقم ( ٢٥٩٨ ) ، صـ( ٥٨٥ ) ، وقال الألباني حديث صحيح انظر : سنن الترمذي رقم ( ٢٥٩٨ ) .

(٢) تفسير ابن كثير ( ١ / ٧٠٢ ) .

(٣) سورة النساء الآية : ( ١٤ ) .

(٤) شعب الإيمان للبيهقي ( ١ / ٢٧٧ ) .

**والمعنى الثاني** : ما قد أعلمت أصحابي ما لا أحصى من مـرة أن كـل وعيـد في الكتاب والسنة لأهل التوحيد فإنما هو على شريطة أى إلا أن يشاء الله أن يغفر ويصـفح ويتكرم ويتفضل فلا يعذب على ارتكاب تلك الخطيئة إذ الله عز وجل قد خبر في محكـم كتابه أنه قد يشاء أن يغفر ما دون الشرك من الذنوب في قوله تعالى إن الله لا يغفـر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء )) [(١)] .

ثم ذكر رحمه الله **معنا ثالث** حيث قال :

(( وقد يجوز أن يقول من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة يريد لم يدخل الجنـة في الوقت الذي يدخلها من لم يرتكب هذه الحوبة لأنه يحبس عن دخول الجنة إما للمحاسبة على الذنب أو لإدخال النار ليعذب بقدر ذلك الذنب إن كان ذلك الذنب مما يستوجب به المرتكب النار إن لم يعف الله ويصفح ويتكرم فيغفر ذلك الذنب )) [(٢)] .

ويقرر ذلك أيضا الإمام ابن الصلاح رحمه الله في رده على اسـتدلالهم بقولـه ﷺ: (( لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه )) [(٣)] وكل الأحاديث التي في معنـاه حيـث قال :

(( ومعنى قوله لا يدخل الجنة مع ما ثبت من أن كل مسلم لا بد أن يدخل الجنـة وإن دخل النار إنه يدخلها وقت دخول أهلها إليها وإذا فتحت أبوابها للمتقين إلا أن يعفو الله تبارك وتعالى )) [(٤)] .

---

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة ( ٢ / ٨٦٨ – ٨٦٩ ) .

(٢) المصدر السابق ( ٢ / ٨٧٧ ) .

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب : بيان تحريم إيذاء الجار ، رقم ( ٤٦ ) ، ( ١ / ٦٨ ) .

(٤) صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح ( ٢٠٤ ) .

ويقول الإمام النووي رحمه الله مقررا ذلك أيضا :

(( وفى معنى لا يدخل الجنة جوابان يجريان في كل ما أشبه هذا

**احدهما** : أنه محمول على من يستحل الإيذاء مع علمه بتحريمه فهذا كافر لا يدخلها أصلا ٠

**والثاني** : معناه جزاؤه أن لا يدخلها وقت دخول الفائزين إذا فتحت أبوابها لهم بل يؤخر ثم قد يجازى وقد يعفى عنه فيدخلها أولا ٠

وإنما تأولنا هذين التأويلين لأنا قدمنا أن مذهب أهل الحق أن من مات على التوحيد مصرا على الكبائر فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه فادخله الجنة أولا وان شاء عاقبه ثم أدخله الجنة والله اعلم )) (1) ٠

وأما الجواب على قولهم :

(( لو لم نقل بالتخليد لأدى ذلك إلى الفساد ، لأن المذنب متى علم أنه لا يخلد في النار لم يبال بالمعصية لأنه يعلم أنه يصير إلى الجنة ، فلهذا بُولِغَ بإدامة العذاب عليه )) ٠

فيقول الإمام العمراني رحمه الله في نقض هذا الاعتراض :

(( فعلى مقتضى استدلالكم هذا أن تقولوا لا تصح توبته ولا تقبل منه ، لأنه متى علم أن توبته تصح وتقبل منه و لم ييأس من البقاء بعد ارتكاب المعصية حمله ذلك على ركوب الكبائر اتكالا منه على التوبة في آخر عمره ، فإذا كانت توبته صحيحة بالإجماع و لم يكن بها فساد ، فكذلك القول بعد تخليده )) (2) ٠

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ( ١ / ٢٠٧ ) ٠

(٢) الانتصار للعمراني ( ٣ / ٦٨٣ ) ٠

وأما الجواب على قولهم : أنه لا يجوز على الله ﷻ أن يخلف وعده ، فلا يُثيب المطيع ، ولا يُخلف وعيده ، فلا يعاقب العاصي .

فيجيب الإمام العمراني رحمه الله تعالى على هذا الاستدلال بقوله : (( ولا يوصف الله بأنه يُخلف وعده لقوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [١] ، ومن أوعده عذابا على ذنب أذنبه فإن العيد حق له وترك الوفاء بالوعيد كرم وجود ، وربنا موصوف بالجود والكرم ، وكيف لا يحسن من الله العفو عن الذنب وقد أمرنا به وحظنا عليه ومدح فاعله. قال الله تعالى : ﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ ﴾ [٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾ [٣]، وقال: ﴿ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [٤] ، وأخبر عن نفسه بالعفو فقال : ﴿ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [٥] )) [٦] .

(١) سورة آل عمران الآية : ( ٩ ) .

(٢) سورة البقرة الآية : ( ١٠٩ ) .

(٣) سورة البقرة الآية : ( ٢٣٧ ) .

(٤) سورة آل عمران الآية : ( ١٣٤ ) .

(٥) سورة الشورى الآية : ( ٢٥ ) .

(٦) الانتصار للعمراني ( ٣ / ٦٧٦ ) .

وقد ذكر غير واحد من الأئمة رحمهم الله تعالى : (( أن عمرو بن عبيد[١] جاء إلى أبي عمرو بن العلاء [٢]

فقال له : هل يُخلف الله وعده ؟

فقال : لا !

فقال : أليس قد قال الله تعالى :﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا ﴾ [٣]

فقال له عمرو بن العلاء : من العجمة أُتيت يا أبا عثمان ! إن العرب لا تعد الإخلاف في الوعيد خُلفا وذما ، وأنشد :

وإني وإن أوعدته أو عدته لَمُخْلِف إيعادي ومنجز موعدي )) [٤] .

---

(١) هو : عمرو بن عُبيد القدري كبير المعتزلة وأولهم ، أبو عثمان البصري ، قال ابن المبارك : دعا إلى القدر فتركوه ، وقال النسائي : ليس بثقة ، مات سنة ١٤٣ وقيل : ١٤٤ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٦ / ١٠٤ – ١٠٦ ) .

(٢) هو : أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله التميمي المازني النحوي البصري المقرئ أحد الأئمة القراء السبعة ، واختلف في اسمه فقيل : زبان وقيل : العريان وقيل غير ذلك ، قال أبو بكر بن مجاهد : كان أبو عمرو مقدما في عصره عالما بالقراءة ووجوهها قدوة في العلم واللغة إمام الناس في العربية وكان مع علمه باللغة وفقهه بالعربية متمسكا بالآثار . توفي سنة ١٥٤ وقيل : ١٥٧ هـ. انظر : التهذيب ( ٤ / ٥٦١ ) .

(٣) سورة النساء الآية : ( ٩٣ ) .

(٤) انظر : معالم التنزيل للبغوي ( ٢ / ٢٦٧ )

وقد جاءت أدلة صريحة تدل على بطلان مذهب الخوارج والمعتزلة في تخليد صاحب الكبيرة في النار منها :

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (( ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا جعلت له يوم القيامة صفائح ثم أحمي عليها في نار جهنم ، تكوى بها جنباه، وجبهته ، وظهره ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يُقْضى بين الناس ، فَيُرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ... )) [١] .

قال الإمام المروزي رحمه الله مبينا وجه الدلالة من الحديث على عدم خلود صاحب الكبيرة في النار :

(( فهذا الحديث حجة على أهل الأهواء كلهم من الخوارج ، والمعتزلة وغيرهم ، لأنهم كلهم خلا المرجئة يزعمون أن مانع الزكاة إذا مات غير تائب أنه من أهل النار خالدا مخلدا لا يخرج منها أبدا ، وآيسوه من رحمة الله تعالى ، ومن شفاعة الشافعين )) [٢]

ومن أقوى الأدلة الدالة على فساد قول الخوارج والمعتزلة في تخليد مرتكب الكبيرة في النار أحاديث الشفاعة وما جاء من إخراج قوم من أهل التوحيد من النار ، وهي أحاديث بلغت درجة التواتر .

ويوضح هذا الدليل ويقرره الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى حيث يقول :

(( وبعد : فإن الأخبار المروية عن رسول الله ﷺ متظاهرة بنقل من يمتنع في نقله الخطأ والسهو والكذب ، ويوجب نقله العلم أنه ذكر أن الله جل ثناؤه يخرج من النار قوما بعد ما امتحشوا وصاروا حمما بذنوب كانوا أصابوها في الدنيا ثم يدخلهم الجنة .

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الزكاة ، باب : إثم مانع الزكاة ، رقم (٩٨٧) ، ( ٢ / ٦٨٠ ) .
(٢) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ٦٦٧ — ٦٦٨ ) .

وأنه ﷺ قال : (( شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي )) [١] وأنه العَلِيْلاِ يشفع لأمته إلى ربه ﷻ ذكره فيقال:(( أخرج منها منهم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان )) [٢] . وفي نظائر لما ذكرنا من الأخبار التي إن لم تثبت صحتها لم يصح عنه خبر ﷺ )) [٣] .

ويقرر ذلك أيضا إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله مع بيانه لموقف المخالفين من هذه النصوص التي تدمغ بدعتهم فيقول :

(( فمن لم يفهم هذا الباب لم يجد بدا من تكذيب الأخبار الثابتة المتواترة التي ذكرها عن النبي ﷺ في إخراج أهل التوحيد من النار .

إذ محال أن يقال أخرجوا من النار من ليس فيها ، وأمحل من هذا أن يقال يخرج من النار من ليس فيها وفي إبطال أخبار النبي ﷺ دروس الدين وإبطال الإسلام )) [٤] .

ويؤكد الإمام البيهقي رحمه الله ذلك بقوله :

(( وقد ورد عن سيدنا المصطفي ﷺ في إثبات الشفاعة و إخراج قوم من أهل التوحيد من النار و إدخالهم في الجنة أخبار صحيحة قد صارت من الاستفاضة و الشهرة بحيث قاربت الأخبار المتواترة و كذلك في مغفرة الله تبارك و تعالى جماعة من أهل الكبائر دون الشرك من غير تعذيب فضلا منه و رحمة و الله واسع كريم )) [٥] .

---

(١) سنن أبي داود كتاب السنة ، باب : في الشفاعة ، رقم ( ٤٧٣٩ ) ، ( ٥ / ٧٠ ) ، سنن الترمذي كتاب صفة القيامة ، باب :( ١١) منه ، رقم ( ٢٤٣٥ ) ، صـ( ٥٤٩ ) ، وقال الألباني حديث صحيح انظر : سنن الترمذي رقم ( ٢٤٣٥ ) .

(٢) أخرجه البخاري كتاب الإيمان ، باب : تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ، رقم ( ٢٢ ) ، ( ١ / ٢٣ ) ، ومسلم كتاب ، الإيمان باب : إثبات الشفاعة ، رقم (١٩٣) ، ( ١ / ١٨٠ ) .

(٣) التبصير للطبري ( ١٨٦ ) .

(٤) كتاب التوحيد لابن خزيمة ( ٢ /٨٣٥ ) .

(٥) شعب الإيمان للبيهقي ( ١ / ٢٧٧ ) .

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله – بعد أن ذكر شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته :

(( وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث ، وخفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة ، فخالفوا في ذلك ، جهلا منهم بصحة الأحاديث ، وعنادا ممن علم ذلك واستمر على بدعته )) [(١)] .

ويقرر الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله وجها آخر في بيان فساد مذهب الخوارج والمعتزلة في تخليدهم لأصحاب الكبائر في النار فيقول :

(( ثم يخرجهم بعد عقوبته إياهم بقدر ما استحقوا فيدخلهم الجنة ، لأن الله جل ثناؤه وعد على الطاعة الثواب و أوعد على المعصية العقاب ووعد أن يمحو بالحسنة السيئة ما لم تكن السيئة شركا .

فإذا كان ذلك كذلك فغير جائز أن يبطل بعقاب عبد على معصيته إياه ثوابه على طاعته ، لأن ذلك محو بالسيئة الحسنة لا بالحسنة السيئة ، وذلك خلاف الوعد الذي وعد عباده ، وغير الذي هو به موصوف من العدل والفضل والعفو عن الجرم .

والعدل : العقاب على الجرم ، والثواب على الطاعة .

فأما المؤاخذة على الذنب وترك الثواب والجزاء على الطاعة فلا عدل ولا فضل وليس من صفته أن يكون خارجا من إحدى هاتين الصفتين )) [(٢)] .

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ( ٢ / ١٩٠ ) .

(٢) التبصير في معالم الدين للطبري ( ١٨٤ – ١٨٥ ) .

ويقول الإمام ابن خزيمة رحمه الله في تقرير هذا الوجه أيضا :

(( ومحال أن يكون المؤمن الموحد لله عز وجل قلبه ولسانه ، المطيع لخالقه في أكثر ما فرض الله عليه وندبه إليه من أعمال البر غير المفترض عليه ، المنتهي عن أكثر المعاصي ، وإن ارتكب بعض المعاصي والحوبات في قسم من كفر بالله ودعا معه آلهة أو جعل له صاحبة أو ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ولم يؤمن أيضا بشيء مما أمر الله بالإيمان به ولا أطاع الله في شيء أمره به من الفرائض والنوافل ولا انزجر عن معصية نهى الله عنها ، محال أن يجتمع هذان في درجة واحدة من النار ، والعقل مركب على أن يعلم أن كل من كان أعظم خطيئة وأكثر ذنوبا لم يتجاوز الله عن ذنوبه كان أشد عذابا في النار ، كما يعلم كل عاقل أن كل من كان أكثر طاعة لله عز وجل وتقربا إليه بفعل الخيرات واجتناب السيئات كان أرفع درجة في الجنان وأعظم ثوابا وأجزل نعمة ، فكيف يجوز أن يتوهم مسلم أن أهل التوحيد يجتمعون في النار في الدرجة مع من كان يفترى على الله عز وجل فيدعو له شريكا أو شركاء فيدعو له صاحبة وولدا ويكفر به ويشرك ويكفر بكل ما أمر الله عز وجل بالإيمان به ويكذب جميع الرسل ويترك جميع الفرائض ويرتكب جميع المعاصي فيعبد النيران ويسجد للأصنام والصلبان ...

والله عز وجل لم يجمع بين جميع الكفار في موضع واحد من النار ولا سوى بين عذاب جميعهم قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[1] ، وقال : ﴿ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[2] ))[3] .

(١) سورة النساء الآية : ( ١٤٥ ) .

(٢) سورة غافر الآية : ( ٤٦ ) .

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة ( ٢ / ٨٣٤ – ٨٣٦ ) .

**المبحث الثاني : الرد على من قال إن مرتكب الكبيرة لا يضر مع إيمانه معصية ٠**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أصحاب هذه المقالة وأدلتهم ٠

قال الإمام الطبري رحمه الله :

(( وقالوا : لا يضرهم مع الإيمان ذنب ، صغيرة كانت أو كبيرة ، كما لا ينفع مع الشرك عمل ٠

قالوا : والوعيد إنما هو لأهل الكفر بالله المكذبين بما جاء به رسوله ﷺ )) [١] ٠

ونقل الإمام الملطي رحمه الله عن طائفة من المرجئة أن الموحد :

(( لا يدخل النار أبدا وإن ركب العظائم ، وترك الفرائض ، وعمل الكبائر )) [٢] ٠

ونقل عنهم الإمام ابن الصلاح رحمه الله أنهم قالوا :

(( أنه لا يعذب مع الإسلام بمعصية ، كما لا ينجو مع الكفر بطاعة )) [٣] ٠

وقد نقل الإمام السكسكي والعلامة اليافعي[٤] رحمهما الله إجماع المرجئة على :

(( أنه لا يدخل النار إلا كافر فحسب )) [٥] ٠

---

(١) التبصير للطبري ( ١٨٠ ) ٠

(٢) التنبيه والرد للملطي ( ١٥٥ ) ٠

(٣) صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح ( ١٧٥ ) ٠

(٤) هو : عبد الله بن أسعد الشيخ الإمام القدوة العارف الفقيه العالم شيخ الحجاز عفيف الدين أبو محمد اليافعي اليمني ثم المكي ، توفي بمكة في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وسبعمائة ، انظر : طبقات الشافعية لابن شهبة ( ٣ /٩٥ ) ٠

(٥) انظر : البرهان للسكسكي ( ٣٣ ) ، و ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين لليافعي ( ١٣٤ )٠

وهذا الإجماع فيه نظر لأن القول بعدم دخول أحد من أهل الكبائر النار هو قول بعض المرجئة ، كما نقل ذلك الإمام الملطي رحمه الله ، ونسب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا القول إلى غالية المرجئة [١] .

وقد استدلوا لذلك بأدلة منها :

قوله تعالى : ﴿ لَا يَصْلَاهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [٢]

وقول النبي ﷺ : (( لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان )) [٣]

وما جاء في معناه من الأحاديث .

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله : (( وان قالوا : أنه لا يضره ترك العمل فهذا كفر صريح وبعض الناس يحكى هذا عنهم ...وهذا قد يكون قول الغالية الذين يقولون : لا يدخل النار من أهل التوحيد أحد لكن ما علمت معينا أحكى عنه هذا القول وإنما الناس يحكونه فى الكتب ولا يعينون قائله )) الإيمان ( ١٤٥ ) .

(٢) سورة الليل الآية : ( ١٥ -١٦ ) .

(٣) سنن الترمذي كتاب البر والصلة ، باب : ما جاء في الكبر ، رقم ( ١٩٩٩ ) ، صـ( ٤٥٣ ) ، وقال الألباني حديث صحيح انظر سنن الترمذي رقم ( ١٩٩٩ ) .

المطلب الثاني : الرد عليهم ٠

وأما الرد على استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[١]
فيقول الإمام السمعاني رحمه الله :

(( أي كذب الله وأعرض عن طاعته ، وفي الآية سؤال للمرجئة والخوارج فإن الله تعالى قال : ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[٢] أي لا يقاسي حرها ولا يدخلها إلا الأشقى الذي كذب وتولى فدل أن المؤمن وإن ارتكب الكبائر لا يدخل النار ، هذا للمرجئة ، وأما الخوارج قالوا : قد وافقتمونا أن أصحاب الكبائر يدخلون النار فدل أنه كفر بارتكاب الكبيرة والتحق بمن كذب وتولى حيث قال :﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[٣] ٠

والجواب من وجوه[٤] :

الأول : الأشقى هم أصحاب الكبائر ، والذي كذب وتولى هم الكفار

الثاني : أن النار دركات والمراد من الآية دركة بعينها لا يدخلها إلا الكفار

الثالث : أن معنى لا يصلها : لا يدخلها خالدا فيها إلا الأشقى الذي كذب وتولى وصاحب الكبيرة إن دخلها لا يخلد فيها ))[٥] ٠

---

(١) سورة الليل الآية : ( ١٥ – ١٦ ) ٠

(٢) سورة الليل الآية : ( ١٥ -١٦ ) ٠

(٣) سورة الليل الآية : ( ١٥ -١٦ ) ٠

(٤) باتصرف ٠

(٥) تفسير السمعاني ( ٦ / ٢٣٩ – ٢٤٠ ) ٠

لقد أجاب إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى على استدلال المرجئة بما جـاء في بعض الأحاديث من الوعد لمن مات على التوحيد بعدم دخول النار حيث يقول :

(( وقد كنت أقول وأنا حدث جائز أن يكون معنى أخبار النبي ﷺ : (( لا يـدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان )) [١] أي لا يدخل النار دخول الأبد كدخول أهل الشرك والأوثان كما قال النبي ﷺ : (( أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون )) [٢]

الأخبار التي قد أمليتها بتمامها أو يكون معناها : أي لا يدخلون النار موضع الكفار والمشركين من النار ، إذ الله عز وجل قد أعلم أن للنار سبعة أبواب وأخبر أن لكل باب منهم جزءا مقسوما فقال : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [٣] )) [٤] .

وأما الجواب على استدلالهم بحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (( من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة )) [٥] فيقول الإمام ابن الصلاح الصلاح رحمه الله في الرد عليهم :

(( ولا حجة فيه للمرجئة الزاعمة أنه لا يعذب مع الإسلام بمعصية كما لا ينجو مع الكفر بطاعة لأنه ليس فيه أكثر من إثبات أصل دخوله الجنة وكل مسلم يدخل الجنة وإن لبث في النار ما لبث والنصوص متظاهرة في إصلاء من لم يعف عنه من أهـل الكبـائر المسلمين نار جهنم عافانا الله الكريم سبحانه )) [٦] .

---

(١) تقدم تخريجه صـ (٢٧٩) .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب : إثبات الشفاعة ، رقم (١٨٥) ، ( ١ / ١٧٢ ) .

(٣) سورة الحجر الآية : ( ٤٤ ) .

(٤) كتاب التوحيد لابن خزيمة ( ٢ / ٨٧٥ ) .

(٥) تقدم تخريجه صـ( ١٢٤ ) .

(٦) صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح ( ١٧٢ ) .

ويجيب أيضا رحمه الله تعالى على استدلالهم بحديث عبادة بن الصامت وحديث معاذ ابن جبل رضي الله عنهما وما جاء في معناهما من الأحاديث فيقول :

(( وإذ وضح أنه لم يبق للمرجئة في حديث عثمان وأمثاله متمسك فوراءه أحاديث أوردها مسلم وغيره فيها إعضال وللمرجئة بها اغترار منها حديث عبادة بن الصامت وغيره (( من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار )) [(١)]

ومنها حديث معاذ : (( إن حقا على الله أن لا يعذب من لا يشرك به )) [(٢)]

وهذا كله يوجب بظاهره أن لا يدخل النار مسلم قط ولا سبيل إلى القول بذلك للنصوص التي لا يستطاع دفعها

وقد أجيب على ذلك بأجوبة منها ما حكي عن جماعة من السلف إن هذا كان قبل أن تنزل الفرائض وأحكام الأمر والنهي

ولسنا نرتضي هذا إذ منها ما يعلم بالنظر إلى حال الراوي له كونه بعد تنزل الأحكام

ومنها أن المراد منها من شهد بالشهادتين وأدى حقهما وفرائضهما حكي ذلك عن الحسن البصري

ومنها قول من قال إن ذلك ورد فيمن قال عند التوبة ومات بعدها على ذلك .

ولي في ذلك وجهان متجهان هما أقرب إلى ألفاظ الأحاديث والله الموفق العاصم

**أحدهما** : أن معناها حرم الله عليه نار جهنم الخالدة وحق على الله أن لا يعذبه بالخلود فيها وحسن إطلاق ذلك بهذا المعنى لكونه واقعا في مقابلة الشرك الموجب للنار

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب : الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ، رقم (٢٩) ، ( ١ / ٥٧ ) .

(٢) أخرجه البخاري كتاب الجهاد ، باب : اسم الفرس والحمار ، رقم ( ٢٨٥٦ ) ، ( ٢ / ٣٢٠ ) ومسلم كتاب الإيمان ، باب : الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ، رقم (٣٠) ، ( ١ / ٥٨ ) .

بوصف الخلود فتكون النار والعذاب المطلقان فيه راجعين إلى النار والعذاب بذلك الوصف الذي هو وصف الخلود .

**الثاني** : أن المراد فجزاءه تحريم النار عليه أو وأن لا يعذبه ثم قد لا يقع الجزء المعارض من المعصية منع منه وإطلاق ذلك كإطلاق ضده في ضده كما في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ (١) وقوله ﷺ فيمن قتل نفسه إنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا (٢) أي فجزاؤه ذلك ثم قد لا يجازى به لمعارض من العفو يمنع منه وقد يعبر الفقيه عن هذا المعنى بأن يقول المقصود بهذه الأحاديث إثبات كون الإسلام سببا لتحريم النار عليه والسبب قد يتخلف مسببه لمانع والله ورسوله أعلم بالمراد من ذلك )) (٣) .

---

(١) سورة النساء الآية : ( ٩٣ ) .

(٢) أخرجه البخاري كتاب الطب ، باب : شرب السم والدواء به ، ( ٥٧٧٨ ) ، ( ٤ / ٥١ ) ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب : غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ، رقم (١٠٩) ، ( ١ / ١٠٣ ) .

(٣) صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح (١٧٤ – ١٧٦ ) .

# الفصل الرابع

## جهود علماء الشافعية في تقرير مسألة التكفير

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : ما جاء عنهم في خطورة تكفير المسلم بغير حق

المبحث الثاني : ما جاء عنهم في التفريق بين التكفير بالعموم و تكفير المعين

المبحث الثالث : ما جاء عنهم في شروط التكفير

المبحث الرابع : ما جاء عنهم في موانع التكفير

المبحث الخامس : ما جاء عنهم في حكم لعن المعين

**المبحث الأول : ما جاء عنهم في خطورة تكفير المسلم بغير حق ٠**

لقد دلت النصوص الشرعية على خطورة تكفير المسلم بغير حق منها :

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (( إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهم )) [(١)] ٠

قال الإمام النووي رحمه الله :

(( في تأويل الحديث أوجه :

**أحدها** : أنه محمول على المستحل لذلك وهذا يكفر فعلى هذا معنى باء بها أي بكلمة الكفر وكذا حار عليه وهو معنى رجعت عليه أي رجع عليه الكفر فباء وحار ورجع بمعنى واحد ٠

**والوجه الثاني** : معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره ٠

**والثالث** : أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين وهذا الوجه نقله القاضي عياض رحمه الله عن الإمام مالك بن أنس وهو ضعيف لأن المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع [(٢)] ٠

**والوجه الرابع** : معناه أن ذلك يؤول به إلى الكفر وذلك أن المعاصي كما قالوا بريد الكفر ويخاف على المكثر منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر ٠٠٠

---

(١)أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب : بيان حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر ، رقم (٦٠) ، ( ١ / ٧٩ ) ٠

(٢) وتعقبه الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله : (( قلت : ولما قاله مالك وجه وهو أن منهم من يُكَفِّر كثيرا من الصحابة ممن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وبالإيمان فيكون تكفيرهم من حيث تكذيبهم للشهادة المذكورة لا من مجرد صدور التكفير منهم بتأويل )) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٨١ )٠

**والوجه الخامس** : معناه فقد رجع عليه تكفيره فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافرا فكأنه كفر نفسه إما لأنه كفر من هو مثله وإما لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام والله أعلم )) [١] .

وقال في كفاية الأخيار :

(( ولو قال لمسلم : يا كافر بلا تأويل كفر لأنه سمى الإسلام كفرا )) [٢] .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله في كتاب التفرقة بين الإيمان والزندقة : (( والذي ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلا فإن استباحة دماء المصلين المقرين بالتوحيد خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم لمسلم واحد )) [٣] .

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي رحمه الله : (( ينبغي للمفتي أن يحتاط في التكفير ما أمكنه ، لعظم خطره ، أو غلبة عدم قصده ، سيما من العوام ، وما زال أئمتنا على ذلك قديما وحديثا )) [٤] .

---

(١) شرح النووي على مسلم ( ٢ /٥٠ ) .

(٢) كفاية الأخيار ( ١ / ٦٤٧ ) .

(٣) فتح الباري لابن حجر ( ١٢ / ٣١٤ ) .

(٤) تحفة المحتاج للهيتمي ( ٤ / ١١٠ ) .

## المبحث الثاني : ما جاء عنهم في التفريق بين التكفير بالعموم وتكفير المعين .

لقد فرق علماء الشافعية رحمهم الله تعالى بين التكفير المطلق لمن أتى بمُكَفِّر من المُكَفِّرات وبين تنزيل الحكم على المعين وقد دلَّت نصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة على التكفير المطلق لمن أتى بمكفر من المكفرات :

فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [(١)]

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [(٢)]

وقوله ﷺ : (( العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر )) [(٣)] .

وقد كان علماء الشافعية رحمهم الله يُكَفِّرون بعض أهل البدع التكفير المطلق بأعمالهم وأقوالهم المُكَفِّرة مثل من قال بخلق القرآن ، من غير تكفير لأعيانهم من ذلك :

ما أخرجه اللالكائي عن الربيع بن سليمان أنه قال : سمعت الشافعي يقول : (( من قال القرآن مخلوق فهو كافر )) [(٤)] .

---

(١) سورة النساء الآيات : ( ١٥٠- ١٥١ ) .

(٢) سورة المؤمنون الآية : ( ١١٧ ) .

(٣) سنن الترمذي كتاب الإيمان ، باب: ما جاء في ترك الصلاة ، رقم ( ٢٦٢١ ) ، صـ( ٥٩١ ) ، وقال الألباني حديث صحيح انظر سنن الترمذي رقم ( ٢٦٢١ ) .

(٤)شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ١ / ٢٧٩ ) .

وبقوله قال الإمام الطبري رحمه الله في صريح السنة [١] .

وقال الإمام الآجري رحمه الله :

(( باب : ذكر الإيمان بأن القرآن كلام الله تعالى ، وأن كلامه ليس بمخلوق ، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر )) [٢] .

وقد وقال الإمام الصابوني رحمه الله :

(( ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله ، وكتابه ، وخطابه ، ووحيه ، وتنزيله غير مخلوق ، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم )) [٣] .

وقد قال الإمام الشافعي والإمام المزني رحمهما الله تعالى بكفر القدرية [٤] .

فتكفيرهم رحمهم الله تعالى للقائلين بهذه المقالات لا يلزم منه تكفيرهم لأعيانهم ، ويظهر هذا جليا في موقف الإمام الشافعي رحمه الله ممن رد الأسماء والصفات فإنه مع تقريره بأنه كُفْر إلا أنه لا يحكم بِكُفْرِه إلا بعد قيام الحجة عليه وأما قبل ذلك فإنه يعذره بالجهل .

---

(١) المصدر السابق ( ١ / ٢٠٧ ) .

(٢) الشريعة للآجري ( ١ / ٤٨٩ ) .

(٣) عقيدة السلف للصابوني ( ٤٠ ) .

(٤) السنة للالكائي ( ٢ / ٧٧٦ ) .

فقد أخرج ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن يونس بن عبد الأعلى[١] قال سمعت الشافعي يقول : (( لله أسماء وصفات لا يسع أحدا ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل )) [٢] .

ويقول الإمام الأصبهاني رحمه الله : (( ومشايخ أهل الحديث قد أطلقوا القول بتكفير القدرية ، وكفروا من قال : بخلق القرآن .

وقال جماعة من العلماء : قد نطلق الكلمة على الشيء لنوع من التمثيل ولا يُحْكَم بحقيقتها عند التفصيل )) [٣] .

ومن خلال هذا العرض يظهر لنا أن التكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين فإن المرء قد يصدر منه الكفر ولا يكون كافرا حتى تتحقق فيه شروط التكفير وتنتفي موانعه .

---

(١) هو : يونس بن عبد الأعلى بن موسى ، أبو موسى المصري ، قال بن أبي حاتم : سمعت أبي يوثقه ويرفع من شأنه ، وقال أبو عمر : كان يستسقى بدعائه ، توفي سنة ٢٦٤ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ( ٤ / ٤٦٩ ) .

(٢) فتح الباري ابن حجر ( ١٣ / ٤٠٧ ) .

(٣) الحجة على تارك المحجة للأصبهاني ( ٢ / ٥٥٢ ) .

**المبحث الثالث : ما جاء عنهم في شروط التكفير ٠**

لقد ذكر أهل العلم شروطا لابد من تحققها في التكفير وهي :

**أولا : أن يكون بالغا عاقلا ٠**

لقد دلّت النصوص الشرعية على عدم مؤاخذة الصغير حتى يبلغ والمجنون حتى يفيق ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : (( رفع القلم عن ثلاث ، عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل )) [١] ٠

قال الإمام النووي رحمه الله :

(( فلا تصح ردة صبي ولا مجنون ومن ارتد ثم جُنَّ فلا يقتل في جنونه )) [٢] ٠

وقال في مغني المحتاج :

(( ويعتبر فيمن يصير مرتدا بشيء مما مر أن يكون مُكَلَّفا مختارا و حينئذ لا تصح ردة صبي ولو مميزا و لا ردة مجنون )) [٣] ٠

**ثانيا : أن يقع الكفر منه بإرادة واختيار ٠**

وقد دل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (( قال رجل لم يعمل خيرا قط فإذا مات فحرقوه وذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الحدود ، باب : في المجنون يسرق أو يصيب حدا ، رقم ( ٤٤٠٣ ) ، ( ٤ / ٣٦٤ ) ، وسنن ابن ماجه ، كتاب : الطلاق ، باب : طلاق المعتوه والصغير والنائم ، رقم ( ٢٠٤١ ) ، صـ( ٣٥٢ – ٣٥٣ ) ٠ وصححه الألباني انظر : سنن ابن ماجه رقم ( ٢٠٤١ ) ٠

(٢) روضة الطالبين ( ١٧٢٨ ) ٠

(٣) مغني المحتاج ( ٤ / ١٣٣ ) ٠

قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت ؟ قال من خشيتك وأنت أعلم فغفر له )) [١] .

قال الإمام النووي رحمه الله :

(( وقالت طائفة اللفظ على ظاهره ولكن قاله هذا الرجل وهو غير ضابط لكلامه ولا قاصد لحقيقة معناه ومعتقد لها بل قاله في حالة غلب عليه فيها الدهش والخوف وشدة الجزع بحيث ذهب تيقظه وتدبر ما يقوله فصار في معنى الغافل و الناسي وهذه الحالة لا يؤاخذ فيها وهو نحو قول القائل الآخر الذي غلب عليه الفرح حين وجد راحلته : أنت عبدي وأنا ربك [٢] فلم يَكْفُر بذلك الدهش والغلبة والسهو )) [٣] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

(( وأظهر الأقوال أنه قال ذلك في حال دهشته وغلبة الخوف عليه حتى ذهب بعقله لما يقول و لم يقله قاصدا لحقيقة معناه بل في حالة كان فيها كالغافل و الذاهل والناسي الذي لا يؤاخذ بما يصدر منه )) [٤] .

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى:﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ ، رقم ( ٧٥٠٨ ) ، ( ٤ / ٤٠٥ ) ، ومسلم كتاب التوبة ، باب : في سعة رحمة الله، رقم (٢٧٥٦) ، ( ٤ / ٢١٠٩ ) .

(٢) قال رسول الله ﷺ : (( لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح )) أخرجه مسلم كتاب التوبة ، باب : في الحض على التوبة والفرح بها ، رقم (٢٧٤٧) ، ( ٤ / ٢١٠٤ ) .

(٣) شرح النووي على مسلم ( ٩ /٧٤) .

(٤) فتح الباري لابن حجر ( ٦ / ٥٢٣ ) .

**ثالثا : قيام الحجة عليه .**

لقد اشترط الإمام الشافعي رحمه الله قيام الحجة في تكفير المعين بعد إتيانه بشيء من المُكَفِّرات ، واعتبر عدم قيامها من موانع تكفيره :

فقد أخرج ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن يونس بن عبد الأعلى قال : سمعت الشافعي يقول : (( لله أسماء وصفات لا يسع أحدا ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل )) [(١)] .

ويقول الإمام الطبري رحمه الله :

(( وقوله :﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [(٢)] يقول تعالى ذكره : وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم )) [(٣)] .

وقال أيضا : (( ومن جحد من فرائض الله ﷻ شيئا بعد قيام الحجة عليه به فهو من ملة الإسلام خارج )) [(٤)] .

---

(١) فتح الباري ابن حجر ( ١٣ / ٤٠٧ ) .

(٢) سورة الإسراء الآية : ( ١٥ ) .

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٥٢٦ ) .

(٤) التبصير للطبري ( ١٦٢ ) .

ويقول الإمام الأصبهاني رحمه الله : (( وقد أعلم الله سبحانه أنه لا يؤاخذ إلا بعد البيان ، ولا يعاقب إلا بعد الإنذار ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ ﴾(١) **فكل من هداه الله عز وجل ودخل في عقد الإسلام فإنه** لا يخرج إلى الكفر إلا بعد البيان )) (٢) .

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله :

(( وكذا قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(٣) إخبار عن عدله تعالى وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه )) (٤) .

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : (( والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار )) (٥) .

قال الإمام النووي رحمه الله :

(( وفي مفهومه دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور )) (٦) .

---

(١) سورة التوبة الآية : ( ١١٥ ) .

(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ( ٢ / ٥٥٢ ) .

(٣) سورة الإسراء الآية : ( ١٥ ) .

(٤) تفسير ابن كثير ( ٣ / ٤١ ) .

(٥) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب ، وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ، رقم (١٥٣) ، ( ١ / ١٣٤ ) .

(٦) شرح النووي على مسلم (١/ ٣٦٥ ) .

## المبحث الرابع : ما جاء عنهم في موانع التكفير ٠

### أولا : العذر بالجهل ٠

أخرج بن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن يونس بن عبد الأعلى قال : سمعت الشافعي يقول :

(( لله أسماء وصفات لا يسع أحدا ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل )) [١] ٠

نلاحظ هنا أنا الإمام الشافعي رحمه الله عذر بالجهل في المسائل العلمية العقدية خلافا لمن يظن أن العذر بالجهل إنما يكون في المسائل العملية الفرعية [٢] ٠

وإلى هذا أشار الإمام الأصبهاني رحمه الله حيث يقول :

(( ومن تعمد خلاف أصل من هذه الأصول **وكان جاهلا** لم يقصد إليه من طريق العناد فإنه لا يكفر ، لأنه لم يقصد اختيار الكفر ولا رضي به وقد بلغ جهده فيه فلم يقع له غير ذلك )) [٣] ٠

---

(١) فتح الباري – ابن حجر ( ١٣ / ٤٠٧ ) ٠

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تقرير ذلك : (( أن المتأول الذي قصده متابعة الرسول لا يكفر بل ولا يفسق إذا اجتهد فأخطأ وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كَفَّر المخطئين فيها ، وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا عن أحد من أئمة المسلمين وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم كالخوارج والمعتزلة والجهمية ووقع ذلك في كثير من أتباع الأئمة كبعض أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم )) انظر : منهاج السنة لابن تيمية( ٥ / ٢٣٩ – ٢٤٠ ) ٠

(٣) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ( ٢ / ٥٥٢ ) ٠

ويقرر الإمام النووي رحمه الله أن من أنكر شيئا مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشرا أنه يَكْفُر إلا أن يكون جاهلا بالحكم لقرب عهده بالإسلام :

(( فإن من أنكر فرض الزكاة في هذه الأزمان كان كافرا بإجماع المسلمين والفرق بين هؤلاء وأولئك أنهم إنما عذروا لأسباب وأمور لا يحدث مثلها في هذا الزمان منها قرب العهد بزمان الشريعة الذي كان يقع فيه تبديل الأحكام بالنسخ ومنها أن القوم كانوا جهالا بأمور الدين وكان عهدهم بالإسلام قريبا فدخلتهم الشبهة فعذروا فأما اليوم وقد شاع دين الإسلام واستفاض في المسلمين علم وجوب الزكاة حتى عرفها الخاص والعام واشترك فيه العالم والجاهل فلا يعذر أحد بتأويل يتأوله في إنكارها وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئا مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشرا كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والاغتسال من الجنابة وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام إلا أن يكون رجلا حديث عهد بالإسلام ولا يعرف حدوده فإنه إذا أنكر شيئا منها جهلا به لم يكفر )) (١) .

ويقرر الإمام ابن حجر الهيتمي رحمه الله أن العذر بالجهل المعتبر في عدم إيقاع الحكم بالكفر على من أتى بمُكَفِّر إنما هو مع عدم التقصير لا كما قد يظن البعض أن مجرد الجهل سبب في العذر ، قال رحمه الله : (( إطلاق الكفر ... مع الجهل وعدم العذر به بعيد ، وعندنا إذا كان بعيد الدار عن المسلمين بحيث لا ينسب لتقصير في تركه المجيء إلى دارهم للتعلم أو كان قريب عهد بالإسلام يعذر لجهله ، فيُعرف الصواب ، فإن رجع إلى ما قاله بعد ذلك كفر )) (٢) .

---

(١) شرح النووي على مسلم ( ١ / ١٥٤ ــ ١٥٥ ) .

(٢) الإعلام بقواطع الإسلام للهيتمي ( ٢٤٢ ) .

**ثانيا : الإكراه .**

لقد دلَّت نصوص الكتاب والسنة على عدم المؤاخذة بالإكراه : كما قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [(١)] ، وكما في قوله ﷺ : (( إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه )) [(٢)] .

قال صاحب المهذب رحمه الله :

(( فأما المكره فلا تصح ردته لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [(٣)]و إن تلفظ بكلمة الكفر و هو أسير لم يحكم بردته لأنه مكره )) [(٤)] .

ويوضح الحافظ ابن حجر رحمه الله شروط الإكراه المعتبرة في رفع الإثم عن المُكْرَه حيث يقول :

(( شروط الإكراه أربعة :

الأول : أن يكون فاعله قادرا على إيقاع ما يهدد به والمأمور عاجزا عن الدفع ولو بالفرار .

الثاني : أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك .

الثالث : أن يكون ما هدده به فوريا فلو قال إن لم تفعل كذا ضربتك غدا لا يعد مكرها ويستثنى ما إذا ذكر زمنا قريبا جدا أو جرت العادة بأنه لا يخلف .

الرابع : أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره ... )) [(٥)] .

---

(١) سورة النحل الآية : ( ١٠٦ ) .

(٢) سنن ابن ماجه كتاب الطلاق ، باب : طلاق المكره والناسي ، رقم ( ٢٠٤٥ ) ، صـ( ٣٥٣ ) . وصححه الألباني انظر : سنن ابن ماجه رقم ( ٢٠٤٥ ) .

(٣) سورة النحل الآية : ( ١٠٦ ) .

(٤) المهذب ( ٣ / ٢٥٥ ) .

(٥) فتح الباري – ابن حجر (١٢/ ٣٢٦ ) .

**ثالثا : التأويل .**

التأويل نوع من الخطأ في الاجتهاد وقد دلَّ على العذر به الأدلة الدالة على العــذر بالخطأ منها : قوله تعــالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[(١)] ، وقولــه ﷺ : (( إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه )) [(٢)] .

وقد عذر الصحابة رضي الله عنهم بالتأويل ، ومن ذلك عذرهم للخوارج وعدم تكفيرهــم : فقد روى الإمام محمد بن نصر المروزي رحمه الله بسنده عن طارق بن شهاب [(٣)] قــال : (( كنت عند علي حين فرغ من قتال أهل النهروان فقيل له : أمشركون هم ؟ قال : من الشرك فروا ، فقيل : منافقون ؟ قال : المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا ، قيل : فما هم؟ قال : قوم بغوا علينا فقاتلناهم )) [(٤)] .

---

(١) سورة البقرة الآية : ( ٢٨٦ ) .

(٢) تقدم تخريجه صـ( ٢٩٦ ) .

(٣) هو : طارق بن شهاب بن عبد شمس البجلي الأحمسي أبو عبد الله الكوفي ، قال إســحاق بــن منصور عن يحيى بن معين : ثقة ، وقال أبو داود : رأى النبي ﷺ و لم يسمع منه شيئا ، وقال بــن أبي حاتم عن أبيه : ليست له صحبة ، توفي سنة ٨٢ ، وقيل : ٨٣ ، وقيل : غير ذلك .انظر : تهــذيب التهذيب ( ٢ / ٢٣٢ ) .

(٤) تعظيم قدر الصلاة ( ٣٥٤ ) .

ويقول الإمام الخطابي رحمه الله عند ذكره لما يُستفاد من حديث معاوية [(١)] بن أبي سفيان رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (( ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة )) [(٢)] .

قال رحمه الله : (( وفيه : أن المتأول لا يخرج من الملة وإن أخطأ في تأويله )) [(٣)] .

وقال الإمام البيهقي رحمه الله : (( ومن كفر مسلما على الإطلاق بتأويل لم يخرج بتكفيره إياه بالتأويل عن الملة )) [(٤)] .

ويبين الحافظ ابن حجر رحمه الله أن التأويل المعتبر الذي دلت النصوص وأقوال أهل العلم على العذر به ، هو : التأويل الذي له مسوغ في كلام العرب وله وجه في العلم .

(( قال العلماء : كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم إذا كان تأويله سائغا في لسان العرب ، وكان له وجه في العلم )) [(٥)] .

---

(١) هو : معاوية بن صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي ، أبو عبد الرحمن ، شهد مع رسول الله ﷺ حنينا ، وكتب لرسول الله ﷺ ، ولَّاه عمر رضي الله عنه على الشام بعد وفاة أخوه يزيد فبقي أميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة بعدما تنازل له الحسن رضي الله عنه ، مات سنة ٦٠ هـ . انظر : أسد الغابة ( ٤ / ٤٣٣- ٤٣٦ ) .

(٢) أخرجه أبو داود كتاب السنة ، باب : شرح السنة ، رقم ( ٤٥٩٧ ) ، ( ٥ / ٧ – ٨ ) ، وحسنه الألباني انظر : سنن أبي داود رقم ( ٤٥٩٧ ) .

(٣) معالم السنن للخطابي بحاشية سنن أبي داود ( ٥ / ٨ ) .

(٤) سنن البيهقي الكبرى ( ١٠ / ٢٠٨ ) .

(٥) فتح الباري لابن حجر ( ١٢ / ٣١٨ ) .

ولهذا قال الإمام الأصبهاني رحمه الله : (( المتأول إذا أخطأ وكان من أهـل عقـد الإيمان نُظِرَ في تأويله ، فإن كان قد تعلق بأمر يُفضي به إلى خلاف بعـض كتـاب الله أو سنة يقطع بها العذر أو إجماع فإنه يكفر ولا يُعذر ٠ لأن الشبهة التي يتعلق بها من هذا ضعيفة لا يقوى قوة يُعذر بها ، لأن ما شهد له أصل من هذا الأصـول فإنـه في غايـة الوضوح والبيان ، فلما كان صاحب هذه المقالة لا يصعب عليه درك الحق ، ولا يغمض عنده مواضع الحجة لم يُعذر في الذهاب عن الحق ، بل عمل خلافه في ذلك على أنه عناد وإصرار )) [1] ٠

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ( ٢ / ٥٥١ – ٥٥٢ ) ٠

**المبحث الخامس : ما جاء عنهم في حكم لعن المعين ٠**

أصل اللعن في اللغة : هو الطرد والإبعاد ٠

قال في القاموس : (( لَعَنَهُ كمَنَعَهُ : طَرَدَهُ وأبْعَدَهُ فهو لَعِينٌ ومَلْعونٌ )) [(١)] ٠

وأصل اللَّعْن : الطَّرْد والإبْعاد من اللّه ومن الخَلْق السَّبُّ والدُّعاء [(٢)] ٠

وموجبات اللعن ثلاثة أمور ذكرها الإمام الغزالي رحمه الله حيث قال :

(( والصفات المقتضية للعن ثلاثة الكفر ، والبدعة ، والفسق )) [(٣)] ٠

وقد دلت النصوص الشرعية على ذلك :

أما اللعن بالكفر : فقد دل عليه قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [(٤)] ، وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ [(٥)] ٠

وأما اللعن بالبدعة : فقد دل عليه قوله ﷺ : (( ٠٠٠ المدينة حرم ما بين عير [(٦)] إلى كذا فمن أحدث فيها حدثا أو آوى فيها محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين )) [(٧)] ٠

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي ( ١٥٨٨ض ) ٠

(٢) النهاية لابن الأثير ( ٤ / ٥١١ ) ٠

(٣) إحياء علوم الدين ( ٣ / ١٢٣ ) ٠

(٤) سورة النساء الآية : ( ٤٦ ) ٠

(٥) سورة الأحزاب الآية : ( ٦٤ ) ٠

(٦) عير : جبلان أحمران من عن يمينك وأنت ببطن العقيق تريد مكة ٠ انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٤ / ١٧٢ ) ٠

(٧) أخرجه البخاري كتاب الاعتصام ، باب : ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين ، رقم ( ٧٣٠٠ ) ، ( ٤ / ٣٦٣ ) ، ومسلم كتاب العتق ، باب : تحريم تولي العتيق غير مواليه ، رقم ( ١٣٧٠ ) ، ( ٢ / ١١٤٦ ) ٠

لقد أشار الحافظ ابن حجر رحمه الله إلى أن الإحداث الوارد في الحديث وإن كان مقيدا بالمدينة إلا أن حكمه عام فيها وفي غيرها ، حيث قال : (( والغرض بإيراد الحديث هنا لعن من أحدث حدثا فإنه وان قيد في الخبر بالمدينة فالحكم عام فيها وفي غيرها إذا كان من متعلقات الدين )) [(١)] .

وأما اللعن بالفسق فقد دل عليه قوله ﷺ : (( لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده )) [(٢)] ، وقوله ﷺ : (( لعن الله من لعن والده ، ولعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى محدثا ، ولعن الله من غير منار الأرض )) [(٣)] .

وبعد أن تقرر بالأدلة مشروعية لعن الكفار والمبتدعة والفسقة لعنا مطلقا يُفصِّل الإمام الغزالي رحمه الله مراتب اللعن فيقول :

(( واللعن في كل واحدة ثلاث مراتب :

**الأولى** : اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعين و الفسقة.

**الثانية** : اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض أو على الزناة والظلمة وآكلي الربا وكل ذلك جائز...

**الثالثة** : اللعن للشخص المعين و هذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع )) [(٤)] .

---

(١) فتح الباري لابن حجر ( ١٣ / ٢٩٢ ) .

(٢) أخرجه البخاري كتاب الحدود ، باب : لعن السارق إذا لم يسم ، رقم ( ٦٧٨٣ ) ، ( ٤ / ٢٤٧ ) ، ومسلم كتاب الحدود ، باب : حد السرقة ، رقم (١٦٨٧) ، ( ٣ / ١٣١١ ) .

(٣) أخرجه مسلم كتاب الأضاحي ، باب : تحريم الذبح لغير الله ، رقم (١٩٧٨) ، (٣ / ١٥٦٧).

(٤) إحياء علوم الدين ( ٣ / ١٢٣ ) .

أما المرتبة الأولى وهي اللعن بالوصف الأعم كالكفر والبدعة والفسق فقد تقـــدمت الأدلة على جواز اللعن بها ، وأما المرتبة الثانية : وهي اللعن بأوصاف أخص من ذلك فقد دلت الأدلة على جواز اللعن بها ومنها :

قولـــــه تعـــــالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ (١) ، وقال عز وجـــل : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ (٢) .

وقال ﷺ : (( لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد )) (٣) .

ومما يدل على جواز لعن فِرَق أهل البدع ما جاء عن السلف الصالح من الصـــحابة والتابعين ومن بعدهم من سلف الأمة من لعنهم لتلك الفرق .

فقد لعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما القدرية وتـــبرأ منـــهم (٤) ، وكـــذلك عبد الله بن أبي أوفى (٥) رضي الله عنه لعن الأزارقة (٦) .

---

(١) سورة المائدة الآية : ( ٦٤ ) .

(٢) سورة المائدة الآية : ( ٧٨ ) .

(٣) أخرجه البخاري كتاب الصلاة ، باب : الصلاة في البيعة ، رقـــم ( ٤٣٤ ) ، ( ١ / ١٥٧ ) ، ومسلم كتاب المساجد ، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور ، رقم (٥ ٣١ ) ، (١ / ٣٧٧) .

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٢ / ٧١٣ ) .

(٥) هو : عبد الله بن أبي أوفى واسم أبي أوفى : علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي يكنى أبا معاوية وقيل غير ذلك ، شهد الحديبية وبايع بيعة الرضوان وشهد خيبر وما بعدها من المشاهد، وهو آخر من بقي بالكوفة من أصحاب النبي ﷺ ، توفي سنة ٨٦ وقيل ٨٧ . انظر : أسد الغابة ( ٣/ ٥٨٣ ) .

(٦) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ( ٤ / ١٣٠٦ ) .

وهذا الإمام الآجري رحمه الله بعد أن ذكر موقف الصحابة من القدرية وإنكارهم عليهم قال : (( وكذلك التابعون لهم بإحسان سبوا من تكلم بالقدر وكذب به **ولعنوهم** ونهوا عن مجالستهم وكذلك أئمة المسلمين ينهون عن مجالسة القدرية وعن مناظرتهم ويبينوا للمسلمين قبيح مذاهبهم )) [١] .

وأما المرتبة الثالثة : وهي لعن الشخص المعين فيفصل فيها الإمام الغزالي رحمه الله بقوله : (( والتفصيل فيه :

أن كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا وأما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فإنه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا )) [٢] .

وقال الإمام النووي رحمه الله :

(( واتفق العلماء على تحريم اللعن فإنه في اللغة : الإبعاد والطرد ، وفي الشرع : الإبعاد من رحمة الله تعالى ، فلا يجوز أن يبعد من رحمة الله تعالى من لا يعرف حاله وخاتمة أمره معرفة قطعية فلهذا قالوا لا يجوز لعن أحد بعينه مسلما كان أو كافرا أو دابة إلا من علمنا بنص شرعي أنه مات على الكفر أو يموت عليه كأبي جهل و إبليس وأما اللعن بالوصف فليس بحرام )) [٣] .

---

(١) الشريعة للآجري ( ٢ / ٦٩٨ ) .
(٢) إحياء علوم الدين ( ٣ / ١٢٣ ) .
(٣) شرح النووي على مسلم ( ١ / ٢٥٤ ) .

ويقرر الإمام النووي رحمه الله تعالى مشروعية لعن الجنس لدلالة النصوص عليـــه ، بخلاف لعن المعين :

(( قوله ﷺ : (( لعن الله السارق )) [١] هذا دليل لجواز لعن غير المعين من العصـــاة لأنه لعن للجنس لا لمعين ولعن الجنس جائز كما قـــال الله تعـــالى : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٢] وأما المعين فلا يجوز لعنه )) [٣] .

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله :

(( فأما الكافر المعين فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أنه لا يلعن لأنا لا ندري بمـــا يختم الله له واستدل بعضهم بالآيـــة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [٤] )) [٥] .

وكذلك يقرر الحافظ ابن حجر رحمه الله عدم مشروعية لعن المعين عند شرحه لقوله ﷺ : (( تُكْثِرْنَ اللعن وتَكْفُرْنَ العشير )) [٦] حيث قال :

(( وفيه ذم اللعن وهو الدعاء بالإبعاد من رحمة الله تعالى وهو محمول على مـــا إذا كان في معين )) [٧] .

---

(١) تقدم تخريجه صـــ( ٣٠١ ) .

(٢) سورة هود الآية : ( ١٨ ) .

(٣) شرح النووي على مسلم ( ٦ / ١٨٥ ) .

(٤) سورة البقرة الآية : ( ١٦١ ) .

(٥) تفسير ابن كثير ( ١ / ٢٧٢ ) .

(٦) تقدم تخريجه صـــ( ١٦٣ ) .

(٧) فتح الباري ابن حجر ( ١ / ٤٨٥ ) .

# الخـــاتـــمة

# الخـاتـمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإني في نهاية هذا البحث المتواضع الذي يسر الله عز وجل لي إتمامه ، وقد قمت فيه بدراسة لجهود علماء الشافعية رحمهم الله تعالى في تقريرهم لمباحث الإيمان والذي ظهر من خلال البحث موافقة تقريراتهم لنصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة ، وفيما يلي أجمل أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث وبالله التوفيق :

١ – تعظيم علماء الشافعية رحمهم الله لنصوص الكتاب والسنة والحث على التمسك بهما وعدم تقديم الآراء عليهما .

٢– الحث على تعظيم السلف الصالح رضوان الله عليهم والأخذ بفهمهم لنصوص الكتاب والسنة .

٣ – تحذيرهم رحمهم الله من البدع والمحدثات في الدين ، وإعلان النكير على أهلها والنهي عن مجالستهم والأمر بهجرهم .

٤ – تقريرهم رحمهم الله لمعتقد السلف الصالح في تعريف الإيمان وأنه : قول وعمل واعتقاد وذلك من خلال نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة .

٥– ومع تقريرهم رحمهم الله للمعتقد الصحيح في تعريف الإيمان فقد ردوا على أقوال المخالفين من الجهمية والمرجئة في تعريف الإيمان وبينوا فساد مذهبهم .

٦- اختلفت أقوال علماء الشافعية رحمهم الله في بيان العلاقة بين الإسلام والإيمان فمنهم من ذهب إلى أنه لا فرق بينهما ، وذهبت طائفة أخرى إلى التفريق ، وتوسطت ثالثة وقالت : إذا اجتمعا في موضع واحد افترقا في المعنى فدل الإسلام على الأعمال الظاهرة والإيمان على الأعمال الباطنة ، وإذا افترقا شمل كل واحد منهما الآخر .

٧ – ومن أصول أهل السنة التي قرروها : زيادة الإيمان ونقصانه ولهم على ذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة . مع بيانهم رحمهم الله للأسباب التي تزيد الإيمان وتنقصه .

٨ – وقرروا رحمهم الله زيادة الإسلام ونقصانه ، إلا من ذهب إلى أن الإسلام هو الكلمة فمنع من القول بذلك .

٩ – ولم يكتف علماء الشافعية رحمهم الله تعالى بالقول بزيادة الإيمان ونقصانه بل ردوا على من خالف منهج السلف وبينوا فساد قوله ومعارضته لصريح الأدلة .

١٠ – وقررا علماء الشافعية رحمهم الله مشروعية الاستثناء في الإيمان لأمور منها : البعد عن التزكية وخوفا من سوء الخاتمة والخوف من عدم قبول الأعمال ، ولم يكن استثناؤهم رحمهم الله عن شك في أصل الإيمان .

١١ – وقد ردوا رحمهم الله على المخالفين القائلين بوجوب الاستثناء والقائلين بتحريمه ، وبينوا بطلان مذهبهم وفساده .

١٢ – ومن الأصول السنة العظيمة التي قررها علماء الشافعية رحمهم الله : أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان ، ولا يُعطى الإيمان الكامل ، بل يقال : هو مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته ، خلافا للخوارج الذين أخرجوه من الإيمان ، والمرجئة التي أعطته الإيمان المطلق ، وخلافا للمعتزلة التي أخرجته من الإيمان ، ولم تدخله في الكفر ، بل جعلت له منزلة ثلاثة بين الكفر والإيمان .

١٣ – وقرروا رحمهم الله حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة وأنه : تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة بفضله ورحمته ، وإن شاء عذبه في النار غير أنه لا يخلده فيها ، خلافا للخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد أصحاب الكبائر في النار ، وخلافا للمرجئة القائلين بالمنع من دخول النار لمن مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله .

وقد رد علماء الشافعية عليهم وبينوا فساد معتقدهم في حكم واسم مرتكب الكبيرة .

١٤ – ولقد حذر علماء الشافعية رحمهم الله من تكفير المسلم بغير حق وبينوا ما جاء في ذلك من الوعيد الشديد .

١٥ – ومن الأمور التي نبهوا عليها أن التكفير بالعموم كتكفير بعض الفرق لا يلزم منه تكفير أعيانهم .

١٦ – ثم بينوا رحمهم الله أنه في تنزيل الأحكام على الأعيان لابد فيه من توفر الشروط وانتفاء الموانع .

١٧ – ومن المسائل التي قرروها أن لعن المعين لا يجوز بخلاف اللعن بالوصف فإنه جائز .

# التوصيات

من خلال دراستي لجهود علماء الشافعية رحمهم الله تعالى في مباحث الإيمان والـــرد على المخالفين ظهرت لي مسائل ومباحث يمكن من خلالها إبراز جهود علماء الشافعية في توضيحها وبيانها خاصة والمادة فيها متوفرة والحاجة إليها ملحة ، وأهم هذه المسائل الـــتي يمكن أن تتناول بالدراسة والبحث ويمكن أن يقدمها الباحث كأطروحة لرســـالة علميـــة يجلي من خلالها جهود علماء الشافعية في نصرة العقيدة والدفاع عنها :

(( جهود علماء الشافعية في الحث على الإتباع والنهي عن الابتداع )) .

(( جهود علماء الشافعية في تقرير عقيدة السلف في الصحابة ﷺ)) .

(( جهود علماء الشافعية في الرد على الصوفية )) .

(( جهود علماء الشافعية في الرد على الرافضة )) .

وبعد هذا ، فإني أحمد الله تعالى الذي وفقني لإتمام هذه الرسالة ، فإن أكن قد وفقت وأصبت فذلك من نعم الله عليّ التي لا تحصى ولا تعد ، وإن أخطأت فحسبي أني بـــذلت كل ما في وسعي واعترف بتقصيري ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

# الفهارس العامة

# فهرس الآيات القرآنية

# فهرس الأحاديث النبوية

# فهرس الآثار

# فهرس الأعلام المترجم لهم

# فهرس المصطلحات العلمية



# فهرس الفرق

# فهرس الكلمات الغريبة

# فهرس الأماكن

# فهرس المصادر والمراجع

**آداب الشافعي لابن أبي حاتم** ، تحقيق / عبد الغني عبد الخالق ، دار الكتب العلمية

**الإباضية عقيدة ومذهبا** ، **لصابر طعمية** ، دار الجيل بيروت

**الأباطيل للجوزقاني** ، تحقيق / عبد الرحمن الفريوائي ، ط ( ١ ) ، ١٤٠٤ هـ

**الإبانة عن أصول الديانة للأشعري** ، تحقيق / بشر محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، ط ( ٥ ) ، ١٤٢٤ هـ

**الإبانة لابن بطة** ، تحقيق / عثمان عبدالله آدم ، دار الراية ، ط ( ١ ) ، ١٤١٥ هـ

**الإبانة لابن بطة** ، تحقيق / رضا بن نعسان معطي ، دار الراية ، ط ( ١ ) ، ١٤١٥ هـ

**إتحاف السادة المتقين** ، **للزبيدي** ، دار الفكر .

**إجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم** ، تحقيق / د عواد المعتق،مكتبة الرشد ،

ط ( ٤ ) ، ١٤٢٦ هـ

**الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان** ، تحقيق / كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، ط ( ١ ) .

**إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي** ، دار الكتاب العربي ، بيروت

**أخلاق حملة القرآن للآجري** ، تحقيق / د عبد العزيز القاري ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط ( ١ ) ، ١٤٠٨ هـ

**الإرشاد ، لأبي المعالي الجويني** ، تحقيق / أسعد تميم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط ( ١ ) ، ١٤٠٥ هـ .

**إرشاد الفحول للشوكاني** ، دار المعرفة بيروت ، ١٣٩٩ هـ

**أسد الغابة لابن الأثير** ، دار الفكر ، بيروت لبنان

**الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر** ، تحقيق / عادل عبد الموجود
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ

**أصول السنة للحميدي** ، تحقيق / د عبد الله الغفيلي ، مكتبة الرشد الرياض ، ط ( ١ ) ، ١٤٢٢ هـ

**الاعتقاد للبيهقي** ، تحقيق / أحمد أبو العينين ، دار الفضيلة ،

ط (١) ، ١٤٢٠ هـ

**إعتقاد أهل السنة للإسماعيلي** ، تحقيق / جمال عزون ،دار ابن حزم ، ط (١ ) ، ١٤٢٠ هـ

**إعتقاد أهل السنة والجماعة لعدي بن مسافر**، تحقيق / حمدي السلفي ، تحسين الدوسكي ، مكتبة الغرباء ، ط ( ١ ) ، ١٤١٩ هـ

**اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازي** ، مراجعة /علي سامي النشار ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٢ هـ

**الإعتصام للشاطبي** ، تعريف العلامة محمد رشيد رضا ، المكتبة التجارية مصر

**الأعلام للزركلي** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ( ١٥ ) ، ٢٠٠٢ م

**إعلام الموقعين لابن القيم** ، مطابع السلام ، القاهرة ، ١٤٠٠ هـ

**الأم للشافعي** ، دار المعرفة بيروت .

**الإمام ابن تيمية وقضية التأويل** ، د محمد الجليند ، شركة مكتبات عكاظ ، ط ( ٣ ) ، ١٤٠٣ هـ

**الإمام الشافعي في مذهبه القديم والجديد** ، د أحمد نحراوي عبد السلام الأندونيسي

**الإنتصار للعمراني** ، تحقيق / د سعود الخلف ، أضواء السلف ،
ط ( ١ ) ، ١٤١٩ هـ

**الإنتصار لأصحاب الحديث لأبي المظفر السمعاني** ، تحقيق / محمد بن حسين الجيزاني ، دار الراية ، ط ( ١ ) ، ١٤١٥ هـ

**الإنتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر** ، اعتنى به / عبد الفتاح أبو غدة ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ، ط ( ١ ) ، ١٤١٧ هـ

**الأنساب للسمعاني** ، تحقيق / المعلمي ، الناشر محمد أمين ، بيروت
ط ( ٢ ) ، ١٤٠٠هـ

**الإيمان لابن تيمية** ، خرج أحاديثه الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت
ط ( ٥ ) ، ١٤١٦ هـ

**بحر الكلام في علم التوحيد** ، **لأبي معين النسفي** ، طبع سنة ١٣٤٠ هـ .

**البداية من الكفاية** ، **لنور الدين الصابوني** ، تحقيق د / فتح الرحمن خليف ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٨٩ هـ .

**البداية والنهاية لابن كثير** ، دار الكتب العلمية بيروت

**البدر الطالع للشوكاني** ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة

**البرهان لأبي الفضل السكسكي** ، تحقيق / د بسام العموش ، مكتبة المنار الأردن ، ط ( ١ ) ، ١٤٠٨ هـ

**بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي** ، تحقيق / مصطفى عبد القادر عطاء ، دار الكتب العلمية ، ط ( ١ )

**تاريخ بغداد للخطيب البغدادي** ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان

**تاريخ الطبري** ، المعروف بتاريخ الأمم والملوك ، تحقيق / محمد إبراهيم ، روائع التراث العربي بيروت

**تاريخ دمشق لابن عساكر**، تحقيق محب الدين العمري ،دار الفكر ، ط ( ١ ) ، ١٤١٧ هـ

**تبصرة الأدلة في أصول الدين لأبي معين ميمون النسفي** ، تحقيق / كلود سلامة ، المعهد العلمي الفرنسي ، للدراسات الإسلامية دمشق ، ١٩٩٣ مـ

**التبصير في معالم الدين لابن جرير الطبري** ، تحقيق / علي الشبل ، دار العاصمة ، ط ( ١ ) ، ١٤١٦ هـ

**التبصير في الدين لأبي المظفر الاسفراييني** ، تحقيق / طمال يوسف الحوت ، عالم الكتب بيروت ، ط ( ١ ) ، ١٤٠٣ هـ

**تحفة القاري بحل مشكلات البخاري ، لمحمد إدريس الكاندهلوي** ، المكتبة العثمانية ، باكستان

**التحف في مذهب السلف للشوكاني** ، تحقيق / محمد صبحي حلاق
مكتبة ابن تيمية القاهرة ، ط ( ١ ) ١٤١٥ هـ

**تذكرة الحفاظ للذهبي** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان

**تعظيم قدر الصلاة للمروزي** ، تحقيق / أبو مالك كمال بن السيد سالم
مكتبة العلم

**تفسير ابن كثير** ، مؤسسة الريان

**تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل** ، تحقيق / خالد العك ومروان سوار
دار المعرفة بيروت ، ط ( ١ ) ١٤٠٦ هـ

**تفسير الطبري** ،تحقيق عبد الله التركي ، هجر للطباعة والنشر القاهرة ، ط ( ١ ) ، ١٤٢٢ هـ

**تفسير السمعاني** ، تحقيق / غنيم بن عباس بن غنيم
دار الوطن الرياض ، ط ( ١ ) ، ١٤١٨ هـ

**تقريب التهذيب لابن حجر** ، تحقيق أبو الأشبال ، دار العاصمة ، ط ( ١ ) ، ١٤١٦ هـ

**التمهيد لابن عبد البر** ، تحقيق جماعة من العلماء ، وزارة الأوقاف المغربية

**التمهيد في أصول الدين** ، **لأبي معين النسفي** ، تحقيق / د عبد الحي القابل ، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ، ١٤٠٧ هـ

**التنبيه والرد لأبي الحسين الملطي** ، تحقيق / يمان الميادين ،رمادي للنشر ، ط (١) ، ١٤١٤ هـ

**تهذيب الآثار للطبري** ، تحقيق / محمود شاكر ، طبعة المدني

**تهذيب الأسماء واللغات للنووي** ، دار الكتب العلمية بيروت

**تهذيب التهذيب لابن حجر** ، تحقيق / عادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط ( ١ ) ، ١٤٢١ هـ

**توالي التأسيس لابن حجر** ، تحقيق / أبو الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، ط ( ١ ) ، ١٤٠٦ هـ

**التوحيد لابن خزيمة** ، تحقيق / د عبد العزيز الشهوان
مكتبة الرشد ، الرياض ،ط ( ٦ ) ، ١٤١٨ هـ

**التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، لعبد الرحمن بن سعدي،** تحقيق/ محمد العجمي ، مكتبة دار الأقصى الكويت ، ط ( ١ ) ، ١٤٠٦ هـ

**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، لعبد الرحمن بن سعدي ، تحقيق / محمد زهري النجار ، نشر المؤسسة السعيدية الرياض

**الثقات لابن حبان** ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند ، ط ( ١ )

**جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر**،مكتبة الباز ،مكة المكرمة، ١٣٩٨ هـ

**الجامع الصحيح للإمام البخاري** ، تحقيق / محب الدين الخطيب و محمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة السلفية القاهرة ، ط ( ١ ) ، ١٤٠٠ هـ

**جامع العلوم والحكم لابن رجب** ، تحقيق / شعيب الأرناؤوط و إبراهيم باجس دارة الملك عبد العزيز، ط ( ١ ) ، ١٤٢٣ هـ

**الجامع لشعب الإيمان للبيهقي** ، تحقيق / محمد السعيد زغلول ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ( ١ ) ، ١٤١٠ هـ

**الجرح والتعديل لابن أبي حاتم** ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند ، ط ( ١ ) ، ١٣٧٢ هـ

**الحجة في بيان المحجة للأصبهاني** ،تحقيق / محمد بن ربيع ومحمد أبو رحيم دار الراية ، ط ( ٢ ) ، ١٤١٩ هـ

**حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني لعلي الصعيدي** ، دار المعرفة بيروت

**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم** ، دار الكتاب العربي بيروت ط ( ٣ ) ، ١٤٠٠ هـ

**خصائص أمير المؤمنين علي ﷺ للنسائي** ، تحقيق / أحمد البلوشي ، مكتبة المعلا الكويت ، ط ( ١ ) ، ١٤٠٦ هـ

**درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية** ، تحقيق : د محمد رشاد سالم ،
دار الكنوز الأدبية

**الدرر الكامنة لابن حجر** ، تحقيق / أحمد فريد المزيدي
ط ( ١ ) ١٩٩٨ م ، دار الكتب العلمية بيروت

**ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين** ، عبد الله بن أسعد اليافعي ، تحقيق / موسى الدويش ، دار البخاري المدينة المنورة ، ط ( ١ ) ، ١٤١٠ هـ

**ذم الكلام وأهله للهروي** ،تحقيق / د عبدالرحمن الشبل ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط ( ١ ) ١٩٩٨م

**ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب** ، تحقيق / عبدالرحمن بن سليمان العثيمين
مكتبة العبيكان ، ط ( ١ ) ، ٢٠٠٥ م

**الرسائل المنيرية** ، إدارة الطباعة المنيرية ، توزيع دار الباز مكة المكرمة

**رسالة إلى أهل الثغر للأشعري** ، تحقيق / عبدالله الجنيدي
مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ، ط ( ٢ ) ، ١٤٢٢هـ

**الرسالة التبوكية لابن قيم الجوزية** ، تحقيق / سليم الهلالي ، دار ابن حزم ، ط ( ١ ) ، ١٤١٩ هـ

**الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري** ، تحقيق / د عبد الحليم محمود ، د محمد بن الشريف ، دار الكتب الحديثة القاهرة

**الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية ، لأبي عذبة** ، تحقيق د / عبد الرحمن عميرة ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ( ١ ) ، ١٤٠٩ هـ

**الزهد لعبد الله بن المبارك** ، تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية بيروت

**الزواجر عن اقتراف الكبائر ، لابن حجر الهيتمي** ، المكتبة العصرية بيروت ، ط ( ٢ ) ، ١٤٢٠ هـ

**زيادة الإيمان ونقصانه ، د عبد الرزاق البدر**، كنوز إشبيليا ، الرياض
ط ( ٢ ) ، ١٤٢٧ هـ

**سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني**، مكتبة المعارف الرياض ، ١٤١٥ هـ

**سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني**،مكتبة المعارف الرياض،ط (٢) ، ١٤٠٨ هـ

**السنة للخلال**،تحقيق /د عطية الزهراني،دار الراية ، ط ( ١ ) ، ١٤١٥ هـ

**السنة لعبد الله بن الإمام أحمد** ، تحقيق / د محمد بن سعيد القحطاني
دار عالم الكتب الرياض ، ط (٤) ، ١٤١٦ هـ

**سنن ابن ماجه** ، تحقيق / العلامة الألباني ، اعتنى به / مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف الرياض ، ط ( ١ )

**سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث** ، تحقيق / عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، دار ابن حزم بيروت ، ط ( ١ ) ، ١٤١٨ هـ

**سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث** ، اعتنى به / مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف الرياض ، ط ( ١ )

**سنن البيهقي الكبرى** ، تحقيق / محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز مكة المكرمة ، ١٤١٤ هـ

**سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي** ،تحقيق / العلامة الألباني
اعتنى به / مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف الرياض ، ط ( ١ )

**سنن النسائي** ، تحقيق الألباني ، اعتنى به / مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف الرياض ،ط ( ١ )

**سير أعلام النبلاء للذهبي** ، تحقيق / شعيب الأرناؤوط وجماعة

مؤسسة الرسالة ، ط ( ١ ) ، ١٤٠٣ هـ

**شرح الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية** ، تحقيق / سعيد بن نصر بن محمد ، مكتبة الرشد ، ط ( ١ ) ١٤٢٢ هـ

**شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي** ، تحقيق / د أحمد الغامدي دار طيبة ، ط ( ٨ ) ، ١٤٢٣ هـ

**شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار** ، تحقيق / عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة القاهرة ، ١٣٨٤ هـ

**شرح ألفاظ السلف ونقض ألفاظ الخلف ، د أحمد الزهراني**
دار الإمام مالك أبو ظبي ، ط ( ١ ) ، ١٤٢٦ هـ

**شرح حديث جبريل لابن تيمية** ، تحقيق / د علي الزهراني ، دار ابن الجوزي ، ط ( ٢ ) ، ١٤٢٤ هـ

**شرح السنة للبغوي** ، تحقيق / شعيب الأرناؤوط ،المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٤٠٠ هـ

**شرح السنة للبربهاري** ، تحقيق / خالد الردادي ، دار الصميعي ، الرياض ، ط ( ٥ ) ، ١٤٢٥ هـ .

**شرح السنة للمزني** ، تحقيق / جمال عزون

مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة ، ط ( ١ ) ، ١٩٩٥ م

**شرح الطحاوية لابن أبي العز** ، تحقيق / د عبدالله التركي و شعيب الأرناؤوط ، دار هجر ، ط ( ٤ ) ، ١٤١٩ هـ

**شرح الكوكب المنير للفتوحي** ، تحقيق / محمد حامد الفقي ، مكتبة المحمدية

**الشريعة للآجري** ، تحقيق / د عبدالله الدميجي ، دار الوطن
ط ( ٢ ) ، ١٤٢٠ هـ

**صبح الأعشى** ، لأحمد القلقشندي ، تحقيق / د يوسف الطويل ، دار الفكر دمشق ، ط ( ١ ) ، ١٩٨٧ مـ

**الصحاح للجوهري** ، تحقيق / أحمد عطاء ، دار العلم للملايين بيروت
ط ( ٢ ) ، ١٩٧٩ م

**صحيح البخاري** ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ١٤٠٠ هـ

**صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته** ، الألباني ، المكتب الإسلامي

**صحيح مسلم** ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ١٤٠٠ هـ

**صحيح مسلم بشرح النووي** ، تحقيق / خليل شيحا ، دار المعرفة ، بيروت
ط ( ٨ ) ، ١٤٢٢ هـ

**الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين** ، **مقبل الوادعي** ، دار الآثار صنعاء ، ط ( ٣ )

**صريح السنة للطبري** ، تحقيق / بدر بن يوسف المعتوق
دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، ط ( ١ ) ، ١٤٠٥ هـ

**الصفات الإلهية لمحمد أمان الجامي** ، مكتبة الفرقان عجمان
ط ( ٣ ) ، ١٤٢٣ هـ

**صفوة الصفوة لابن الجوزي** ،مكتبة الباز مكة المكرمة ،ط( ٢)،١٣٩٩ هـ

**الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم** ، تحقيق / د علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة الرياض ، ط ( ١ ) ، ١٤٠٨ هـ

**صيانة صحيح مسلم لأبي عمرو بن الصلاح** ، تحقيق / موفق عبد القادر ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط ( ٢ ) ، ١٤٠٨ هـ

**الضوء اللامع للسخاوي** ، دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان

**طبقات الحفاظ للسيوطي** ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط( ١٠ ) ، ١٤٠٣ هـ

**طبقات الشافعية لابن شهبة** ، تحقيق / د عبد الحليم خان

مكتبة مدينة العلم مكة المكرمة ، ط ( ١ ) ١٣٩٩ هـ

**طبقات الشافعية لابن كثير** ، تحقيق / عبد الحفيظ منصور ، دار المدار الإسلامي ، ط ( ١ ) ، ٢٠٠٤ م

**طبقات الشافعية للأسنوي** ، دار العلوم ، ١٤٠١ هـ

**طبقات الشافعية الكبرى للسبكي** ، تحقيق / محمود محمد الطناحي ، عبد الفتاح محمد الحلو ، دار إحياء الكتب العربية

**الطبقات الكبرى لابن سعد**،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، ١٤١٧ هـ

**العقائد السلفية لأحمد بن حجر آل بطامي** ، ط ( ١ ) ، ١٤١٥ هـ

**العقود الدرية لابن عبد الهادي** ، تحقيق / طلعت بن فؤاد الحلواني
الفاروق للطباعة والنشر

**العقيدة النظامية** ، **لأبي المعالي الجويني** ، تحقيق / أحمد حجازي ، دار الشباب القاهرة ، ط ( ١ ) ، ١٣٩٨ هـ

**عقيدة أهل السنة والجماعة لمحمد بن إبراهيم الحمد** ، دار ابن خزيمة الرياض
ط ( ٢ ) ، ١٩٩٨م

**عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني** ،تحقيق / أبو اليمين المنصوري

دار المنهاج ، ط ( ١ ) ، ١٤٢٣ هـ

**غاية النهاية في طبقات القراء لمحمد الجزري** ، دار الكتب العلمية بيروت ط ( ٢ ) ، ١٤٠٠ هـ

**فتاوى بن الصلاح** ،تحقيق / د عبد المعطي قلعجي ،دار المعرفة بيروت توزيع دار الباز مكة المكرمة

**فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني**
تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب ، قصي محب الدين الخطيب دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط ( ٢ ) ، ١٤٠٧ هـ

**الفرق بين الفرق اعبد القاهر البغدادي** ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ( ٣ ) ، ١٤٢٦ هـ

**الفصل في الملل والنحل لابن حزم** ، تحقيق / د محمد إبراهيم نصر ، د عبد الرحمن عميرة ، **شركة مكتبة عكاظ** ، ١٤٠٢ هـ

**الفوائد لابن قيم الجوزية** ، تحقيق/ بشر محمد عيون، نشر مكتبة البيان، ط ( ١ ) ، ١٤٠٧ هـ

**فيض الباري على صحيح البخاري** ، لمحمد أنور الكشميري ، دار المعرفة بيروت

**القدرية والمرجئة : نشأتها وأصولها** ، د ناصر العقل ، دار الوطن الرياض ، ١٤١٨ هـ

**الكامل لابن الأثير** ، دار الكتاب العربي بيروت ،ط ( ٣ ) ، ١٩٨٠م

**كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام** ، تحقيق الألباني ، المكتب الإسلامي بيروت ، ١٤٠٣ هـ

**كتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي** ، تحقيق / فتح الله خليف ، دار الجامعات المصرية ، القاهرة

**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، لحاجي خليفة ، المكتبة الفيصلية مكة

**لسان العرب لابن منظور** ، دار صادر ، بيروت ،ط ( ٢ ) ، ١٤١٤ هـ

**لسان الميزان لابن حجر** ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ( ١ ) ، ١٤١٦ هـ

**اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع لأبي الحسن الأشعري** ، تحقيق / حمودة غرابة ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة

**لوامع الأنوار البهية للسفاريني** ، مؤسسة الخافقين دمشق ، ط ( ٢ ) ، ١٤٠٢ هـ

**الماتريدية دراسة وتقويم** ، أحمد بن عوض الله الحربي ، دار العاصمة

**مجموع الفتاوى لابن تيمية** ، جمعه عبد الرحمن بن قاسم
توزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية ، الرياض

**مختصر الحجة على تارك المحجة للمقدسي**، تحقيق / د محمد إبراهيم
أضواء السلف ، ط ( ١ ) ، ١٤٢٥ هـ

**مختصر الصواعق المرسلة محمد الموصلي** ، تحقيق / سيد إبراهيم ، دار الحديث القاهرة ، ١٤١٢ هـ

**مدارج السالكين لابن القيم** ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ( ١ )

**المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي** ، د أكرم القواسمي

**المذهب عند الشافعية** ، د محمد إبراهيم محمد علي ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، العدد الثاني .

**المسامرة بشرح المسايرة** ، لكمال الدين محمد بن المعروف بابن أبي شريف ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر

**المستدرك على الصحيحين للحاكم** ، تحقيق / مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ( ٢ ) ، ١٤٢٢هـ

**مسند أبي عوانة** ، تحقيق / أيمن بن عارف الدمشقي
دار المعرفة لبنان ، ط ( ١ ) ، ١٩٩٨ م

**المسند لأبي يعلى** ، تحقيق / إرشاد الحق الأثري ، دار القبلـة جـدة ، ط ( ١ ) ، ١٤٠٨ هـ

**المسند للإمام أحمد بن حنبل** ، تحقيق / شعيب الأرنؤوط ، مؤسسـة الرسـالة ، ط ( ١ ) ، ١٤١٩ هـ

**المسند للطيالسي** ، تحقيق / د محمد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ،ط ( ١ ) ، ١٤٢٠ هـ

**مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض** ، تحقيق / إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط ( ١ ) ، ١٤٢٣ هـ

**مصرع التصوف لبرهان الدين البقاعي** ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل

**معالم التنزيل للبغوي** ، تحقيق / محمد عبد الله النمر ، عثمان ضميرية
دار طيبة للنشر ، الرياض ، ط ( ١ ) ١٩٨٩ م

**معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات**
د محمد بن خليفة التميمي ، أضواء السلف ، ط ( ١ ) ، ١٤١٩ هـ

**معجم البلدان لياقوت الحموي** ، دار الفكر بيروت

**المعجم الكبير للطبراني** ، تحقيق / حمدي السلفي ، مكتبة ابن تيمية القاهرة

**معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنـان ، ط ( ١ ) ، ١٤١٤ هـ

**معجم مصطلحات الحديث للأعظمي** ، أضواء السلف ط ( ١ ) ، ١٤٢٠ هـ

**معجم المصطلحات الصوفية التي تجيزها الأصول القرآنية والنبوية** ، د / محمود عبد الرزاق ، دار ماجد عسيري ، ط ( ١ ) ، ١٤٢٥ هـ

**معجم مقاييس اللغة لابن فارس** ، تحقيق عبد السلام محمد هارون

**المعجم الوسيط** ،لجنة بإشراف مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة

**مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصبهاني** ،تحقيق / صفوان عدنان داوودي دار القلم دمشق ، ط ( ١ ) ١٩٩٢ م

**مقالات الإسلاميين للأشعري** ، تحقيق / محمد محي الدين مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ( ٢ ) ، ١٣٨٩ هـ

**مقالات الجهم بن صفوان لياسر قاضي** ، أضواء السلف ط ( ١ ) ، ١٤٢٦ هـ

**الملل والنحل للشهرستاني** ، تحقيق / محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ، ١٣١٨ هـ

**منازل الأئمة الأربعة للسلماسي** ، تحقيق / د محمود قدح طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط ( ١ ) ، ١٤٢٢ هـ

**مناقب الشافعي للبيهقي** ،تحقيق / أحمد صقر ، مكتبة دار التراث القاهرة

**مناقب الشافعي للرازي** ، تحقيق / أحمد حجازي ،مكتبة الكليات الأزهرية
ط ( ١ ) ، ١٤٠٦ هـ

**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي** ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ( ١ ) ، ١٤١٢ هـ

**المنهاج للحليمي** ، تحقيق / حلمي محمد فودة ، دار الفكر ، ط ( ١ ) ، ١٣٩٩ هـ

**منهاج السنة لابن تيمية** ، تحقيق / د محمد رشاد سالم
طبع جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ط ( ١ ) ، ١٤٠٦ هـ

**منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل** ، د جابر أمير ، أضواء السلف ، ط ( ١ ) ، ١٤١٩ هـ

**منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد** ، لعثمان بن علي حسن ، مكتبة الرشد الرياض ، ط ( ١ ) ، ١٤١٢ هـ

**المنهج السلفي** ، د مفرح بن سليمان القوسي ، دار الفضيلة الرياض ، ط ( ١ ) ، ١٤٢٢ هـ

**المهذب في فقه الإمام الشافعي** ، لأبي إسحاق الشيرازي ، دار الفكر بيروت

**موسوعة أعلام المغرب** ، دار الغرب الإسلامي ، ط ( ١ ) ١٤١٧ هـ

**الموضوعات لابن الجوزي** ، تحقيق / عبد الرحمن بن محمد عثمان ، ط (١) ، ١٣٨٦ هـ

**موقف ابن تيمية من الأشاعرة** ، د عبد الرحمن بن صالح المحمود ، مكتبة الرشد الرياض ، ط ( ١ ) ، ١٤١٥ هـ

**ميزان الاعتدال للذهبي** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ( ١ ) ، ١٤١٦ هـ

**النبراس شرح العقائد لمحمد الفرهاري** ، كتب خزانة اكرمية بيشاور .

**النكت على نزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني**
تحقيق / علي بن حسن الحلبي ، دار ابن الجوزي ، ط ( ٢ ) ، ١٤١٤ هـ

**النكت والعيون للماوردي** ، تحقيق / السيد عبد المقصود ، دار الكتب العلمية

**نهاية الإقدام في علم الكلام ، لعبد الكريم الشهرستاني** ، تحقيق / الفرد جيوم ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة

**النهاية في غريب الحديث لابن الأثير** ، تحقيق / محمود الطناحي و طاهر أحمد الزاوي ، المكتبة الإسلامية ، ط ( ١ ) ، ١٣٨٣ هـ

**النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير** ، تحقيق / عصام الدين الصبابطي ، دار الحديث القاهرة

**وسطية أهل السنة بين الفرق ، د محمد باكريم** ، دار الراية للنشر والتوزيع ط ( ١ ) ، ١٩٩٤م

**وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، للسمهودي** ، مطبعة الآداب والمؤيد ، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ

**وفيات الأعيان لابن خلكان** ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٨م

# فهرس الموضوعات